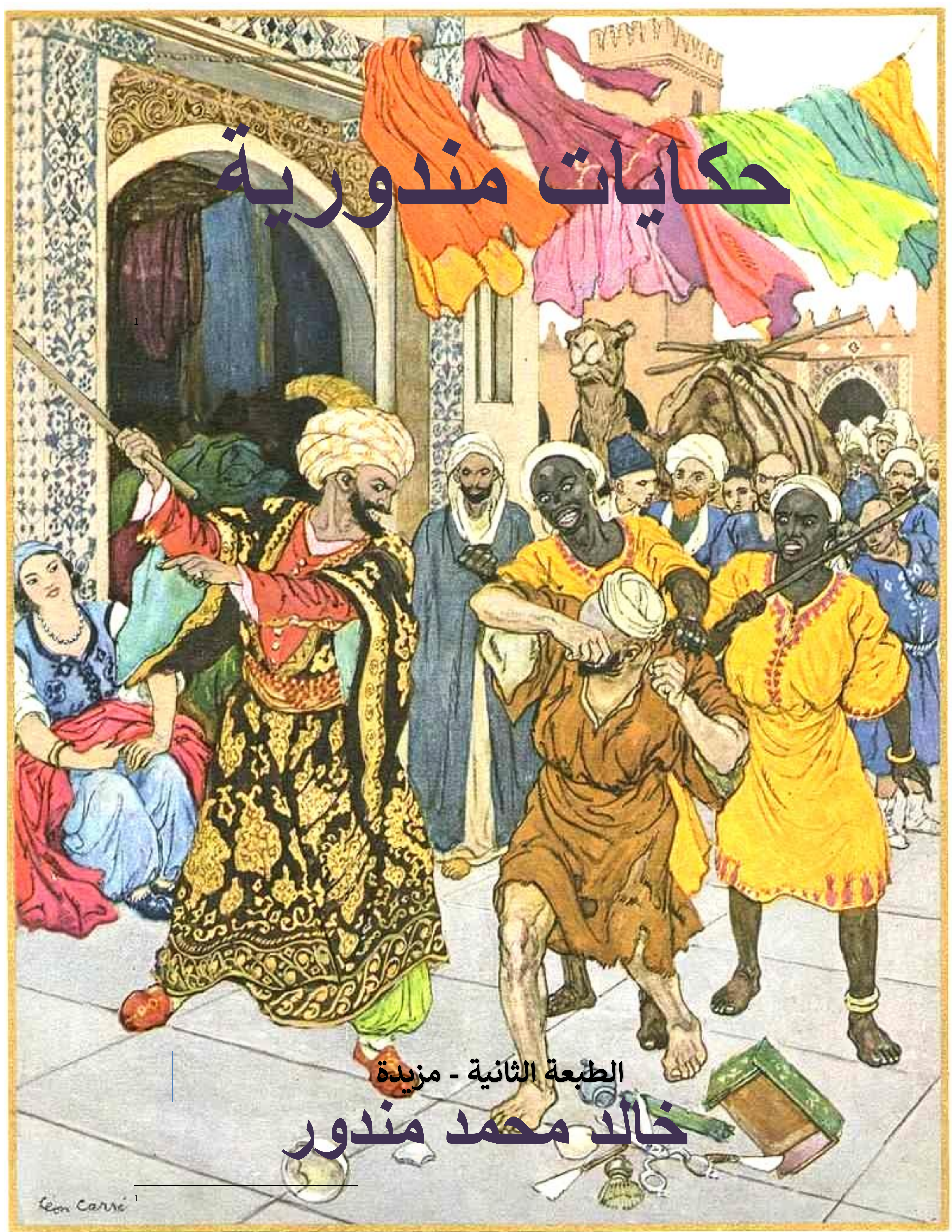


حكايات مندورية

الطبعة الثانية - مزيدة

خالد محمد مندور

الفهرس

- **الدم بيحن- أخي**
- **كامل البندارى باشا والقمح الاحمر**
- **الاب والجد "ان كبر ابنك خاويه "**
- **خلف القضبان**
- **جدي العلمي - استاذ الاساتذة، أدهم الدمرداش**
- **قاعد على ريش ودافن راسك في الرمل**
- **السلفية والارهاب الفكري والتمرد الخلاق**
- **مجدي يعقوب ام محمد غنيم**
- **محمود قرني - الأعمال الكاملة لـ ملك عبد العزيز: نموذج شعري رائد أسقطه العقل الذكوري**
- **ملك عبد العزيز: المقاتلة بالهمس**
- **الحاج عبد الحميد**
- **أنا وخالتي**
- **محمد مندور وملاعيب شيحة التاريخي**
- **الباز الاشهب بين الفرعونية والصوفية**
- **الهدسون التي لم تكن هدسون وخد بالك يا إبراهيم**
- **"ان كبر ابنك خاويه "**
- **أنا والشعر الابيض**
- **د. محمد مندور واخر العنقود**
- **الشعر والخيال وأحلام البشر**
- **البطولة والاهداف المخفية**
- **دفاعا عن شرف الأمة**
- **سلامة موسى "اللي خلف ما متش "**
- **حرقة القلب واندفاع الشباب وحكمة الشيوخ**
- **ابراهيم فتحي يتحدث عن محمد مندور**
- **جدو**
- **الصندوق السحري وامئ**
- **" ابا الهول تحرك ابا الهول، ان هذا العصر تحرك من فية حتى الحجر "**
- **أخيل وهكتور والبطولة**
- **انا وهم**
- **البطل الشعبي وملاعيب العقل المثقف**
- **علي لابونت وعلى يا ويكا**
- **لماذا وقعنا في غرام الميج 21**
- **الطائرة الاسطورية والغرام الدفين**

- **الود يمد لسابع جد.**
- **اهداء من نعمان عاشور الى محمد مندور**
- **هل يمكن هزيمة الغول؟ - دراما الغول والعنقاء والخل الوفي - تقرير الى الخل الوفي**
- **ملح الارض بين كامل والتاجي**
- **شربة ماء!**
- **تعويذة سحرية مندورية الى حورس**
- **ما بين الصغير والكبير -خالتي**
- **دماء على ....السيراميك**
- **شكشك شكشوكة تعالى جنبي**
- **المزاجنجى إبراهيم السني**
- **بوابة السحر والخيال والقرارات الخطيرة**
- **ما بين السكر والعسل ...... يا عسل**
- **الغول والعنقاء والخل الوفي**
- **ومازلت اتعلم من هذا المبتسم وزوجته!**
- **شكوكو بأزازه!!**
- **ما بين الاثنين والنقش على الحجر**
- **ميلودراما البراغيث**
- **يا وردة الحب الصافي**
- **الشوق وأبناء رفاعه**
- **اللي خلف ممتش ومقاتل الخط الأمامي**
- **سامح جميل ......الشرطي - احترام المهنة والإنسانية**
- **"هتبوظو - " أبو خطوة**
- **التلميذ والاساتذة**
- **شجيع السيما**
- **الراجل والست والواد**
- **الكيمى كمى كاه**
- **أحلام الشفق - Twilight zone**
- **طنش وابتسم و"اتكلفت"**
- **الراجل والزاد والزواد والغرام العميق**
- **ملاعيب العقل الباطن عندما يختفي الحاجز بين الوعي واللا وعى**
- **النفس البشرية بين الكيمي كمي كاه (أي الكيمياء) والتحليل النفسي**

المراحيضى والمعقود

فى نقاش قديم على صفحات الجرائد ، كتب الجد سلامة موسى ، ان احد معاير التقدم ان يكون فى منزل كل فلاح مرحاض ، ولان عباس العقاد كان على طرف نقيض من التوجهات الفكرية و السياسية وحتى الصفات الشخصية لسلامة موسى ، و فى احيانا كثيرة كانت ردودة عنيفة ، خصوصا مع من لايتفق معة فى الاراء ، حيث كان شديد الفردية وغير متواضع ، فلقد علق على ما كتبة سلامة موسى باطلاق لفظ المراحيضى علية ، وبرغم مرور مايزيد على ستون عاما على هذا النقاش ، فما زالت خمسون فى المائة من منازل المصريين غير متصلة بشبكة المجارى العمومية و ما زالت مياة المجارى لهذة المنازل تصرف ، اهليا ، فى قنوات الصرف الزراعى او فى النيل ، وما زالت نسبة كبيرة من ناتج شبكة مياة المجارى تصرف بنفس الطريقة من محطات المجارى غير مكتملة المعالجة ، برغم الجهد الذى اذداد لتعميق معالجتها ، خصوصا فى العام الاخير.

وبعد هذا النقاش بما يقرب من عشرون عاما ، يشتبك العقاد من جديد مع محمد مندور على صفحات الجرائد ، حيث كان العقاد قد اكمل تحولة الى قوة معيقة للتقدم ، خصوصا عندما ترأس لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون و الاداب ، حيث كان يحول ما يصل اليها من الشعر الجديد ، اى شعر التفعيلة ، الى لجنة النثر للاختصاص !! ، اى ان شعر صلاح عبد الصبور و حجازى و ملك عبد العزيز و نازك الملائكة و السياب و غيرهم ، هو مجرد نثر ، و حيث ان محمد مندور كان من نفس الفصيل المتناقض مع توجهات العقاد ، الفكرية و السياسية و الاجتماعية وحتى فى صفاتة الشخصية ، وكان فى نفس الوقت حاملا لشهادات علمية عالية و كان تلميذا لطة حسين و صديقا لسلامة موسى ، ومدافعا كبيرا عن الشعر الفصيح و العامى الجديدين ، فان كل هذا كان كافيا لان يتلقى ردودا حادة وشخصية من العقاد تتجاوز حدود النقاش الادبى ، ولكنة يتلقى ردا مودبا لا يخلوا من حدة فيصفة مندور، بين السطور ، بالمعقود!!

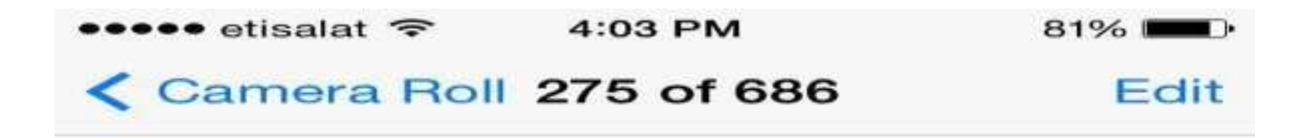
وبرغم ذلك فلقد تلقيت درسا بليغا من ابى ، فخلال هذة المعركة مات العقاد ، وكنت متابعا لها ، ولكن بموتة انتهت الخصومة الجارية ، وكتب ابى عنة تقيما شاملا متوازنا و اعطاة حقة كاملا وخصوصا عندما كان دافعا للتقدم مع مدرسة ابولو او فى دفاعة الحار عن دستور 23 و عن البرلمان المنتخب سنة 30 والذى حبس من اجلها عاما كاملا ، فالعقاد لا يجب اختصارة فيما انتهى الية بل يجب تبنى نظرة شاملة لدورة ، يبقى اخيرا اننى مراحيضى الهوى



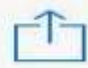
أبناء الفلاحين

صورة قديمة لأبناء الفلاحين، الدكتور محمد مندور بالجلابية والطاقية والعباية، وزوجته الشاعرة ملك عبد العزيز وابناءه الخمسة، الدكتور حسام مندور ليلى مندور كبيرة المذيعات بالبرنامج الثانى و الشهيد العميد أركان حرب ماجد مندور و المهندس خالد مندور والدكتور طارق مندور، و اخية الدكتور مصطفى مندور وزوجته احسان واولادة ماجي و لوسى، ونجاة زوجة اخية العمدة ممدوح مندور، وابن أخيه الدكتور مهندس محى مندور.

هذا الفلاح ابن الفلاحين الذى كان يتحرق شوقا للعودة من بعثته في فرنسا ، كى يرد الدين للفلاحين و فقراء هذا الوطن ، الذين تحملوا تكاليف بعثتة الحكومية ، وعاد من البعثة ، وبدء فى رد الدين بلا تردد ، إلى آخر لحظة فى حياته ، التى لم تكن طويلة ، بدفاعه المستميت عن الوطن و التقدم و الإنسانية ، و تعرض لأذى كبير ، فى كل العصور ، من السجن والفصل من الوظائف ، ولم يتردد او يتراجع ،او يستجيب للإغراءات و محاولات الشراء الخسيسة ، ولكنه ترك الكثير من الابناء ، البيولوجيين و غير البيولوجيين ، السائرون على نفس طريقة ، ومازال ينجب الكثير من لابناء و الاحفاد ، "اللي خلف مامتش "









اللغة والموسيقى

**هل لكل لغة موسيقى خاصة بها ، اعتقد ذلك ، و اعتقد ايضا انها الأساس فى حسن التعبير اللغوي عن الأفكار ، و لكنها موسيقى غير مكتوبة ، ولا يمكن الاستدلال عليها و الإحساس بها ، و اكرر ، الإحساس بها ، بدراسة القواعد اللغوية ، بل بممارستها ، وعلى رأس هذه الممارسة القراءة لكبار الأدباء .
انا لست خبيرا لغويا ولكننى مررت بتجربة جعلتني أصل إلى هذه القناعة ، ففى اثناء عزاء ابى، وانا محروق القلب ، و فى خلوة مع اختى الكبيرة ، اخبرتها انني فى العام القادم ، الثانوية العامة ، سأحصل على 90% إكراما له ، و هى درجة كبيرة جدا فى ذلك الزمان ، تجعلك من أوائل الجمهورية.
وبدأت افكر فى المواد التى اعرف انها قد تعوقنى عن تحقيق ذلك ومنها اللغة الانجليزية ، فلقد كانت درجاتى فى العاميين السابقين لا تتعدى 70% برغم الدروس الخاصة ، فماذا افعل ؟ اسال خبيرا.
وسألت الخبير، خالتي، عزيزة اللذيذة، كبيرة مفتشي اللغة الإنجليزية بالوزارة، ماذا افعل ؟ فاعتطنى كم هائل من القصص الانجليزية المتدرجة التبسيط في عدد الكلمات وفى التركيب اللغوي من 500 كلمة الى 3000 كلمة ثم مجموعة اخرى تشكل الانتقال الى النص الكامل مستخدمة معظم الكلمات المستخدمة فى اللغة ومقدارها 7000 كلمة وبدون تبسيط في التركيب، ثم مجموعة اصلية بدون تبسيط و طلبت منى ان اقراءها بدون بحث عن معنى الكلمة، و هو ما فعلته في الإجازة الصيفية.**

وبدء العام الدراسي، و لم اطلب دروس خاصة، وعند اقتراب نهاية العام، قرر مدرسنا، عقد امتحان تجريبي، وسألته عن نتيجتي، و فوجئت حين اخبرني انها 90%، فلقد كنت اطمح الى 80% فقط، لأني اعرف ان الفرق فى الدرجات يمكن تعويضه من الرياضيات والطبيعة، اللذان استطيع ان احصل منهما على ما اريد، حتى و لو كنت نائما، ولم اصدق ان هذا هو مستواى برغم تأكيده أنني في هذا المستوى.

ويأتي الامتحان النهائي واحصل على ال 90% في الانجليزية!! و ما زلت ضعيفا في القواعد اللغوية!!

تطور أساليب الكتابة

منذ زمان بعيد عندما التحقت بالجامعة، في كلية الهندسة، فاجأني صديق التحق بكلية الآداب، قسم صحافة، بطلب غريب. طلب منى ان اكتب له بحثا عن تطور الأسلوب الصحفي فى الصحافة المصرية في القرن التاسع عشر، ودعم اصراره على ذلك بقوله " اهة كتاب ابوك مكتوب كأحد المراجع "، وسلمني قائمة طويلة من الكتب كمراجع للبحث، ولم أستطع ان ارفض.

لقد أدركت حجم الورطة التي أوقعت نفسي فيها، فليس لدي الوقت لأقرأ كل هذه الكتب، ولكن ولحسن الحظ، كانت معلوماتي التاريخية عن هذه الفترة كافية، لكي اتبنى منطقا مختلفا، لا احتاج الا لنماذج من بعض الكتابات ذات الدلالة، ولا أحتاج لقراءة هذا الكم الهائل من الكتب، وذلك للإجابة على السؤال البديهي، لمن يكتب الناس؟ ولأجل ماذا؟

ولحسن الحظ ان هذه الفترة شهدت ثورة شعبية ساهمت فيها الجماهير بحماسة منقطعة النظير، ومن الطبيعى أن تنعكس على أساليب الكتاب و لذلك اخترت كتابات رفاعة رافع الطهطاوي فى جريدة الوقائع لما قبل

الثورة، ثم عبد الله النديم فى التنكيت والتبكيت، التي كانت تصدر بالعامية في زمن الثورة، ثم مرة أخرى، عبد الله النديم فى الاستاذ ، التى كانت تصدر بالفصحى ، بعد عودته من المنفى ، والموجهة للمثقفين .

لا ارغب ان الخص فحوى البحث، لان ما اريد ان اوضحه، انه منذ ذلك الزمان، وأنا أتابع تطور أساليب الكتابة الصحفية والأدبية، دون أن أتعمد ذلك.

لقد كانت كتابات يوسف إدريس، الصحفية ام الادبية، تلفت نظري دائما، بالجمل القصيرة، بدون استطرادات طويلة، و بقصر الفقرات، و بحسن استخدام علامات الترقيم ، التي تؤثر تأثيرا كبيرا ، فى سرعة ودقة فهم القارئ وحسن استقباله للمعنى .



لا بياض طايل ولا سمار خايل - ما حلو الا حلو الشمائل

طاهر ابو فاشا

هذا الخيال المجنح صاحب الروح الشعبية و الوطنية الاصيلة ، الدمياطى الفائق الكرم ، الشديد التواضع و البساطة ، الذى طبع شهر رمضان بالف ليلتة الخلابة ، و الذى كتب الف ليلتة الخاصة بة بعد هزيمة 67 بشكل يتجاوز النص التراثى عمقا و تماسكا ، متنبئا بانة سيتم تحرير بلاد العسل و اللبن من احتلال اللؤماء المدعومين من سلطان الجن الازرق ، بتكاتف اهلها و دعم اشقائهم و بمساندة شيطان الجن الاحمر . فيا عمى الجميل ، ما زلنانحلم كما حلمت ، و ما دمنا نحلم فسنحقق الحلم ولو بعد حين ، و سنتذكرك حين نحرر بلاد العسل و اللبن بدون جن احمر ورغما عن كل انواع الجن.

Tarek Mandour

وما أجمل استقباله لنا في (عشته) برأس البر. وجمال العشة وجمال وبساطة وسحر طاهر أبو فاشا.. وكنت أنظر إليه كساحر ألف ليلة وليلة وليس كصديق أبي وكنت فخورا بين أصدقائي الأطفال أني أعرف الساحر صاحب جنية البحور والأمير المسحور.

Mohamed Elhady

كنت أفكر احيانا في علاقة طاهر ابو فاشا بألف ليلة وليلة. هل كان مجرد ناقل لها؟ هل ماقام به اعادة صياغة عصرية لمؤلف قديم؟

لكنى فوجئت انه كتب للإذاعة 800 حلقة منها60 حلقة فقط منقولة من الكتاب الأصلى بأحداثها وشخوصها والباقى كانت من تأليفه على حد قوله فى لقاء تليفزيونى قديم على قناة ماسبيرو زمان



الترجمة وسحرها

منذ زمان بعيد قراءت قصة جاك لندن " نداء البرية - Call of the wild" مترجمة الى العربية وبرغم انى اعرف جاك لندن وتجذبني دائما كتاباتة الا اننى فوجئت بالمستوى الشعرى الرفيع للفصة المترجمة و لم اكن قد قراتها من قبل بالانجليزية فسالت صديقا متخصصا فى اللغة الانجليزية عن المستوى الشعرى للقصة الاصلية بلغتها الانجليزية فاكد لى انها اقل فى المستوى الشعرى من الترجمة العربية، فاقترضتها و قراتها و تأكد لي تقديره.

لم اجد تفسيرا لذلك الا فى ان المترجم قد احس و هضم روح النص الذى يقوم بترجمتة فاحسن اختيار الالفاظ و التراكيب اللغوية، فخرج النص بهذا الابداع و فهمت لماذا كان ابى يعود الى " لاروس " و هو يترجم مدام بوفارى برغم انة كان يفكر بالفرنسية و العربية بنفس المستوى من التمكن.

واخيرا قرأت كتابا اخرا مترجما عن الفرنسية وكانت الترجمة مزعجة و مثيرة لعدم الارتياح، و لولا اهتمامى بموضوع الكتاب لما أكملته.

لماذا اكتب هذا الان؟ اكتب لاننى بدات فى قراءة كتاب اخرمترجم للكاتب الاوغندى محمود ممدانى صادر عن المركز القومي للترجمة وقام بترجمته الدكتور صلاح ابو نار وراجعها الاستاذ حلمى شعراوي، و بمجرد بدئي فى قرائتة احسست بالارتياح البالغ من حسن الصياغة و تماسكها بل ايضا من المستوى الأدبي الرفيع، خلاصة القول انى " ادبست " لاكمال قراءة كتاب من 600 صفحة برغم انة ليس ضمن الخطة العاجلة و ساعود اليكم عندما اكمل القراءة.

واة يا عبد الوادود ـ محمود العربي والعبقري

يجلس الرجل الاربعينى فى منزل انسبائة بالبلكونة البحرية للتمتع بالهواء فى عصر يوم صيفى حار و هو يتامل المارين بالاسفل فى الشارع العام ، وهو فى تاملة يلمح خلفية رجل يعرفة جيدا ، فينتفض و يسارع الى السلم و يتدحرج علية باقصى سرعة بدون ان يغير ملابسة لعلة يلحق بة كى يصافحة و يعانقة.

ويتذكر ، وهو يتدحرج ، شريط من الذكريات القديمة التى جمعتة بة منذ ان كان طفلا صغيرا حين ادركت والدتة ضعف مستواة الدراسى وهو فى السنة الخامسة الابتدائية فطلبت من والدة الذهاب الى المدرسة للاتفاق مع احد مدرسيها لاعطائة دروس تقوية .

ويحضر المدرس ، الذى لم يبلغ الثلاثين بعد و الغير متزوج ، للمنزل ، و تبدء الحصة الاولى فى حضور الاب ويستهلها المدرس ببعض الاسئلة كى يتعرف على مستوى الطفل ، و يعجز الطفل عن الاجابة و ينفجر باكيا بشدة ، وتبدء حملة التهدئة من الاب و المدرس الذى يقول " امال انا جى اعمل اية". وعلى مدار العام تتوطد علاقة صداقة متينة بين الطفل الصغير و المدرس الشاب يدعمها طبع االمدرس الودود و حنيتة و اخلاصة و ذكاءة ويترتب عليها انقلابا فى مستوى الطفل الدراسى وتبرز معالم شخصيتة الكامنة ، و تتعزز ثقتة فى نفسة ولكن يمنعها من الوصول الى حد الغرور المعايير الاخلاقية السائدة فى منزلة ، وبرغم ذلك اصبح مشهورا داخل المنزل "بالعبقرى" و هو اسم اطلقة على نفسة و ذهب مثلا ، فحين يعود الاب من عملة كان يسال " هو فين العبقرى " .

ومنذ ذلك الزمان البعيد يحافظ العبقرى على مستواة الدراسى ويصبح دائما من اوائل دفعتة الى ان يتخرج من الجامعة.

واحقاقا للحق، فان اداء هذا المدرس الانسان والعبقري كان لا يختلف في المدرسة عنة فى المنزل وكان اطفال الحي يتكالبون علية اذا لمحوة يمشى فى شوارع الحى و يهش لهم بود بالغ.

ويتزوج، اخيرا، بامرأة مبتسمة الوجه ممتلئة القوام ويتطوع الاثنان فى الدفاع المدنى فى اعقاب هزيمة 1967، ويستمر فى دورة المبدع فى تعليم الصغار وفي الدفاع عن الوطن.

نحن نحتاج الى الالاف من محمود العربي إذا كنا جاديين في تطوير التعليم، و ان يكون مدرس الابتدائى الاعلى دخلا و تعليما.

للأسف الشديد لا امتلك صورة لأستاذي وصديقي ومعلمي ذو الشارب الكثيف و الوجة البشوش و لكنة محفور داخل قلبى.



في ذكرى رجل لطيف

في عصر احد الايام يقف رجل كبير في شرفة منزلة بالطابق الاول و بجوارة ابنة الصغير و يفاجأ بتلميذة الاربعيني يحاول ان يحافظ على توازنة فوق سور المنزل الصغير الارتفاع و هو يحادث صديقة بالطابق الارضي ، و يفقد توازنة و يضطر الى النزول الى الرصيف و هو يضحك و يعاود الكرة مرة تلو المرة و يضحك ، فيصيح علية " ولة يانعمان اطلع " ، فيجيب نعمان المبتسم "حاضر يادكتور" ، و يصعد نعمان و يتسلل الطفل كالمعتاد كي يسمع ، كما يفعل دائما عندما ياتي ضيف الى والدة ، و يشعر فورا بالالفة العميقة مع هذا النعمان المبتسم الودود برغم انة لم يكن جميل المحيا .

ويزداد شعور الطفل بالالفة حين يصحبة والدة للمسرح القومي اذاكانت المسرحية للنعمان المبتسم، ثم ينتظر المقال النقدى التالي لوالدة عن المسرحية ويسعد كثيرا للتقدير النقدي لها.

و عندما يتوفى الدكتور مبكرا، يكتب النعمان المبتسم مقالا باكيا من داخل حنايا قلبة بلا سفسطة او تقعير ، قطعة من قلبة يضعها على الورق لا يستطيع الطفل الذى اصبح شابا صغيرا ان ينساها. هذا المبتسم الودود صاحب القلب الصافى والشديد التواضع هو احد اهم كتاب المسرح فى الجيل اللاحق لتوفيق الحكيم واحد اهم المؤسبسين للمسرح المصرى الحديث مع يوسف ادريس و الفريد فرج و ميخائيل رومان.

تابعوا مسرحيات النعمان المبتسم، نعمان عاشور، على موقع البرنامج الثقافى للاذاعة المصرية ، الى ان يحين الحين ، و يعود المسرح القومى الى سابق عهدة و يعاود عرض مسرحيات المؤسيسين.



الجد والابن والحفيد

عندما كتبت عن المبدع الكبير نعمان عاشور جاءنى من ابنة سعد عاشور تعليق مس شغاف قلبى واكتمل بها ليس فقط جزء من ذاكرتي عنة، بل شيء يتجاوز ذلك بكثير، شيء يتعلق بأوضاعنا السياسية والاجتماعية والاخلاقية العامة.

ولنبدأ اولا بما كتبة سعد عاشور

"اخيرا وجدتك

دائما ما كان قلبي يحدثني ان صدفه ما ستحدث لي تخص الدكتور مندور وها هي.

منذ الطفوله كان ابي يقص علينا مواقف منها الطريف ومنها مواقف محفوره بداخله لا ينسها وكنا دائما نطلب منه اعده قص المواقف ليس فقط لاسلبه في الالقاء و لن كنا نشعر اننا نعيش الحدث معه. ففي فتره الستينات اقيل والدي من عمله هو واخرين من الصحف ،فوجئ والدي بمن يدق عليه جرز الباب ليخبره ان الدكتور مندور ومعه السيده الوالده بالخارج وكنا نسكن في الطابق الخامس، نزل مهرولا لاستقبال استاذه العزيز في زيارته المفاجئه ،وإذ بسياره الدكتور محمله بأشوله البقول وجميع انواع اللحوم المذبوحه في حينه وشيك باسم والدي لم يكتب فيه المبلغ و باحضان اختلطت بالدموع شكر والدي الدكتور وطمأنه علي وضعه المادي واصر الدكتور ان يقبل والدي علي الاقل واجب الزياره التي اتي بها . هذا مختصر موقف محفور بداخلي منذ الصغر وكأني كنت حاضرا فيه فلا تتعجب عندما بدأت بكلمه اخيرا وجدتك "

لماذا فعل ابى ذلك؟ لقد فعل ذلك لشعورة بانها مسؤليتة ان يدعم ابنة وصديقة كما دعمة اباءة فى ظروف مماثلة.، فلقد فصل والدي كذلك فى الاربعينيات من عملة حين كان مديرا لتحرير جريدة المصرى لتمسكة بحقة فى التعبير عن راية ودخلت الاسرة فى ازمة مادية طاحنة حيث لم يكن له مصدرا اخر للدخل، وطلب منة ان يعتذر كي يعود الى عملة، و هو ما لم يحدث.

وتدخل جدودي، فأتاح له جدى القاهري، احمد امين، ان يكتب، بالقطعة، في جريدته الشهرية ، و هي المقالات التي جمعت لاحقا في كتابة البديع نماذج بشرية ، و تدخل كذلك جدى البيولوجي ، فكان يأتي من الكفر محملا بمثل ما حملة ابى لابنة نعمان بالضبط ، وكان يرفض رفضا باتا ان يأكل مما احضره برغم تعب السفر و الحاح أمى , هل نستطيع ان نجد بعض مثلما وجدوا بعضهم ؟



في ذكرى رجل عظيم

لن اتحدث عنة فهو يستطيع ان يتحدث عن نفسه، ولكنى سأقص عليكم ما كتبة رجال كبار السن عنة فى تعليقهم على ما كتبة سامح جميل عنة

"1958 رن جرس الباب فقام طفل صغير بفتح الباب ووجد امامة رجلا كبير السن متوسط الطول مابقى من شعرة كامل البياض، شديد اللطف و التهذيب ومبتسما، فسال الرجل الكبير، بابا موجود، فرد الطفل لا ، فناول الرجل الكبير الطفل كتابا وقال لة ، دة علشان ليلى (اختة الكبيرة) ، فنظر الطفل الى الكتاب وقراء الاسم والصورة على الكتاب ، سلامة موسى ، وتواردت خواطر الطفل ، هو انت بقة اللي ليلى تقرأه لي كتبة المدهشة.

1959 الصحف تعلن وفاة سلامة موسى ويعم الحزن منزل عائلة الطفل ويكون هو نفسه اكثرهم حزنا، الله يرحمة كما ساهم فى تربيتى - خالد مندور"

" صديق أبي الوحيد الذي يتعامل معي بصفتي ويحدثني بإسمي ولا يحدثني كالآخرين (ازيك يا حبيبي.. شاطر في المدرسة زي بابا) بل كان يحدثني ويقول لي إزيك يا طارق وينتظر الرد ويبدأ حوارا لا أتذكر منه شئ غير تعجبي من نفسي كوني أحدثه دون تحفظ كما لو كنت أحادث نفسي من شدة بساطته وطبيعيته وعدم إفتعال الترقق في الحديث مع الأطفال..... إنه سلامة موسي وكان أول إنسان أحبه وأعلم بعد قليل أنه (مات) وعرفت من يومها معني الموت - طارق مندور "



شعر العامية والسياسة وافاق المستقبل

يبدو ان شيطان الشعر ينادينى فهو نداهة اليوم فبعد ان كتبت عن شعر الفصحى ألحت النداهة على ان اكتب عن شعر العامية، ولأنه مكتوب بلغة الناس اليومية فهو اوسع انتشارا بين مختلف الطبقات الاجتماعية وأسهل وأقرب ان يستخدم للأغراض السياسية سواء بشكل مباشر ام في الأغاني الملحنة. ساتحدث عن ثلاثة من شعراء العامية الذين يمثلون ما اريد ان اتحدث عنة.

اولهم هو صلاح جاهين الاب الثانى لشعر العامية مع فواد حداد ، لقد كتب جاهين شعرا يخلب الالباب ، و كتب كتثيرا شعرا سياسيا الى مستوى انة اصبح فى مقام شاعر الصعود الناصرى وغنى هذا الشعر كبار

المغنين و على راسهم عبد الحليم حافظ ، ولكن معظم هذا الشعر السياسى اصبح جزءا من التاريخ السياسى و الادبى و دخل الى الذاكرة التاريخية و لا يمكن استدعائة من جديد لارتباطة بالمعارك السياسية للنظام و ليس بحركة الجماهير و برغم ذلك فان بعضة القليل سيبقى حيا لارتباطة بالشعور الشعبى العام ، فى اى زمان ، مثل الاغنية البديعة " بالاحضان " . ما سيبقى فعلا من جاهين، من الناحية الاساسية، هو شعرة المعبر عن روح الانسان وأحلامه وعلى راسها الرباعيات وهو الشعر الاعمق والارفع مستوى.

وثانيهما هو احمد فؤاد نجم، الذي ارتبط مباشرة بالحركة الجماهيرية منذ ان بدء يكتب، ومعظم ما كتبة هو شعرا سياسيا، والكثير من هذا الشعر، برغم روعته، سيدخل ايضا الى الذاكرة التاريخية، ولكن سيتم استدعاء بعضة كلما نشططت الحركة الجماهيرية مثل ما حدث فى يناير 2011 و فى اعقابها مباشرة و سيتم استدعائة من جديد كلما حان الحين.

وثالثهما هو سيد حجاب الاعلى ثقافة ووعيا وصاحب الموهبة العظمى، وبرغم ان كتابتة الشعرية السياسية المباشرة محدودة ولان ما كتبة يعبر عن الاحلام الانسانية الكبرى وبعيدا عن مباشرة جاهين واحمد فؤاد نجم في شعرهم السياسي، فسيبقى شعرة حيا لزمان طويل و لن يدخل الى ذاكرة التاريخ بالمعنى المقصود هنا. فتحية من القلب لشعراء الامة من غاوى للشعر




الشعر والسياسة

كثيرا ما يدور النقاش والمقارنة بين الشعراء بالاستناد الى مواقفهم السياسية المباشرة وهى طريقة ظالمة للشعر و للسياسة معا، او على وجهة الدقة للشعراء و السياسيين معا. فليس مطلوبا من الشاعر ان يقوم بدور سياسي مباشر وبالقطع لا يستطيع السياسي ان يصبح شاعرا بإرادته، وقليلا ما يجتمع الاثنين معا و حتى اذا اجتمع الاثنين ففى الغالب يطغى احدهم على الاخر ويصبح التعبير الشعرى هو و سيلة الشاعر للتعبير السياسى و كثيرا ما يؤثر ذلك على مستوى الشعر الناتج.

اكتب هذا بمناسبة النقاش الدائر حول صلاح عبد الصبور وامل دنقل، فصلاح عبد الصبور أحد أكبر شعراء الفصحى في بلادنا والبلاد العربية تعرض لظلم معنوى هائل حين طالبوة ان يكون مناضلا سياسيا و هو ليس كذلك و خصوصا فى ذلك الزمان الصعب. لقد كتب شعرا سيبقى للأبد مدافعا عن المستقبل وعن انسانية الانسان، وهو ما سيبقى منة وله ولنا.

امل دنقل نفسه لم يكن مناضلا سياسيا، بل شاعرا عظيما وكان يحلس على قهوة ريش عندما اعتصم الطلاب فى ميدان التحرير سنة 1972 فكتب القصيدة البديعة الكعكة الحجرية.

الاثنين معا دافعوا عن المستقبل وقدموا حلم الغد ولكن بتعبير شعرى مختلف و لكن المضمون واحد و لذلك سيبقى شعرهم الى الابد و الحمد للة انهم لم يمارسوا السياسة بشكل مباشر و الا كنا فقدنا شعرا عظيما.



البرغوث والاستهتار والسلفية

اية ده؟ الراجل اتجنن! ما هي العلاقة بين البرغوث والاستهتار او كمان السلفية؟ سأحكى لكم فى القرن الثامن عشر ، كان هناك بائعا هولانديا للثياب ،اسمه ليفنهوك ، وكان يهوى نحت العدسات ، لهوايته الخاصة ، وكلما نحت عدسة كان يختبرها و يحاول ان يرى بها اصغر الاشياء ، لأنه كان شديد الفضول و عالى المثابرة ، اى لم يكن مستهترا، لان الاستهتار ضرب من اليأس ، وهى حالة نفسية ، كما وصفه أحد كبار مثقفينا ، الذى ربانى صغيرا، فلقد استمر فى نحت عدسات اكثر تكبيرا ، الى ان استطاع ان يكون الانسان الاول الذى يرى رجل البرغوث ، ولم يكتف بذلك ، بل استمر فى نحت عدسات جديدة أكثر دقة ، وياالا هول ما رأى ، الكائنات الدقيقة ، اى الميكروبات .

ولأنه لم يكن مستهترا، فلقد تابع نحت العدسات و إجراء التجارب على كائناته الدقيقة ، حيث اكتشف الكثير من الحقائق حولها و نال عضوية الجمعية الملكية البريطانية ، أكبر هيئة علمية عالمية فى ذلك الزمان. وبرحيله ، اختفت كائناته الدقيقة من الذاكرة العمومية للبشرية ، لأن مستوى التقدم العلمى والاجتماعى لم يكن قد نضج بعد كى يدرك النتائج البعيدة المدى للكائنات الدقيقة ، سواء على صعيد الصحة العامة ام فى الصناعة.

وبعد ما يقرب من قرن آخر ، أى فى القرن التاسع عشر، بعد أن نضجت الظروف العلمية والاجتماعية ، بذخ على ظهر البرية ، كيميائى ، لا يعرف اليأس له سبيلا ، أي لم يكن مستهترا ، ولم يستهلك وقته فى شرح او تفنيد او حتى تاييد اكتشافات ليفنهوك ، اى لم يكن سلفيا بليدا ، بل شمر عن ساعديه فى غرفة معملة المظلمة ، تحت سلم منزله ، وشرع في العمل يدفعه شوق مجنون للعلم ولخدمة البشرية. ويصبح الانسان الاول الذى يكتشف ان الكائنات الدقيقة تضر وتنفع، وينطلق كما الاعصار لمعالجة مشاكل صناعة النبيذ وانتاج الحرير و معالجة امراض الابقار وحفظ الاطعمة ، ويخوض معارك علمية كبرى ضد السلفيين العلميين ، ويكتمل انتصاره العلمى حين ينجح فى معالجة اثنى عشر من الفلاحين الروس عقرهم ذئب مسعور ، جاءوا عبر أوروبا صارخين باسمة ، عندما علموا أنه قد أنقذ طفلا فرنسيا عقرة كلب مسعور ، للمرة الأولى في تاريخ البشرية..

وتنهال عليه التبرعات من كل مكان ، من الملوك و الفقراء والأمراء ، حيث يستخدمها فى انشاء المعهد العلمى الكبير ، معهد باستير فى باريس ، الذى مازال يخدم البشرية حتى الآن.
وبرغم أن السلفية او الاستهتار ، اى الحالة النفسية اليائسة، لا يمكن لها ان تسود على الصعيد العلمى ،لانها تتناقض مع الضرورات الاجتماعية المرتبطة بالإنتاج ، اى بالمصالح الطبقية ، فإنهما من الممكن ان يسودا على صعيد الأفكار الاجتماعية لفترات من الزمن يترتب عليها نتائج اجتماعية و خيمة.
اكتب هذا لاننى أثناء جهدي المتواضع لاختيار بعض الكتب لاقدمها لمكتبة النت قد اكتشفت ، أو أعدت اكتشاف ، سيادة السلفية و الاستهتار على صعيد الأفكار الاجتماعية والادبية داخل كل التيارات الفكرية ، بلا استثناء ، إلى مستوى شديد الازعاج ، وهو الأمر الذى يسود كذلك داخل معظم التيارات الاجتماعية والسياسية فى بلادنا ، برغم الاستثناءات.

أما آن لنا أن نرى رجل البرغوث؟!



هل انت عبيط؟

د. محمد مندور ينهى كتابته عن عبيط ديستويفسكي في كتابه نماذج بشرية، فيقول "والآن ماذا يرى القارئ؟ اهو عبيط حقا؟ ولك أن تراجع كل أقواله فلن ترى فيها غير الصدق. وقد تقول : ولكن الرجل عبيط عبيط ما فى ذلك ريب . فهو لايعرف اين يضع نفسه ولا يقدر نفسية من يخاطبه ولا يفطن الى ما فى ردود الخادم من وقاحة متصاعدة، وهو أخيرا لا يعرف ان ما كل حق يقال، وإذا قيل فما ينبغي أن يقال لكل إنسان وما الى ذلك من حكمنا الثمينة! قد تقول هذا وخير من كل هذا، واما انا فاعتقد ان عقولنا نحن هى الفاسدة وان حياتنا الاجتماعية قد خربت نفوسنا. لقد كانت من القسوة بحيث خلقت أرواح عبيد وارواح سادة. وكانت من الالتواء بحيث جعلت حياتنا كلها نفاقا متصلا واتخذت من هذا النفاق قانونا صارما يصيبنا من عدم احترامه أكبر الاذى، وأصبحنا جميعا نتساءل عن سر عبط هذا الامير بدلا من أن نتساءل عن سر فسادنا نحن خدما وسادة."

فهل انت عبيط؟ انا عبيط!!

واى شرف ان تكون عبيطا مثل عبيط دوستويفسكي، اى ان تكون اكثر انسانية و تسامحا والاتكون عبدا لاحد، ولا تخضع للقيم الاجتماعية الفاسدة ولا تقيم لها وزنا حتى ولو اتهمك الخاضعون لها بانك عبيط، هكذا

شرح محمد مندور عبيط ديستويفسكى وهكذا اطمح ان اكون عبيطا ديستويفسكيا اذا لم اكن فعليا كذلك، احاول منذ زمن بعيد ان اكون عبيطا!!

القاهرة والمثقفين

تابعت النقاش الدائر في عدد الاهرام الاسبوعى في ذكرى صلاح عيسى، بين كل من أمينة النقاش والسماح عبد الله، حول جريدة القاهرة، فى ثوبها القديم برئاسة غالى شكرى ثم فى ثوبها الجديد برئاسة صلاح عيسى، وشعرت بالاسى الشديد من متابع مستقل ليس لة اى علاقة شخصية او علاقة عمل مع اى من الاطراف المتناقشة.. بالنسبة لي، لقد فقدت مجلة القاهرة القديمة بمرض غالى شكري والتي كنت اتابعها بانتظام وبرغم ذلك كنت اتابع القاهرة الجديدة، ولكن بدون نفس الشغف القديم.

لقد كان الانطباع الذي خرجت به ان المسؤلون فى وزارة الثقافة قد تبنوا منطقا جديدا للقاهرة وبحثوا عن من يتوافق مع رؤيتهم، وهو نفس ما حدث فى مجلة الكاتب بعد استبدال احمد عباس صالح، نتيجة لعدم الرضا عن توجهاته، بصلاح عبد الصبور وتعرض صلاح عبد الصبور لهجوم ساحق من المثقفين لا يخلو من الاغراض.

ايها السادة المختلفون والمتصارعون حتى على الزمن الماضي، اما ان لكم ان تتصارعو مع من يقهركم بديلا عن صراعكم معا وهو يضحك في كمه.

الهدف ان تدار امور الثقافة والنشر والانفاق الحكومي، الذى يجب ان يتزايد الى اضعافة اذا كنا ننوى مقاومة الارهاب، بشكل ديمقراطي من المثقفين انفسهم، فتوقفوا عن مثل هذا النقاش الضار و قوموا بواجبكم ايها المثقفون.



الروح الأنسانية

هل تستطيع ان تحافظ على روحك الانسانية وان تحتفظ بقدرتك على ان تكون انسانا وباحترامك لنفسك كإنسان؟ نعم تستطيع اذا كنت غير منخرطا فى النشاط العام لان خيارتك لتحقيق ذلك تبقى، في النهاية ، خيارات غير مهددة لحياتك او حياة احبائك و يمكن تعويض خسائرها ، طال الزمن او قصر ، اما اذا كنت منخرطا فى النشاط العام فالأمر مختلف فى بلاد مثل بلادنا ، فى معظم تاريخنا الحديث ، فالخيارات تكون حدية ، و الكثير منها يتضمن تهديدا خطيرا ليس فقط لحياتك بل ايضا لحياة من تحب ، ولا مخرج منها ، اذا كنت تريد ان تظل انسانا، الا ان تكون جزءا من عمل جماعى اكبر يتضمن ، ضمن آلياته ، مساعدتك في ان تكون انسانا.

اكتب هذا بمناسبة نقاش قصير دار مع صديق مثقف متخفي في صورة صعيدى من ابنوب بخفة دمه وانسانيته حول اثنين من كبار مثقفينا.

لقد رأيت كيف سحقت روح بعض كبار مثقفينا من الجيل السابق وكيف كانت عذاباتهم التى امتدت الى نهاية حياتهم، ولكننى كنت محظوظا ايضا فى ان اتعلم درسا بليغا من ابى فى كيف يجب ان نتعامل معهم، فلا زلت اتذكر كيف كنت اشعر "بوجع القلب " و انا طفلا صغيرا كلما كنت ارى احدهم ، فرحمة بالجميع .



زمن حاتم زهران والدراما الإنسانية

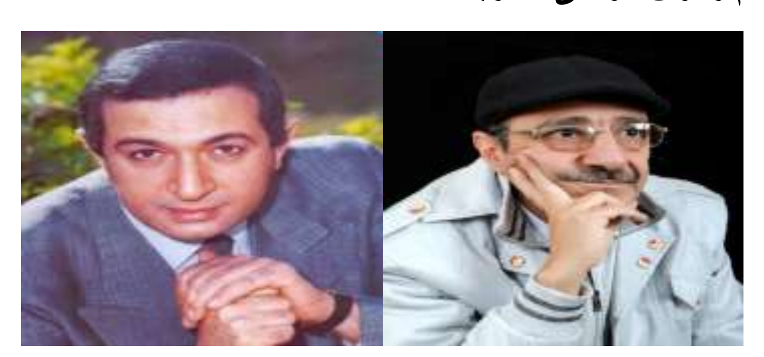
زمن حاتم زهران فيلم للمبدع الكبير نور الشريف ، ظهر فيه وغد زنيم باسم حاتم زهران سنة 1987، ولكم ان تتخيلوا حجم التأثير النفسى الذى تركه فى نفوس المشاهدين اداء هذا الممثل العبقرى ، هذا التأثير النفسي الذى اعرفه جيدا ، واعرف كيف يمكن أن يؤثر فى نفوس المشاهدين ، وهو ما حدث معى عندما توقفت عن مشاهدة اى فيلم أو سماع اي اغنية لهدى سلطان بعد فيلمها الشهير ، امرأة على الطريق ، لسنوات طوال امتدت الى ان بدأت فى الظهور فى المسلسلات التليفزيونية فأزال أدائها العبقرى الحاجز النفسي الذى كان ادائها العبقرى نفسه قد أقامه بعد فيلمها الشهير.

ويشاء الحظ العاثر لمثقف وطنى ان يكون اسمه حاتم زهران، ولكم أن تتخيلوا حجم ما قد تعرض لة نتيجة لتطابق الاسماء، حيث لم تكن هذه المرة الأولى، لأن هذا الاسم نفسه يحمله شخص آخر في الواقع ، قام بدور مشبوهة ، فى القضية الشهيرة سنة 1977 ، حين شهد ضد معظم مثقفي الأمة المتهمين فى هذة القضية ،

و التى انتهت لصالحهم ، الى الحد الذى دفع هيئة المحكمة ، فى حيثيات الحكم ، إلى وصفة بخرب الذمة و معدوم الضمير .

فيا حاتم يازهران تحية لك، نحن نعرفك، ونعرف انك لست خرب الذمة او معدوم الضمير او وغد زنيم، و نقدر تقديرا كبيرا ما تعرضت لة، فأهلا بحاتم زهران !

انظروا الى صورة حاتم زهران الوطنى الشريف



عزيزة اللذيذة

شايفين الست البديعة اللي فى الصورة ، امى الثانية ، عزيزة عبد العزيز ، كبيرة مفتشى اللغة الانجليزية فى وزارة التربية و التعليم سابقا ، مع ايمان (ايمى) بنت اخى الشهيد عميد اركان حرب ماجد مندور، من زمان .

صاحبة قلب من ذهب وود عميق نابع من اعماق قلبها ، كانت امى اصغر اخواتها و امى الثانية رقم اثنين من بين خمسة اخوات و اخوة و برغم ذلك كانت تجمعهما صداقة عميقة ، لم ترزق باطفال من زوجها الودود اللطيف الحكيم و المثقف ، عمى و صديق ابى ، وصديق كل اطفال العائلة ، محمود مرسى راشد ، عميد كلية الالسن ، في ذلك الزمان.

كانت الوجة الاول اللذى رايته على وش الدنيا، فلقد تلقفتني في الفوطة عندما وصلت وكادت ان تسقطنى الى الارض لان وضع يديها كان مفتوحا أكثر من اللازم فتلقفتني بفستانها.

عندما سافر ابى وامى الى الخارج لاجراء عملية خطيرة بالمخ لازالة ورم حميد بالغدة النخامية اقاما معنا، نحن الخمسة، وتوليا المسؤولية بود وصبر وحنية بالغيين.

و بعدها بسنوات اصيب ابى بالازمة القلبية امام عيني، انا الشاب الصغير جدا، و انهارت أمي و أختي الكبرى، و برغم ذلك لم ابكى ، انا العيوطة ، بل توليت المسؤلية ، و طلبت الاسعاف و تعاملت معهم لكن القضاء كان قد نفذ ، و خابرت اقاربى الاخريين ، وامتلاء المنزل بالناس وبرغم ذلك لم ابكى ، الا ان حضرا ، فانفجر شلال البكاء، و يبدو انة لم يتوقف منذ ذلك الزمان البعيد.

لم تطلب منى ابدا اى طلب، برغم انها تعلم انها لو طلبت لبن العصفور ساقاتل كى احضره، ما عدا طلبا وحيدا، ورد، وأحضرته.


عاشت بعد أمي سنوات قلائل وطلبت ان نتذكرها طالما نحن احياء.



انا وهو

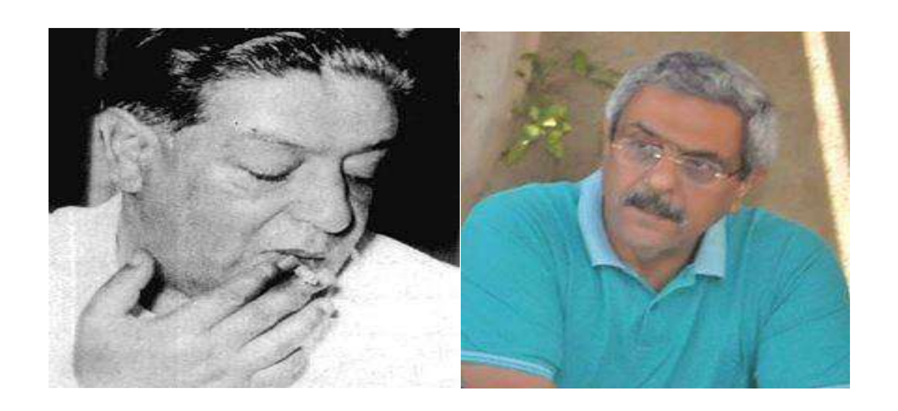
توفى عندما كنت شابا صغير السن، اى في سن السابعة عشر، وبرغم ذلك كنت أتابع مقالاته بانتظام شديد، الى مستوى اننى كنت اتسلل لاستمع إليه وهو يمليها، فلقد قد كان يفضل ذلك، وهو يدخن ويذهب ايابا و عودة فى غرفة المكتب ، وكنت اعيد قرائتها بالانتظار فى الشرفة لا تلقى كل الجرائد التى يلقيها البائع و اقرا المقال قبل أن ينتبه ويسأل عنها فاسلمها الية ، وكنت اتسلل ايضا واقبع فى كورنر صغير عندما يحضر اصدقائه او تلاميذه لأستمع في هدوء بالغ.

وبوفاته أصبت بخسارة فادحة فلم أفقد فقط الاهتمام والدلع، كان بيدلعنى برغم احتجاج أمي الدائم، خسارة نفسية وانسانية وثقافية فادحة، وبرغم تطور علاقتى بأمى تطورا كبيرا الى مستوى الصداقة المتينة الا انها لم تستطع تعويضى عما فقدته، الا تعويضا جزئيا.

ولسخرية التاريخ، تاريخ بلادنا، فبعد هزيمة 67 وبعد نشر كتاباتة السياسية فى الاربعينيات بداءت فى التعرف على ما كان يتبى ويكافح من آجلة سياسيا واجتماعيا، ولكنها جاءت متاخرة حيث كنت قد انتقلت لتبنى مواقف اكثر راديكالية فكريا وسياسيا، وكنت اعتقد، في ذلك الزمان، ان ما كتبة اصبح جزء من التاريخ السياسى الاجتماعى والادبى لبلادنا وان علينا ان ننظر الى المستقبل و ليس الى الماضى. ويدور الزمان وتتغير الاحوال وتعود نفس المهام و اكثر منها، وكاننا ما زلنا، ليس فقط في الاربعينيات، بل قبل ذلك بكثير.

وبرغم انى على الصعيد الفكري مازلت أكثر راديكالية منة الا انني أدرك اننا نواجه نفس المهام التي واجهها الجدود والاباء، جهود تحقيق النهضة والاستقلال والتي لا يمكن تحقيقهما الا بجهد تنويرى عميق وشامل و بدون ميوعة او مساومة، وقبل و فوق هذا بدون ضييق افق حلقى او شللى او حزبى سيأسى او حتى مزاجي.

لقد كتبت سابقا اطالب ان نستدعى مدفعيتنا الثقيلة من مخازنها وان نستخدمها ، نستدعى البارودى و محمد عبدة و السربونى وطة حسين وشبلى شميل وسلامة موسى و عبد الرازق وغيرهم وجيل الآباء محمد وعبد العظيم انيس و العالم وشهدى ومحمد مندور ولويس عوض وفوزى جرجس و عبد الصبور و غيرهم بما يفتح المجال اما اجيال الستينات و السبيعينيات الى اجيال الابناء ، وان نقبل الاختلاف و الخلاف بروح تدرك عمق وخطورة المهمة الثقيلة ، وعلى الراديكالية الفكرية ان تدرك الضرورة الملحة للجهد التنويري المطلوب ، فلا راديكالية اكبر او اعمق من مما أدعو إليه.



فجر الضمير والفخر القومي

فى كتابه البديع، فجر الضمير، اوضح عالم المصريات الأمريكي الشهير، جيمس هنري برستد ، فى الثلاثينيات ، حين أصدر كتابه الشهير ، أن الضمير الانسانى هو اختراع مصرى فرعونى اصيل ، وأن القيم الإنسانية المكتشفة و المتبناة ، اجتماعيا ، أصبحت ليس فقط الضمير الانسانى المصرى العام ، بل أثرت ، لاحقا ، فى المعتقدات الإنسانية العامة بأشكال مختلفة.

وبرغم أن اكتشاف برستد فكرة خلابة وتدعو الى الفخر القومي، وخصوصا ان المصريين، كل المصريين، يرضعوا هذا الفخر بالتاريخ، مع الرضعة الأولى لهم على وش الدنيا، الا انى اعتقد انها غير دقيقة لأسباب سأوضحها.

فالضمير الإنساني هو ، باختصار ، مجموعة من القيم و القواعد و النواهى تضمن ، باتباعها ، استمرار المجتمع ، وهي لذلك ، بالضرورة ، شيء متغير بتغير طبيعة المجتمعات وتطورها ، لكنها تصعد من مستوى الى مستوى اخر محتفظة بالكثير من محتواها الاول بعد تطوير محتواه بما يتناسب مع طبيعة المجتمع الجديد. الضمير الانسانى ، بالضرورة ، نشاء عندما تجمع الإنسان فى مجموعات لمواجهة الطبيعة ونشاءت قواعد اخلاقية تضمن استمرار المجتمع الذى لم يكن يحقق فائضا اجتماعيا يسمح بنشوء الملكية الخاصة. ولذلك من حق المصريين ان يشعروا بالفخر ، ليس لانهم من " اخترع الضمير " ، بل لأنهم من أوائل الشعوب التي كتبتة و قدمته الى الانسانية ، تعبيرا عن مجتمع سابق في التطور، مجتمع زراعى متطور تحمى تطورة عوامل جغرافية لمئات ان لم يكن آلاف السنين ، ضمير يعكس مستوى تطورهم الاقتصادي و الاجتماعي.

وبصرف النظر عن دراسات علماء الاجتماع والسياسة عن بقايا المجتمعات البدائية فى امريكا الشمالية، فان السينما الامريكية قدمت افلام هامة توضح الضمير الإنساني لهذه القبائل فى مواجهة التوسع الرأسمالى العاتى، ومنها فيلم "العسكرى الازرق" و فيلم " رقص مع الذئاب" ، وهما يوضحان الفرق بين الضمير الانسانى لقبائل مازالت فى مرحلة البداءة ، مرحلة ما قبل الملكية الخاصة ، والضمير الانسانى لمجتمع رأسمالي في فترة النهوض.

ولذلك يحلم الحالمون بمجتمع ذو ضمير متطور يعكس ما بلغته الإنسانية من تطور إنتاجي وعلمي عظيمين!!



طه حسين والثقافة اليونانية

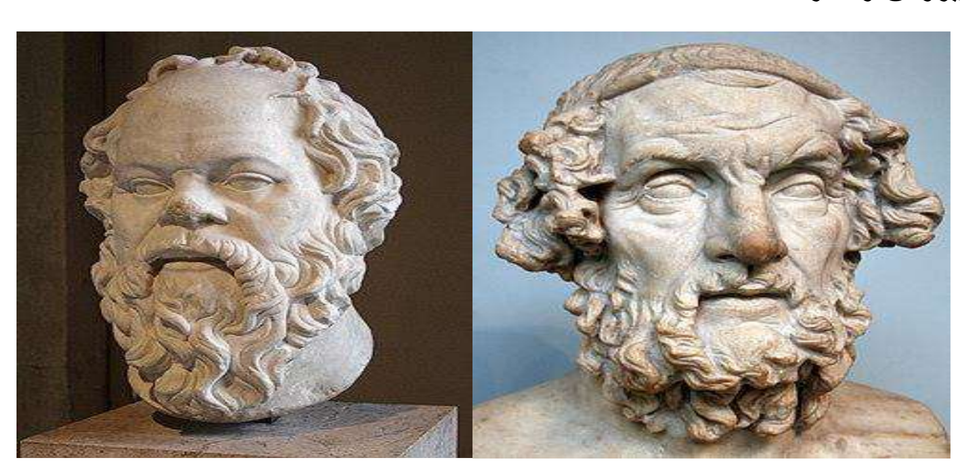
شروط تبدو غريبة تلك التي وضعها طه حسين للطلبة المصريين الذين أرسلتهم الجامعة للحصول على الدكتوراه فى الآداب من فرنسا فى بدايات ارسال البعثات الحكومية، في بداية الثلاثينات، حيث وضع شروطا للطلاب بضرورة الحصول على ليسانس السوربون ثم دبلوم عالى فى اليوناني، من ضمن مطالب أخرى، تتجاوز بكثير مطالب السوربون للسماح بالتقدم للحصول على الدكتوراة.

هذه المطالب والشروط لا يمكن فهمها إلا بإدراك ان هذا الرائد الكبير لم يكن يرسل البعثات للحصول على الدكتوراة ، بل لإعداد كادر مثقف ثقافة حقيقية يساهم فى جهود النهضة الشاملة ، وكان مطلب دراسة اليونانية وآدابها مدخلا لازما لفهم و استيعاب الحضارة الحديثة لما قدمتة من انجازات على صعيد الفلسفة والأدب بل و العلوم وعلى تطوير الضمير الإنسانى، والتى اصبحت الاساس الذى بنيت عليه الحضارة الحديثة. وفى اعتقادى أنه كان مصيبا ، وخصوصا اذا اضيف الى هذا التوجهة ما قام بة، هو وزملائه، من تقديم الحضارة الفرعونية وإعادة دراسة وتقديم التاريخ الاسلامى و الادب العربى القديم وفق منهج ومنظور جديدين يستجيب لاحتياجات النهضة المستهدفة.

اكتب هذا استجابة لملاحظة صغيرة حول دعوتى لاستدعاء أسلحتنا الثقيلة من مخازنها ، اسلحتنا الثقافية المتمثلة فى إنتاج الآباء و الجدود ، حين علق أحد الأصدقاء بقوله إن إنتاج حاضرنا يتجاوز ما انتجة الجدود والآباء فى نقد التراث ، وهو ما اصابنى بالفزع برغم ان تعليقة قد يكون صحيحا جزئيا ، وذلك لأن الحضارة الحديثة لا يمكن فهمها الا باستيعاب اصولها ، اى كل الانجازات البشرية السابقة لها .، والكثير من الإنتاج الإنساني القديم مازال يحتفظ بنضارته الانسانية و قدرته على التعبير عن الاحلام الإنسانية الكبرى ، فمن منا لا تجذبه الالياذة والاوديسة او شعر الشعراء العرب قبل وبعد الرسالة ، او الفتنة الكبرى لطه حسين او دراسات احمد امين عن التطور العقلى للعرب او كتب سليم حسن عن الحضارة الفرعونية برغم تجاوز أساليب التعبير او النظم واختلافهما اختلافا كبيرا عن أساليب عصرنا.

تبقى ملاحظة صغيرة تبدو خارجة عن السياق، فلقد فهم التلميذ البكرلطة حسين جوهر أهدافه واستجابت طبيعته المتمردة لتمرد طه حسين نفسه، فتمرد علية، وانطلق يدرس ما لم يطلبه طه حسين، فدرس وحصل على دبلوم عالى فى القانون و الاقتصاد و دبلوم عالى فى تاريخ العمارة و دبلوم عالى فى علم صوتيات الشعر العربى بالاضافة لليسانس السوربون و دبلوم اليوناني، كل هذا تحضيرا للزمن القادم !! فهل نحن قادرون و راغبون فى التحضير للزمن القادم؟ ارجو ذلك.

الصور لهوميروس وسقراط



التنوير وتربية الذوق والفنون الجميلة

"يخطئ كثير من الناس عندما يظنون أن قيمة المرء او قيمة الشعوب تقدر بمقدار ثقافتها العقلية، وذلك لأننا لو تدبرنا الأمر لوجدنا ان تاثير العقل على سلوكنا فى الحياة ونجاحنا في المجتمع تأثير محدود، وعلى العكس من ذلك قوانا الشعورية العاطفية، فهي في الحقيقة محركنا الأول في الحياة.

والذوق وثيق الصلة بحياتنا العاطفية، لان الاحساس الرقيق لابد ان يولد ذوقا رقيقا. ومن هنا يرى كثير من العلماء ان حضارة الأمم تقاس بمقدار اهتمامها بالفنون الجميلة."

هكذا كتب د. محمد مندور فى جريدة البعث سنة 1946 وهو ينشر صورا من الفن العالمي ويعلق عليها، ويبدوا أنه كان مهموما بقضايا التنوير نفس همنا الحالي!

وبرغم انى اوافق على أن قوانا الشعورية العاطفية هى الدافع الظاهر للحركة الا أنها تتأثر، في علاقة جدلية، بالثقافة العقلية، وانة كلما تطورت الثقافة العقلية نضجت قوانا الشعورية والتي، بالضرورة، توثر من جديد فى ثقافتنا العقلية.

ولأن الابن يتأثر دائما بابية، وخصوصا إذا كان محظوظا، بوالد لة هذا النضج العقلي والقوى الشعورية العاطفية الناضجة المؤثرة، سأقدم لكم صورتين لتمثالين من الفن العالمي القديم، واحدة من اختياره والاخرى من اختياري.

الاولى تمثال هرمس، رسول الآلهة، يستريح، صنع من البرونز في القرن الرابع قبل الميلاد حيث تجد الرشاقة والجمال والاستعداد للحركة من جديد، أو ليس هو الرسول الدائم الحركة!

والآخر تمثال الملك خفرع، من الأسرة الرابعة الفرعونية، اى قبله بثلاثة آلاف عام، صنع من حجر شديد الصلادة و الجمال، خفرع في حماية حورس، حيث تجد الرسوخ والقوة و الاطمئنان الى المستقبل، وهو ليس اختصارا للطابع الفنى للفن الفرعوني، حيث تجد الرشاقة و الجمال و الرفاهة البالغة فى الرسومات الفرعونية .



اللي له كبير ما ينضربش على بطنه

ما اقسي ان تكون انت الكبير، حتى اذا لم يريد احدا شيء منك، و يزيدها قسوة ان تشتاق الى كبيرك الذى رحل، حتى و لو كنت لا تريد شيئا منه، ولكنك تعرف أنه موجود، تعرف ان الشهامة و الجدعنة و الانسانية والرجولة والسند النفسى خلف ظهرك اذا احتجت.

معلش شوية اكتئاب على الماشي، هطق.



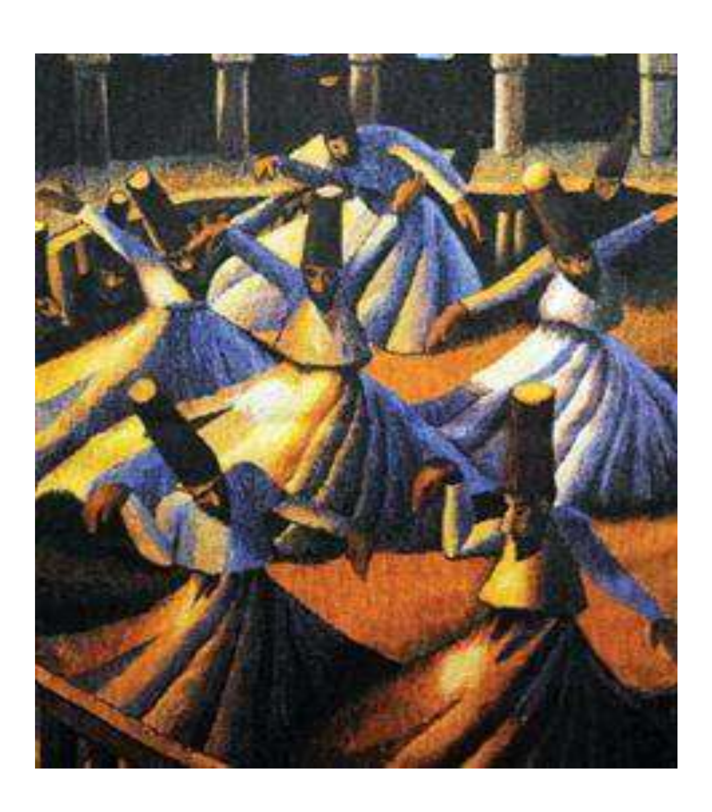
الدراويش ومحمود سعيد

يبدو ان الدروشة أصبحت سائدة الى مستوى انها اصبحت مرضا يصعب الخلاص منه، دراويش الليبرالية واليسارية والبونابرتية والسلفية الدينية والفكرية، الكل متمترس خلف تصوراته، بحيث أصبح ليس فقط عاجزا عن رؤية الواقع فى تغييراته، بل أيضا فريسة للنصابين الذين يروجون، عن عمد، لأكاذيب مستغلين هذه الدروشة ومستندين إلى معلومات مزورة أو ليست ذات علاقة.

والأمر الأكثر خطورة، أن الكثير من القادرين على إنتاج فكري متميز قد خضعوا لهذا المناخ الدراويشى، إما باستكمال دروشتهم او اتقاءا للضغوط أو حتى بحثا عن تقدير أدبي داخل التوجه المعين، الأمر الذي قادنا الى مجموعات مغلقة لا تستطيع أن تتحاور أو أن تخرج عن نمط التفكير السائد داخل كل توجه، وأصبح من الصعوبة بمكان أن يتم النقاش وتبادل للأفكار لأن هذا التبادل أصبح، في ظل سيادة الدروشة، اعتداء على الذات أو خيانة للانتماء.

لقد أصبح لدينا مجموعات منغلقة، حتى ولو كان توحدها على خطوط عامة، وهي ظاهرة خطيرة على المستقبل إذا لم يتم التنبه لها، لقد أصبح لدينا عشائر.

اللوحة لمحمود سعيد



الدماغ

فى العامية المصرية تستخدم كلمة " ده دماغ " للدلالة على عمق تفكير الشخص المعنى، هذه الادمغة شديدة الاهمية لفهم الحاضر واستشراف آفاق المستقبل.

ولكن هذة الأدمغة لا تنشأ من فراغ، بل هي نتاج اجتماعي، اى انها نتيجة لحالة اجتماعية تحث البشر على التفكير والإبداع، ولكن قدرة " الأدمغة " شديدة الارتباط بالمستوى الثقافى الاجتماعى العام وبالجهد الخاص " للدماغ " فى تطوير قدراته والرغبة الاجتماعية العامة للتغيير

، ولو تأملنا فى تاريخنا الحديث لظهر ذلك بشكل ساطع ، ليس فقط على الصعيد الفكري بل أيضا على صعيد العلم ، فعندما كانت مصر تقاوم لنيل الاستقلال وتحقيق التقدم بقيادة طبقات اجتماعية جديدة تطمح للسيطرة على السلطة و السوق ، وجدنا " الأدمغة " تتكاثر ، وجدنا طه حسين واحمد امين وسلامة موسى و مصطفى مشرفة و غيرهم من الرواد ، الذين ساهموا مساهمة عظيمة فى إنتاج الجيل التالى من " الأدمغة ". ويأتي جيل جديد من الادمغة ، جيل أصبح شديد الارتباط باستكمال محاولات النهضة والحالة الاجتماعية العامة الراغبة فى التغيير ، اخطأ و اصاب ،ولكنه قدم إنجازات كبرى.

ومع تعثر محاولات النهضة، تقل الادمغة الجديدة، ويصبح خسارة أحدها فادحا، فالجيل الثالث ينقرض بحكم الطبيعة، وتقل الأدمغة الجديدة الواعدة من الجيل الرابع.

انا لااتحدث هنا على توجهة سياسي او اجتماعي معين، بل عن نتاج ثقافى اجتماعى عام وشامل يتضمن مختلف التوجهات الاجتماعية والثقافية وحتى العلمية، فيالها من كارثة.



عقلك وعقل طفلك

يخطئ الكثير من الكبار حين يستهينون بعقول اطفالهم ، بحكم ان الاطفال محدوى الخبرة الحياتية والنضج النفسى ومحدوى الثقافة و العلم ، ولكن العضوالوحيد فى جسم الانسان الذى يكتمل نموة بعد شهور قليلة من الولادة هو عقلة ، ولا يفقد ، مع مرور السنين ، الا جزء صغير من خلاياة ، لا يتجاوز 10% من عددها ، فى حين ان ما يستخدم فعليا خلال الحياة لايتجاوز حوالى 10% من طاقتة ، للانسان العادى ، اما اذا نجح الانسان فى الوصول الا استخدام جزء اكبر من طاقتة ، 15% مثلا ، فنحن نتحدث عن اينشتين . ولذلك يتحمل المجتمع المخالط للطفل ، الاسرة و المدرسة ، مسؤلية جسيمة فى اعداد هذا الكائن الصغير البديع ، صاحب العقل المكتمل الخلايا ، لمواجهة المستقبل .

ولعل القراءة هى احد اهم الوسائل لتطوير امكانيات هذا الكائن الصغير الجميل، ولكن ماذا يقرا؟ هناك العديد من الكتب الذى يعتقد من كتبها انها ملائمة للاطفال وبعضها تبسيط للكثير من الادب العالمي المكتوب للكبار، يفعلون هذا فى الشرق و الغرب، فيتحول هذا الادب الى مجرد حكاية ويفقد الكثير من قيمتة ، وهناك ، ايضا ، الكثير من الكتب التى كتبت للاطفال متناسبة مع مختلف الاعمار ، مثل كتب كامل الكيلانى او كتب هانز كريستيان اندرسون.

وفى الحقيقة انه لا يوجد مقياس محدد لما يستطيع الطفل ان يقرأه، فالأمر يختلف من طفل الى اخر ، تاثرا بالمناخ الثقافى العام المحيط بالطفل ، ولذلك يجب اتاحة الفرصة للطفل ان يقراء ما يستطيع ان يفهمة ، مهما كانت هذة الكتب مخصصة للكبار ام للصغار ، فالطفل هو الذى سيحدد لنفسة وبنفسة ما يريد ، بالقطع مع مساعدة من الكبار لاتصادر حقة فى الاختيار.، ومن المحاولة و الخطأ .

ولعل احد الخيارات، التي لا اتفق معها، هو وضع الكتب المبسطة من الادب العالمي في متناول الطفل، وذلك لان هذه الكتب تختصر هذا الادب الى حدوتة وتفقد الكثير من قيمتها، وتتراوح فى قيمتها الادبية مع امكانيات

المختصر نفسة ، والاكثر اهمية ان الطفل ، مع تطور امكانياتة ، قد لا ينجذب الى قراءة الاعمال الاصلية لانة يعرف " الحكاية " فيفقد الكثير .

فلا تستهينوا بعقول اطفالكم!!



الاشرار والخونة

الشر والخيانة صفتان يتكرران كثيرا في التاريخ، يكرهها اى قارئ، خصوصا إذا كان قويم الأخلاق حسن التربية ويزداد كرة إذا كان رومانتيكيا، فتتعالى إدانته الأخلاقية لأصحابها وتختفي الحقائق الجديرة بالتوقف عندها!!

ففي التاريخ لا يتساقط الشر او الخيانة او كلاهما معا من السماء، بل هما نتاج أوضاع اجتماعية وسياسية تهيئ المناخ اللازم لوجودهما ثم لتأثيرهما، الفارق الوحيد هو في طريقة الأداء، أي أن الملكات الشخصية للشرير او الخائن ستؤثر فى النتائج من حيث طريقة وسرعة تحققها، ولكنها لا تستطيع أن تخلق واقع جديد من العدم، فلا شيء يحدث خارج هذه الاوضاع او متجاوزا لها.

اكتب هذا مدفوعا بالعديد من النقاشات الدائرة منذ زمان بعيد، ومازالت مستمرة، حول الكثير من الشخوص التاريخية، سواء بالنقد العنيف أو بالتأييد العاصف، التالية أو التخوين، متجاهلة التغييرات الاجتماعية والسياسية الواجب التوقف عندها، لأنها القادرة وحدها على تقديم التفسير الاكثر تماسكا للتغييرات التي تمت او حتى اثناء تحققها.

ومن الاهمية بمكان مراجعة التصورات السابقة، وفق هذا المنطق، مع التغييرات الجارية، لتعديلها بحيث تكون أكثر اتساقا مع الواقع، ليس للتمتع بها، ولكن لاكتشاف آفاق تطور هذا الواقع والتناقضات المحيطة به.

الصور

إبراهيم الهلباوى، المدعى العام فى قضية دنشواي، لم يسامحه الشعب المصري ابدا

الخديو توفيق، توفيق يا وش القملة، مين قالك تعمل دى العملة



" احنا اهو "

"كلما اسمع كلمة الثقافة أتحسس مسدسي" – جوبلز

هكذا قال اللعين جوبلز ، وزير دعاية هتلر، للدلالة على الخطورة البالغة للثقافة و تأثيرها على البشر، فأحرق الكتب و طارد المثقفين ، فهل نستطيع إجبار أعداء الحياة على إدراك أن لدينا أسلحة ثقيلة ، أكثر فاعلية وأوسع مدى من قوات التدخل السريع والقوات الخاصة والسيارات المدرعة ، نعم ايها السادة لدينا هذه الأسلحة، ولكننا لا نستخدمها بالكفاءة اللازمة فى معركة الحفاظ على الحياة وعلى مستقبل اولادنا. لدينا دار الأوبرا و المسرح القومى و اروكسترا القاهرة السيمفونى والكنسرفتوار ومعهد البالية و فرقة ومعهد الموسيقى العربية ، لدينا الجمعية التاريخية والجمعية المصرية للاقتصاد والتشريع وغيرها من الجمعيات العلمية والتاريخية ، لدينا دار الكتب ومكتبة الإسكندرية ودور النشر الحكومية ، فماذا ننتظر كى نشن هجوما شاملا على أعداء الحياة ، هجوما لا يبقى حجر على حجر ، نهجم عليهم بأم كلثوم وسيد درويش وطه حسين ، بالموسيقى العالمية و العربية ، بالمسرح و التاريخ و الكتب، بالبالية و الفن الشعبى، نذهب الى الناس حيث يوجدون ، فى سوهاج وقنا واسيوط والبحيرة والشرقية ، ومن لا يذهب يعتبر هارب من الميدان ، يذهبون كى يساعدوا من هو موجود فعلا فى الخط الامامى و لا يجد من يساعده .

لقد قفزت من على الكنبة عندما رايت في منشور إحدى الصديقات خبرا بسيطا عن جمعية صغيرة فى جنوب القاهرة تحتفل بانتهاء عرض مسرحى للجمعية قام بة اطفال ومن إخراج مخرج مسرحى كان فى صغره منضما لهذا النشاط، أي أن هذا النشاط الخلاب مستمر لمدة تتجاوز العشرون عاما ، فهل نستطيع أن نكون مثلهم ؟ هل نستطيع ان نقول " احنا اهوو" كما أطلقوا على عرضهم، نعم نستطيع، شرط توافر إرادة الدولة السياسية.



نداء من القلب، الى كل حلواني

نوتردام تحترق، للأسف الشديد، ولكن هل يمكن استعادتها؟ نعم يمكن، إذا كان قد تم توثيقها بشكل محترف، لقد رأيت القصر الصيفي في سانت بطرسبرج فى روسيا بعد أن تمت استعادته بعد أن كان قد دمر تدميرا شاملا فى الحرب العالمية الثانية، ليس فقط المباني، بل ايضا الأثاث الى الحد أنك لا تستطيع التفرقة بين القديم والجديد. لماذا اكتب هذا؟ ما لنا ومال نوتردام التي تحترق في باريس؟ خلاص انتهت مشاكلنا ونقاشاتنا حول تعديل الدستور كى نهتم بكنيسة تاريخية تحترق على بعد آلاف الكيلومترات في بلد غريب؟ اكتب هذا ليس فقط لان اى منتج أدبي أو ثقافي او جمالى هو جزء من تراث الإنسانية بصرف النظر عن مكان وجوده، ولكن للفت الانظار الى الاهمية البالغة لتوثيق كل مبانينا الاثرية، توثيقا علميا محترفا، بما يمكن من استعادتها أو حتى ترويجها بشكل احترافي، أتحدث عن أهمية استعادة قصر الجوهرة الذي احترق في سبعينات القرن الماضى، اتحدث عن إزالة يد القبح الشنيعة في وسط القاهرة بازالة مبنى انتظار السيارات الشديد القبح وإعادة بناء الأوبرا القديمة في ميدان الأوبرا.

أن أي وزير للثقافة لا يستحق ان يبقى على كرسيه يوما واحدا، كائنا من كان، إذا لم يبدأ فورا في توثيق كل المباني التاريخية المسجلة، ولا اتحدث عن صيانتها، فهذه قصة اخرى.

أيها السادة "الحلواني اللي بنى مصر" يتململ في قبره حزنا من عقوق أبنائه وغفلتهم.



جوبلز والكذب والفيس بوك

ظاهرة لا تثير العجب ، فهي قصة قديمة منذ أن اخترعت أدوات الاتصال الحديثة ولكنها رفعت إلى مستوى النظرية على يد جوزيف جوبلز ، وزير دعاية هتلر الشهير، اكذب ثم اكذب وزيد إصرارا على الكذب ، ولكن عليك و أنت تفعل ذلك أن تراعى الميل النفسي للجمهور المستمع أو القارئ ، ولامانع من تدعيم ما تقول بمصادر لا تدفع القارئ إلى الشك في مصداقيتها ،رغم انها قد يكون مشكوك فى صدقها او نزاهتها أو حتى فى دقتها ، وياحبذا لو كنت تمتلك بعض المؤهلات العلمية التى تدعم التصور العام عنك و توحي بمزيد من الثقة ، ولأننى لست بريئا ، ودودة قراءة ، فان قرون الاستشعار تتحرك فورا عندما أتعثر بما يكتبون ، وابدء فى متابعته ، الى ان اتاكد ان ما يكتبون ليس مدفوعا بحسن النية ، بل هو كذب قارح واضح و فاجر ، وانا هنا لااتحدث عن ارائهم بل عن المعلومات التى يقدمونها لخدمة هذه الآراء ، فمن حق أى إنسان أن يتبنى ما يراه من آراء و لكن ليس من حقه أن يزور الحقائق او يخفيها لكي يقنعنا برأيه ، وخصوصا اذا كان يستطيع الحصول على المعلومات الصحيحة .

انا اتحدث هنا عن نمط معين موجود على الفيس، لا أعلق على ما يكتبونه الا نادرا و فى حالات خاصة جدا ، اى عندما اجد بين من يصدقهم أناسا لا شك فى استقامتهم ووطنيتهم و اخلاصهم ، فيتملكني الغضب فاعلق ، فعذرا لغضبي الذى لا يحدث كثيرا



نحن والتبعية

لا اقصد التبعية السياسية او الاقتصادية، بل تبعية اشد واقصى وأكثر خطورة، التبعية الثقافية، التي بدون التخلص منها لايوجد أمل حقيقي في التقدم.

انا لا اتحدث عن تجاهل الانجازات الفكرية والثقافية والعلمية التي حققتها الشعوب الأخرى، على العكس، أدعو الى دراستها واستيعابها وهضمها طريقا وحيدا لاكتشاف طريقنا الخاص باستخدام أحدث ما توصل اليه العلم الإنساني وخبرات الشعوب، وهو ما لم نفعله بشكل حقيقي ممنهج منذ بداية محاولات النهضة، قبل او بعد محمد على وحتى الآن.

وللأسف الشديد فان التبعية الثقافية قد عمت كل التيارات الفكرية الكبرى فى تاريخ بلادنا ، فنجد تيارات فكرية ليبرالية و نيوليبرالية على النمط الأوروبي ، وتيارات فكرية إصلاحية تختار ما تتبناه من مجتمعات الشمال الأوروبية أو من الأحزاب الاشتراكية الأوروبية ، وحركات يسارية تختلف على ما اختلفت عليه الحركات اليسارية الأوروبية منذ مائة عام ، اى ان كل هذه التيارات ، باختصار ، تغني على ليلاها بعيدا عن ليلاء الجماهير ثم تتباكى على عزلتها ، متجاهلة ، أن هذه التيارات الفكرية الأوروبية هى نتاج مرحلة تاريخية كاملة من التطور الاجتماعى الثقافى و أنها لم تتشكل بالصورة التى نعرفها بها الآن ، بل مرت هى نفسها بمراحل تطور كثيرة وأنها نتاج طبيعى لمجتمعات مرت بمراحل من التطور بعضها شديد الدموية .

ان إحدى النتائج الخطيرة لهذا هو ترك الجماهير فريسة لتيارات فكرية سلفية تستعيد من ماضينا اكثر الافكار رجعية وتخلفا، الأمر الذى يتفاقم عندما تتعثر محاولات النهضة.

ان الطموح هو الوصول الى تيارات فكرية تعبر تعبيرا نابعا من أوضاعنا الحقيقية، نريد ليبرالية و اصلاحية و يسارية نابعة من ظروفنا وأوضاعنا الاجتماعية، فهل نستطيع؟



الدم بيحن- أخي

كلما رايت امنحتب يرضع من حتحور أتذكره، فبعد ما يقرب من ثلاثة الاف عام من هذه الصورة، تصيح روقيه، ابنة خالة ابى ، يلا يا ماجد ، كى يفعل مثل امنحتب ، يرضع من ربة الامومة .

حتحور
معبودة مصرية قديمة. جعلها أصحابها تارة في صورة بقرة، وتارة في صورة امرأة لها أذنا بقرة أو على رأسها قرنان. كانت عندهم رمز الأمومة البارة. وفي اسمها حتحور أي بيت حور أو ملاذ حور ما يشير إلى ذلك. فهي التي أوت اليتيم حورس ابن إيزيس وأرضعته وحمته. فغدت بذلك أمًا له وللطبيعة كافة.



كامل البندارى باشا والقمح الاحمر

رائح فين؟ اسال ابى، فيجيب، رائح اقابل الباشا الاحمر، ويصيبني العجب ، وهل البشوات الوان ؟ وعرفت لاحقا انه محمد كامل البندارى، باشا غريب وخفيف الظل وملىء بالحيوية ، انضم لحكومة الاقلية برئاسة محمد محمود باشا سنة 1937فى انقلاب دستورى قادة على ماهر باشا ، رئيس الديوان الملكى ، بعد ان ادت الحكومة الائتلافية برئاسة مصطفى النحاس مهمتها بتوقيع معاهدة 1936 ، حيث ساد داخل اروقة القصر احلام التعاون مع المانيا الهتلرية ضد الانجليز .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية واقيم التحالف الدولى بين الولايات المتحدة و بريطانيا و فرنسا و الاتحاد السوفيتى و قبل نهايتها اعترفت مصر بالاتحاد السوفيتى وبحثت السرايا عن شخص موثوق بة و لا يمكن بلشفتة ، بلغة ذلك الزمان ، فلم تجد خيرا من ارسال وكيل الديوان الملكى ، كامل البندارى باشا الموثوق بة. وذهب الباشا الى موسكو ، وفى عام 1948كانت مصر فى اشد الحاجة الى القمح وابلغت كل سفرائها ، فاتصل الباشا بوزارة الخارجية السوفيتية طالبا العون ، فابلغت انها تستورد قمحا من الولايات المتحدة وان السفن فى الطريق و ليس لديها مانع من ان تتحول السفن الى الاسكندرية .

واصاب الباشا الفرح وابلغ النقراشي باشا، رئيس الوزراء، بالأخبار، فأجابه مستنكرا قمح شيوعي يا باشا!!

المهم ان الباشا عندما عايش الحياة فى الاتحاد السوفيتي، بعد الحرب، اصابة التعاطف معه، وتبنى الكثير من المواقف الديمقراطية وانضم الى المجلس العالمى للسلام و تصادق مع المفكرين الديمقراطيين، ومنذ ذلك

الزمان اطلق علية الباشا الاحمر، برغم انة لم يكن احمرا، و لكنها التهمة الدائمة التى يتبناها اعداء التقدم فى بلادنا لكل ديمقراطى او معادى للتخلف .

ما كتبنة هو مذكرات شاهد عيان سمعتة شخصيا من ....ابودم خفيف..... الباشا الاحمر



جندوا مليونى مصرى وأنا كفيل بتسليحهم

فينا ـ لمندوب روز اليوسف فى مؤتمر السلام :

أدلى الى كامل البنداري باشا بالتصريح التالى :

« مخطئ من يعتقد اننا شعب أعزل عاجز عن طرد الانجليز بالقوة . فالقوة البشرية موجودة والسلاح موجود .. فلتجند حكومتى مليونى مصرى . وأنا كفيل بتسليحهم . ولتكلفنى حكومتى باستيراد كل ما تريد من أقطار الجبهة السوفيتية وأنا كفيل بتنفيذ أوامرها .

« ان الاتحاد السوفيتى ليس فى حاجة الى قطننا لان لديه ما يكفيه من القطن . ومع ذلك دخل السوق مشتريا حتى رفع ثمن القنطار الى ٣٥ جنيها بعد ان كان الانجليز يفرضون علينا شراءه بثلاثة جنيهات ويتحكمون فى أكبر مصدر لثروتنا القومية

« والاتحاد السوفيتى فى حاجة الى قمحه . ومع ذلك يمدنا بحاجتنا من القمح ليخفف وطأة البؤس والشقاء الذى يعانيه شعبنا من الاستغلال الاستعمارى .. لنتفق مع الروس حتى نقضى على سيطرة الجنيه الاسترلينى والدولار على اقتصادياتنا »

الاب والجد "ان كبر ابنك خاويه "

مات محمد مندور فى حياة أستاذه طه حسين وابدى طه حسين حزنة البالغ على وفاة تلميذة الاول وانة لن ينسى ما عناه مندور فى حياته ، وفى مقال لمحمد مندور سنة 1962 بجريدة الجمهورية كتب تعليقا على ما صرح به لويس عوض ، في حديث لفؤاد دوارة ، بأن جيلهم لم يقم بما هو مطلوب منه فى دعم المواهب الجديدة ، نافيا ذلك بشدة ، حيث أكد أن جيلهم " قد كان أكثر موضوعية وأكثر دقة فى تزجية المواهب الجديدة ، ويكفينا اننا لم نحارب قط موهبة حقيقية وان المواهب التى عملنا على إبرازها لم تكن من قش بل كانت مواهب صلبة أثبتت وجودها ".

ويعلق على الجيل السابق بقوله " وإذا كان كل من هؤلاء الأدباء الكبار قد كان له تلاميذه وحوارية فيخيل الى اليوم ان موقف كل من هؤلاء الكبار من تابعيه قد كان موقفا عاطفيا أكثر منه موقفا موضوعيا ، ولسوء الحظ أخطأوا كثيرا عندما احتضنوا احيانا أشباحا لا مواهب حقة ، بل ويؤسفني ان اقول ان بعضهم حارب احيانا المواهب الحقة عند بعض تلاميذه ومريديه ذوي الشخصية و الاصالة مما ادى الى اختلاط الحابل بالنابل فى جيلنا الاوسط واحداث عملية تقديم و تاخير كان لها بالغ الضرر فى تطور الحركة الثقافية العامة فى بلادنا ، ولولا صلابة بعض هذه العناصر الممتازة لسقطت تحت وطأة الكبار ".

لقد ترددت كثيرا ان اكتب حول هذا الموضوع، الموضوع الذى لم يصرح به اصحابه الا ضمنيا، فالجد المكلوم يشعر بحزن بالغ لوفاة ابنة الاول، و الأب الذى يكن احتراما عميقا لأبيه الثانى يقترب من حبه لأبيه البيولوجى بشعر باسى بالغ، كما هو واضح مما كتبة ، وانا كذلك اشعر بحزن بالغ لم يمحوه الزمان ، ويزداد كلما ازداد وعي بما تعرض لة محمد مندور فى حياتة من مصاعب جمة بدون دعم حقيقي من ابيه الروحى ، بعد ان عاد من بعثته الاوربية ، الا فيما ندر.

فالجد هو الذى دعم واستثار التمرد الأصيل لدى تلميذه، الذى مارس التمرد إلى مداه الكامل فتمرد حتى على أستاذه، الذى لم يستطع ان يستوعب ان تمرد تلميذة هو بالضبط ما كان يستحثة عليه ، ولولا هذا التمرد لما أصبح محمد مندور الذى نعرفه ، ولكن قد اكتفى ان يصبح استاذا جامعيا مرموقا ، مثلة مثل الأبناء الآخرون النابهون ، مثل سهير القلماوى أو شوقى ضيف .

فان كبر ابنك خاويه حتى لا تصيب الأحفاد " بوجع القلب "





خلف القضبان

د محمد مندور خلف الأسوار عام 1946 عندما وضعه صدقى باشا رئيس الوزراء فى السجن، وقبلها كان صدقى يحاول رشوته، فعرض عليه أن يقبل منصب سفير مصر فى سويسرا، ويكف عن مهاجمة الحكومة، وأرسل له بالفعل عبد الرحمن البيلى وزير المالية آنذاك ليعرض عليه المنصب، ولكن د مندور رفض بشدة، وقال له إنه يقبل الانتحار على مثل هذه الخيانة الوطنية، وبعدها مباشرة فى 12يوليو 1946 تم القبض على د مندور ليكون آنذاك فى السجن مع أشرف الناس والمثقفين المصريين مثل نعمان عاشور وعبد العظيم أنيس وعبد الرحمن الشرقاوي وغيرهم.

تعليقي

كانت حادثة كبيرة واصابة غضب شديد الى الحد انة خرج من الصالون مسرعا لاحضار مسدسة لضرب السيد الوزير بالرصاص لولا تدخل خالي الذي أنقذ الوزير الذي "تدحرج على السلم " مسرعا. وبالمناسبة، لقد احضر المسدس من البلد لانة لاحظ انة تحت مراقبة الاخوان الذين كانوا يؤيدون صدقى ضد الحركة الوطنية وقرر ان يدافع عن نفسه



جدي العلمي - استاذ الاساتذة، أدهم الدمرداش

عندما تعرفت على صديقي المثقف الكبير و استاذ هندسة الطيران و الكمبيوترالدكتور مهندس فاتن فهيم فى منزل صديق مشترك، منذ زمان بعيد، سألني عن اسماء ابنائى و عندما اخبرتة اجاب " طبعا ما انت شرقاوى و لازم تسمى ادهم "، فأخبرته انه مخطئ فلقد سميت احد ابنائى تيمنا بالمثقف الكبير و استاذ الهندسة ادهم الدمرداش، فقام من على مقعدة ، او هكذا مازلت اشعرانة قام ، و فورا علق قائلا " احنا بيننا شيء مشترك ".

لم أكن اعرف من هو أدهم الدمرداش " ابراهيم ادهم الدمرداش "عندما علمنا انة سيدرس لنا فى السنة الثالثة بكلية الهندسة مادة كنت احبها كثيرا، واقع في غرامها، هي Theory of structure، ما عدا انه استاذ كبير و اسم يحظى باحترام كبير.

وفى المحاضرة الاولى وجدت رجلا متوسط الطول، متين البنية، شديد النظافة الى الحد انك تشعر انة قد " دعك " فى الحمام قبل حضورة وشديد الاناقة، يبلغ حوالى السبعين من العمر، يعنى باختصار يضخ هيبة ووقار يجعل امثالنا، نحن المفاعيص ، نتردد كثيرا فى ان نتحدث معة .

و سريعا يكتشف المفاعيص ، ان هذا المهاب شديد البساطة و التواضع و ما اسهل ان نتحدث معة ، وانة ، وهو من هو ، يتعامل معنا باعتبارنا اندادا كبارا ، و برغم ذلك و لانة شديد الاخلاص و الكفاءة فى عملة و شديد الاهتمام بنا و منضبط تماما فى مواعيدة ، تبدء فى التشكل مشاعر جديدة من الاحترام العميق و الود

الداخلى غير المعلن ، مهابة جديدة بسيطة و متغلغلة الى القلب، و اصاب بحمى كبيرة اسمها ادهم الدمرداش لا افرق بسببها بين المادة العلمية واستاذها ، و اذاكرها كما المجنون الى حد اننى كنت اقدم عشرة اضعاف ما هو مطلوب منى من الواجبات المنزلية ، واصبح مستواى العلمى رفيعا ، لقد اصبحت اتنفس المادة العلمية الى الحد اننى اجبت فى الامتحان النهائى على كل الاسئلة السبعة فى اقل من نصف الوقت برغم انة كان مطلوبا ان اجاوب خمسة فقط .

هذه هي صورة الجد المتشكلة فى ذاكرتى و لكن من هو ادهم الدمرداش
- حصل على الدكتوراة في الهندسيّة المدنية من جامعة زيورخ فى الثلاثينيات
- اسس قسم هندسة الطيران فى الاربعينيات فى جامعة القاهرة واصبح رئيسا لة
- عميد كلية هندسة القاهرة ثلاث مرات
- اسس نقابة المهندسين فى الاربعينيات ثم اصبح نقيبا لها لاحقا سنة 1956
- جائزة الدولة التقديريّة في العُلوم سنة 1968
- عضو اللجنة العليا لأبحاث الفضاء
- عضومجلس أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجي
- مستشارًا فنِّيًّا لهيئة إنقاذ معابد فِيلَة، والهيئة العامّة لتطوير المحالج، والسّقيفة القديمة للمسعى، وقبّة الصّخرة، وقبّة جامع محمد علي بالقلعة، وغيرها.

- انتُخبَ عضوًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1973.
وفوق هذا وقبلة، وبرغم خدماته العلمية والوطنية الجليلة، يبقى انه من عبائتة و لد العشرات من العلماء المصريين الذين تأثر الكثير منهم ليس فقط بتوجهاتة العلمية و لكن ايضا بنموذجة الاخلاقى الرفيع وباهتماماتة الثقافية الواسعة.



قاعد على ريش ودافن راسك في الرمل

فى كاريكاتير شهير لرسام الكاراكتير الاشهر، بهجت، رسم نعامة تدفن راسها في الارض وتحتها هذا التعليق، ونشر هذا الكاريكتير فى مجلة صباح الخير فى بداية السبعينات وذلك للوم المثقفين الذين يحلسون على قهوة ريش الشهيرة ويكتفوا بالكلام ولا يلجؤوا الى العمل.

لقد تذكرتها حين تنا قشت مع صديق يسكن فى اقصى شرق القاهرة اين سنتقابل واقترحت علية ان نتقابل فى ريش، التي لم يسبق لى ان حلست بها، فأبدى امتعاضه وعدم موافقته وقال " ريش مش ممكن "، ففوجئت! وأقنعته بان نتقابل في ريش، التي لم تبق ريش القديمة من حيث طبيعة روادها.

كم كنا مخطئين حين وجهنا سهام النقد و الادانة لكل من يجلس على ريش، فالوسيلة الوحيدة التي كانت متاحة لهولاء المثقفين، في ذلك الزمان، كان الجلوس على ريش و تناول هموم الوطن، وهم انفسهم الذين ساهموا، كل بحسب قدراته، في النشاط الشعبي و الابداع الادبى تايدا للحركات الشعبية العارمة فى ذلك الزمن.
كم كنت سعيدا ان اجلس حيث جلس نجيب محفوظ و توفيق الحكيم و امل دنقل ، تسقط السلفية !



السلفية والارهاب الفكري والتمرد الخلاق

لان السلفية الفكرية سادت داخل كل الاتجاهات الفكرية والسياسية أصبح التفكير الخلاق لمواجهة الواقع الجديد الذي يتغير بسرعة كبيرة يعرض صاحبة لمختلف انواع الاتهامات من السلفيين المتكلسين على وقائع الماضى و ليس خبراتة الى مستوى الاختباء خلفها لتصفية حسابات قديمة واصبح الافصاح بشجاعة عن الاراء المختلفة شديد الصعوبة على الكثير من الشرفاء.

هذة دعوة للتمرد على السلفية الفكرية والسياسية كما فعل اباءنا و اجدادنا من قبل فتمردوا كما تمرد طة حسين و شبلى شميل و سلامة موسى و نجيب محفوظ و محمد مندور و لويس عوض وتوفيق الحكيم، ومارسوا حق الوقوع فى الخطأ و دعوا مائة زهرة تتفتح، فهل انتم معى؟

مجدي يعقوب ام محمد غنيم

كتب الصديق عمرو الغايش

" الفضل في فوز محمد صلاح بجائزة أحسن لاعب في الدوري الانجليزي لا يعود لبلد اللاعب أو قريته أو ناديه المحلي.. وإنما يعود في الحقيقة الي فراره من كل هذا وابتعاده عنه والتحاقه بالعالم الحقيقي بعيدا عن الكذب والهجص والفهلوة ..... "

وهكذا علقت

الكلام دة يطرح سؤال كبير وخطير جدا بشأ ن علمائنا في الخارج، نسيبها ونهرب و نحصل على ما تستحقة بما يتلائم مع كفاءتنا ام نبقى و نحاول ان نغير و يصيبنا الاذى. ليس لدى اجابة لان الاجابة لابد و ان تكون فردية الى ان تتغير الظروف و يستطيع الوطن احتضان كفاءة ابناءة و عندها سنلوم كل من يهرب و كل من لا يعود، مجدى يعقوب كان مصيبا فى قرارة ومحمد غنيم كذلك كان مصيبا، هكذا ارى الامر من الناحية الموضوعية.
اما من زاوية هوى القلب، فانا مع غنيم حتى عاد مجدى يعقوب فأصبحت معهما الاثنين.



محمود قرني (القاهرة)

الأعمال الكاملة لـ ملك عبد العزيز: نموذج شعري رائد أسقطه العقل الذكوري

صدور الأعمال الكاملة للشاعرة ملك عبد العزيز عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، يعد حدثا في حد ذاته. فمن ناحية لم يعهد في هيئتنا الموقرة أن اهتمت بشأن الأسلاف من شاعراتنا وشعرائنا اهتماما موضوعيا يسعى للكشف عن قيمتهم الحقيقية في مجرى الشعرية العربية، والأمثلة على ذلك تجاوز الحصر.ومن ناحية أخرى كانت ولا زالت أدبياتنا النقدية تعمل على ترسيخ آليات بالية فيما يتعلق بالكتابة النسوية، إذا صحت التسمية، سواء كان ذلك على مستوى النظر للأمر باعتباره إشكالا فئويا ذا طبيعة نوعية، أو على مستوى كونه إشكالا جماليا يتم الحديث عن محصوله بالكثير من النظر الاستعلائي المستند تاريخيا إلى تناسل العقل الذكوري بعضه من تلافيف بعض. وهي محصلة كان مؤداها إقصاء الصوت الشعري النسوي في مصر وفي غيرها من البقاع العربية إجمالا باستثناءات قليلة. أضف إلى ذلك فساد الحياة الثقافية العربية وتحولها إلى صورة من صور الأداء السياسي الفج وغير العادل، بل والقمعي، الذي كان صورة تجسد فساد أجهزة الحكم وآلياته التسلطية، التي أدنت وأقصت على مرجعيات الثقة وليس على مرجعيات الكفاءة والقدرة. يستثنى من هذه الصورة عمل النقدية العربية لحساب أسماء، رغم أهميتها، إلا أن ارتباطها بالمرجعيات السياسية والاجتماعية كان يمثل الباعث الأكبر لتدشينها ووضعها في صدارة الشعرية العربية. وفي ظني أن ذلك لم يكن متعلقا بمرجعيات الجدارة رغم توفر هذه الأسماء على جدارة واستحقاق مؤثرين في شعريتنا المعاصرة. ينطبق الأمر على نموذجين دالين لدى نازك الملائكة وفدوى طوقان.

فعلى أهمية الملائكة، كشاعرة رائدة بحق، إلا أن الاهتمام بما قدمته في النظرية النقدية كان أعلى بكثير من الاهتمام بكونها رائدة من رائدات القصيدة الحرة. ولا يمكننا تجاهل ظرفها الاجتماعي، كنموذج مثالي لصعود الطبقة المتوسطة العربية، الذي دفع بها إلى مقدمة الصفوف باعتبارها أيقونة نسوية منذ النصف الثاني من الأربعينيات. الأمر يختلف نسبيا بالنسبة لفدوى طوقان التي كان الاحتفاء السياسي بها يتجاوز منجزها الشعري، على أهميته، باعتبارها تمثيلا لصورة الفلسطينية المناضلة أولا، المبدعة ثانيا. الأمر نفسه لا يختلف بالنسبة لملك عبد العزيز وإن كان إقصاؤها عن المشهد بدا مسرفا في مغالاته لدرجة غير مفهومة. وتكشف الدواوين الستة التي تضمنتها أعمال الشاعرة الراحلة عن تجربة فريدة في شعريتنا المعاصرة، بحيث يمكننا أن نطلق على صاحبتها لقب الشاعرة المخضرمة. حيث تقف بجدارة على رأس حقبة رومانسية تصدرتها أسماء مؤثرة وظل اسمها بين واحد من ألمع هذه الأسماء منذ منتصف الأربعينيات، ثم حققت الشاعرة انتقالة مهمة إلى تيار الشعر الحر الذي حقق، بدوره، نقلة شديدة النوعية في تاريخ الشعرية العربية. فهي على مدار ديوانها الأول أغاني الصبا تقدم لنا نموذجا رومانسيا رائقا يعكس معنيين أساسيين أولهما أن شاعرتنا تتمتع بموهبة فريدة ونادرة لا تخطئها عين القارئ، وثانيهما أنها عكفت على موهبتها بالدرس المعرفي والنقدي بحيث أنها كانت تطمح إلى التجريب في تراكيب البحور الشعرية مذ كانت طالبة بكلية الآداب. وتشير ملك إلى رواية من هذا النوع وهي تؤدي أحد امتحاناتها أما العميد طه حسين بكلية الآداب، وكان قد طلب منها أن تسمعه آخر ما نظمت، فألقت عليه قصيدة تجريبية كتبتها عام 1942، بينما كانت محاولاتها تلك بدأت في العام 1940 في قصيدتها فجر كاذب التي تضمنها ديوانها الأول.على أن تجاهل النقدية العربية يظل موضع تساؤل يثير الاستفهام إذا ما وضعنا في الاعتبار أن الديوان الأول الذي أشرنا إليه يتضمن عددا وفيرا من قصائد الشعر الحر مثل الأغنية الأولى وهي تتكون من ثلاثة أجزاء طويلة بالإضافة إلى قصيدتيها انطلاق و إلى أمواج النيل وكذلك قصيدتها المعربة للشاعر الأوكراني شيفشنكو التي جاءت متخذة القالب الجديد وليس من خلال القالب التقليدي الذي كان شائعا آنذاك. أما قصيدتها ذكرى جواد عن الشهيد جواد حسني فتعد أيقونة في تاريخ شعريتنا الحديثة خاصة إذا علمنا أن الشاعرة كتبتها في عام 1958. فهي تعكس، من ناحية، موقفا شعريا متقدما يتجاوز أجواء شعر المناسبات الذي عرفته الشعرية التقليدية، حيث تنظر رأسيا لمأساة تمتد على اتساع الإنسانية، ومن ناحية أخرى تعكس القصيدة وعيا طليعيا يؤكد انحياز الشاعرة لمفاهيم العدالة والحرية والنضال المشروع ضد الحرب وسفك الدماء والدفاع عن الأوطان. أما المثير في الأمر فهو أن هذه القصائد كتبت في الأعوام بين 1955 و1958، وهذا يعني أن ملك عبد العزيز تسبق كلا من صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي، الذي صدر الديوان الأول لكل منهما في العام 1958. من هنا لم يكن مفهوما إقصاء عبد العزيز من المشهد الشعري الجديد، ولا يمكننا تفسير هذا الأمر المريب سوى على كونه إمعاناً في ذكورة الثقافة العربية وتذكيراً بماضيها الذي يعتبر الشعر عملا ذكوريا باعتباره تمثيلا لثقافة القوة، حتى أن الشاعرات العربيات اللائي كن، في بعض الحالات، الأمهر بين الشعراء، تم سلبهن صفاتهن تلك تعميقا لهذه المفاهيم السلطوية. ربما لذلك سنجد أن ما شاع من شعر النساء العربيات لا يتعدى كونه شعرا رثائيا أو في الفخر والمديح في بعض الأحايين، كما نرى النموذج الأشهر لدى الخنساء، وفي متناثرات لهند بنت عتبة، باستثناء وحيد لا يمكن القياس عليه لدى ولادة بنت المستكفي. وربما كانت هذه الانتقالة المؤثرة للشاعرة تمثل واحدة من أهم امتيازاتها على قريناتها مثل: روحية القلليني، جميلة العلايلي، وجليلة رضا، وكل منهن شاعرة تقف على ناصية الموهبة، بل تتربع فيها، وجميعهن يمثلن صورة قاسية للإقصاء غير المفهوم الذي صادف شعر المصريات، ولا أظن وقوف مشاريع معظم هاتيك الشاعرات في قلب مشروع الرومانسية العربية لم يكن ليقلل من قيمتهن الشعرية.

ولا شك في أن صورة المرأة المصرية، المبدعة والمفكرة، تغيرت مع صعود مشروع التنوير منذ عودة رفاعة الطهطاوي من باريس وإنشائه أول مدرسة لتعليم البنات. ولم يكن غريبا أن تستقبل ساحة العمل الفكري والاجتماعي أسماء بارزة ومؤثرة في حياة الأمة مثل هند نوفل التي أصدرت أول مجلة نسائية في الإسكندرية عام 1892، وكذلك أسماء وردة اليازجي، عائشة التيمورية، زينب فواز، هدى شعراوي وملك حفني ناصف وأخريات.وما من شك في أن حضور الشعر النسوي تجاوز الكثير من محاذير القبلية الموروثة في ظل ثورات المد القومي العربي التي اعتمدت على طائفة واسعة من متعلمي الطبقة المتوسطة، غير أن الصورة نفسها علاها الكثير من الغبار مع تراجع هذه الثورات ومع تحولاتها وجنوحها إلى القمع واعتماد آليات الفساد. غير أن صورة الإبداع الملتزم، كشكل من أشكال المقاومة، بقيت حية وماثلة ومؤثرة، بالقدر الذي ينطوي عليه الشعر من سلطة رمزية بحكم طبيعته الهشة.

بهذا المعنى تظل شعرية ملك عبد العزيز مثالا قويا وحاسما كان يحتاج إلى الكثير من النظر النقدي للتأصيل لمرجعياته، غير أنه، من حسن حظنا، أن بقاء الشعر وفناءه ليس رهنا بمشيئة نقاد لا يعول عليهم. فالمتأمل لتنامي الوعي الشعري لدى ملك عبد العزيز سيجد أنها بداية من ديوانها الثاني قال المساء قد حققت انتقالة جديدة على مستوى تماسك الصورة الشعرية بابتعادها عن أجواء تأملات الطبيعة التي وسمت شعرية الرومانسيين، يتجلى ذلك أيضا في البعد عن التقفية والمحسنات التي تعتمد اعتمادا واسعا على بلاغة اللغة وقشابتها. تقول الشاعرة في قصيدتها أنشودة النجوم: يا أنجم يا حلم صباي / ورفيقة أوهامي النضرة / لم لا تأتين .. إليّ بأمراس لدنه / من صنع يديك / خيطا من نور أصعد فيه / وأرود مروجك، وافرحي / لو أن يديك / مسحت بحنان أعطافي / وتمشت في جسدي رعدة / من مس يديك. سيصادفنا هذا النموذج بشكل معمق في قصائدها: بحر الصمت المهداة إلى شهداء الثورة اليمنية، وكذلك قصيدة تنتالوس الذي يمثل شخصية فريدة في الأوديسة حيث تنقل عنه الشاعرة مقدمة القصيدة التي تقول: كلما رأيت تنتالوس واقفا في بحيرة والماء يلمس ذقنه. وبالرغم من أنه كان يشكو الظمأ فإنه لم يكن يستطيع أن يشرب.. فكلما انحنى متلهفا إلى إطفاء ظمئه انحسر الماء واختفى وظهرت الأرض السوداء عند قدميه. كما كانت الأشجار دانية القطوف فوق رأسه.. ولكن كلما هم بالوصول إليها ليمسكها بيديه هبت عليها الرياح ودفعتها إلى السحب الظليلة. أما القصيدة التي بدت كإعادة إنتاج لأسطورة تنتالوس فقد شفت بالأسى عبر لغة دقيقة تنطوي على الكثير من الألم الذي يتنامى بفعل النمو الدرامي في لحظة انتظار المطر الذي لا يجيء والندى الذي يجف والأرض التي لا تثمر، تقول الشاعرة: حلمنا بالندى يشفي أوام الأرض / وينبت في دروب العمر حقلا بالرضى مخضر / تمر عليه أعيننا / فترتاح المني فينا / وتسكن لهفة في القلب لافحة / ويهدأ جمر. ولكن عزت الأنداء فالتهبت عروق الأرض / وصوحت الزهور وجفت الأغصان / واحترقت نواصيها / وأهدر فجر.. . تتبدى كذلك هذه المعرفة الصعبة في ديوان أغنيات الليل، حيث تتجسد تلك الحكمة الغائبة في قصيدتيها: مصباح ديوجين، أو مصباح المعرفة، وقصيدة كبرياء الخلق التي تصدرها ببيت من أشهر قصائد المعري، حيث يقول: وأعجب من نفسي كيف أخطئ دائما / على أنني من أعرف الناس بالناس.

وتتجسد هذه الحكمة مع نهاية التجربة في ديوان الراحلين الذي جاء ختاما لرحلة طويلة في مرثية تبدو أكثر من كونها مرثية لرموز نعرفها جميعا إلى كونها مرثية للذات الشاعرة. غير أن أكثر دواوين الشاعرة نضجا وأهمية هو أن ألمس قلب الأشياء الذي تكامل فيه الحس الإنساني والسياسي والاجتماعي متضافرا كل ذلك مع الوعي الجمالي. فرغم أن الديوان يقدم موقفا سياسيا ضاغطا في عشرات القصائد مثل: قربان عبد المنعم رياض، أغنية إلى جيفارا، النصر لنا، بالإضافة إلى قصيدة الديوان إلا أن الاستغراق فيما هو سياسي لم يفقد الديوان شاعريته ولم يجعله خاضعا للشعار، والجهورية، كما لم يوقعه في الخطابية المتوقعة في مثل هذه

النماذج الشعرية. وهي إشكالية طالما حذر منها النقد المدقق، لكن الشاعرة كانت قد تسلحت بوعي مبكر عصمها من الوقوع في هذه المزالق، وهو ما جعل تجربتها تحتفظ بالكثير من طزاجتها وحيويتها. فالقيمة في الفن تظل مرهونة دائما بمدى قدرته على البقاء في الزمن. وهاهي قصائد ملك عبد العزيز تعود إلى الحياة بكامل قشابتها ورونقها في تأكيد على أنها لم ولن تكون مجرد نص عابر إنها وشعرها نصان مقيمان ما أقام الشعر في هذه الأرض.



ملك عبد العزيز: المقاتلة بالهمس

بقلم: فاروق شوشة

لم تعرف الحياة الأدبية المصرية شاعرة أكثر رقة وحساسية وصفاء وجدان واكتمال شخصية من الشاعرة الكبيرة ملك عبد العزيز التي رحلت فجأة في الأسبوع الماضي ـ إثر حادث قدري مأساوي هو سقوط جزء من شجرة فوقها وهي تسير في الطريق لتلقي مصرعها علي الفور وهي في كامل عافيتها ونشاطها وحيويتها وقدرتها علي المشاركة والعطاء. ولتكتمل بهذا الحادث حلقة جديدة, في تلك الدائرة الجهنمية التي أخذت تدور ومعها ألوان شتي من حوادث الطريق, لانملك لها دفعا ولا صدا, ولاتوجيه الاتهام إلي أحد بعينه, بينما تساقط نفس كل منا أنفسا كما كان يقول الشاعر القديم.

ولقد كانت هذه الصفات الأصيلة في ملك عبدالعزيز: الرقة والحساسية وصفاء الوجدان هي أول ما لفت انتباه أستاذها الدكتور محمد مندور إليها إنسانة وشاعرة وبتعبيره هو في تقديمه لديوانها الأول: كان الشعر المنبعث من شخصية ملك عبد العزيز ومن نبراتها الهامسة هو الذي هدي روحه الظمأي إلي الجمال. وكان هذا الشعر الهامس لملك عبدالعزيز وراء مصطلح الشعر المهموس الذي أذاعه الناقد الكبير الدكتور محمد مندور في كتاباته النقدية المبكرة, وأخذ يطبقه علي شعر المهجريين ثم علي شعر عدد من الشعراء المصريين وعندما تم زواج الأستاذ بتلميذته في كلية الآداب ـ وهي لا تزال طالبة في السنة الثالثة عام1941 أتيح للشاعرة الواعدة سند أدبي وإنساني قوي, كما أتيحت لها أيضا حياة عاصفة مليئة بالكفاح والمواجهات نتيجة للنضال السياسي والاجتماعي الذي خاضه الدكتور مندور ـ الذي أصبح واحدا من نجوم الطليعة الوفدية فيما

بعد ـ والذي تعرض لكثير من المحن القاسية كان أقساها تعرضه لاستئصال ورم أسفل المخ كاد يودي بحياته, وكانت هي إلي جواره بمثابة ملاكه الحارس وهو يجري العملية في أحد مستشفيات لندن.

وعندما أصدرت ملك عبد العزيز ديوانها الأول أغاني الصبا كان قلم الدكتور محمد مندور يؤازر هذا الحدث الشعري البالغ الأهمية في حياتها: زوجة وشاعرة, فهو يعلن أنها هامسة في شخصها وفي نبرات صوتها وفي نغمات شعرها, ومع ذلك ففي همسها قوة روح وجلال صوفي ويؤكد أن شعر ملك عبد العزيز من شعر الوجدان الصافي, وأغلب انفعالاته من مشاهد الطبيعة التي تجاوبت مع روحها, ومع ذلك فإنه وجدان أبعد مايكون عن الأنانية أو الانطواء علي الذات ثم يقول: فأنا أعرف الشاعرة شديدة الحساسية بأفراح الغير وأتراحهم, دائمة المشاركة في قضايا الوطن والشعب ولا أدل علي ذلك من مطولتها الرائعة عن شهيدنا الفدائي جواد حسني, ولكنها شاعرة لا تسجل أحداثا ولاتعلق علي أحداث ولاتستطيع ذلك لأنها وجدانية الطبع لا تستطيع أن تقرض الشعر إلا تصويرا لما تنفعل به روحها الصافية البالغة الحساسية.

وتذكرنا المقدمة الصافية التي كتبتها ملك عبدالعزيز لديوانها الأول بالمقدمات التي كتبتها الشاعرة العراقية الكبيرة نازك الملائكة لدواوينها الأولي والحرص علي التحليل الموسيقي والعروض للقصيدة الشعرية الجديدة وتحاول ملك عبد العزيز أن تفسر لقارئها الجمع بين الصيغتين أو الشكلين العمودي والحر في ديوانها الأول وميلها الواضح إلي نوع أكثر من الحرية في استخدام التفاعيل وهي تري أن الطريقة الجديدة الحرة في إبداع الشعر ـ ليست ـ وينبغي ألا تكون ـ مذهبا. إلا أن يكون الشاعر الذي يلتزمها يلتزم ـ بطبيعته ـ التعبير عن ألوان بعينها من المشاعر هي التي تناسبها هذه الطريقة دون غيرها فضلا عن أنها تناسب ألوانا من الأحاسيس الغائرة لا الفائرة, وتناسب أنواعا أخفت همسا مما سماه من قبل الدكتور مندور بالشعر المهموس ثم تقول بوضوح: فهناك ألوان من الأحاسيس ليس لها هذا الوضوح ولا تلك الجهارة التي يضفيها التعبير بالأوزان الكاملة والموسيقي المطردة علي الشعر, كما أن هذا الشكل الجديد أقدر علي تصوير العواطف والأحاسيس المتموجة في القصيدة الواحدة, كأن تبدأ القصيدة هادئة, ثم تفور فيها الأحاسيس أو تبدأ مظلمة ثم مشرقة ثم مظلمة مرة أخري أو العكس أو أي نوع آخر من أنواع التموج.
وتلفت الشاعرة انتباه القاريء إلي قصيدتها في العشق باعتبارها نموذجا تطبيقيا علي هذه المستويات المختلفة المتموجة في القصيدة الواحدة, حين تقول:

في الغسق
شق قلب الغيب والغيم شراع
وادع الخطو مضيء كالشعاع
نوره غض ومسراه رفيف وأمان
نوره يحنو علي الظلمة يدحوها
بكف من حنان
لؤلؤةلم يزل يقطر منها زبد الأمواج بكر لم تمس
ضوأتها الشمس في فجر رطيب
بشعاعات الغلس
غسلتها في قرار الموج ربات البحار
وحبتها بالصفاء البكر ألوان المحار
والقمر

سرقت من نوره ألف شعاع
من حنان وصفاء ونغم
جدلتها خلف أستار الزمن
في الظلال الناعمات
في المروج الدافئات
وحبتها للشراع الوادع
فسري كالحلم منغوم الرؤي
ناعم الخطو مضيئا كالشعاع
وفي ختام القصيدة يتصاعد المد الشعوري في لوحة عنيفة مغايرة حين تقول:
ثم لاحت ظلمة من بعد ظلمة
سحب سوداء نكراء الحواشي مدلهمةبسطت أذرعها المعقوفة الشوهاء
كالشجي اللعين
فغرت أفواهها النكراء
كالوحش الطعين
وطوته
طوت الزورق في أعماقها الغبراء
حلما ضائعا
وبدا الليل وحيدا والسكون!

هذه اللغة المرهفة الشفيفة, وهذا الإحساس الشعري الأنثوي بالحياة والوجود وظواهر الطبيعة, والقدرة علي تصوير حالات القلب الإنساني في مستوياته المختلفة من حالات الجزر والمد, كل ذلك جعل من ملك عبدالعزيز شاعرة متميزة الحضور بين شاعرات جيلها بخاصة الشاعرتين اللتين استمر عطاؤهما الشعري لعقود من الزمان: جليلة رضا وجميلة العلايلي. وأصبحت ملك عبد العزيز الشاعرة المصرية الوحيدة المؤهلة للحاق بالشاعرتين العربيتين الكبيرتين نازك الملائكة وفدوي طوقان, وأوشكت أقول وسلمي الخضراء لولا انصرافها عن الشعر بعد ديوانها الأول الوحيد العودة من النبع الحالم وكان يمثل إبداعا شعريا حافلا بالوعود لولا انغماسها في البحث الاكاديمي ومشروعات الترجمة وظلت ملك عبدالعزيز علي إخلاصها وولائها للشعر.. ديوانها الأول أغاني الصبا الذي يحمل ملامح شعر البداية, وإن كان يبشر بالجينات الشعرية التي لن تتغير عبر مسيرتها الشعرية واتساع أفقها الإبداعي واستقرار أدائها الهامس العميق المفعم ـ علي طول المدي الزمني ـ بألوان من الشجن والمرارة والشك والقلق, وألوان مقابلة من التصميم والتحدي والمواجهة والانخراط في غمار التيار التقدمي والتنويري, بعد هذا الديوان الأول تواصل إبداع الشاعررة في دواوين قال المساء وبحر الصمت, وأن ألمس قلب الأشياء وأغنيات الليل وهي الدواوين الخمسة التي ضمتها مجموعة أعمالها الشعرية الصادرة عن مكتبة مدبولي عام1990, وبعدها صدر لها عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ديوانها السادس والأخير شمس الخريف عام1998, وهو الديوان الذي جمعت فيه قصائدها الأخيرة عبر أكثر من عشر سنوات.

ولقد كان الدكتور مندور علي حق وهو يضع يده منذ البداية على أحد المفاتيح المهمة في شخصية ملك عبد العزيز وحقيقتها الشعرية, وهو علاقتها الحميمة بالطبيعة في شتي تجلياتها, وهي العلاقة التي بدأت رومانسية حالمة ثم عمقت لتصبح علاقة كونية يتخللها حس صوفي ووتر وجودي, المثير الآن للدهشة

والمفارقة أن هذه الطبيعة التي هامت بها تأملا ووجدا وحلولا وانجذابها كانت السبب في مصرعها من خلال إحدي شجراتها التي أدركها الجفاف والموت - وهناك مئات الأشجار غيرها - في القاهرة وحدها -

تنتظر لحظة طقوسها علي العابرين وعلي السيارات وعلي البيوت لأن أيدي المسئولين عن قطعها قد قيدها قانون عدم قطع الأشجار لكن السؤال هو: أية أشجار تلك التي لاتقطع! وبالمقابل هناك مئات الأشجار التي أدركها العقم والجفاف والموت وأصبحت قنابل موقوته لايدري أحد موعد انفجارها المحتوم!

هذا الإحساس الغامر بالطبيعة سمته أساسية في شعر ملك عبد العزيز بدءا بديوانها الأول وانتهاء بديوانها الأخير وكثيرا ما كانت تجد في الطبيعة وفي الشجر على وجه الخصوص مرآة واقعها الإنساني وتجسيدا لمعاناتها الروحية تقول ملك عبد العزيز في القصيدة التي اتخذتها عنوانا لإحدي مجموعاتها الشعرية:

أن ألمس قلب الأشياء
أن ألمس قلب الأشياء
أتغلغل في لب الشجر الممتد الأفياء
أتمدد في الخضرة
أتوهج في الثمر العذب الإرواء
واغوص بعمق البحر وأشتف الانحاء
أتسلل في اللؤلؤ في اعشاب البحر الخضراء
أتحلل في حضن النهر
قطيرات من ري وخصوبة
وأذوب عطاء وعذوبة
أن أسري في الزهر عطورا فواحة
في الأفق رياحا
في قلب الطير لحونا وغناء
في زبد البحر ضياء
لونا في الشفق الذائب في الآفاق
ألقا في النور السابح في الأحداق نغما في الموج, رعودا في الإعصار
ظلا في الغيم, رذاذا في الأمطار
وهجا في الصبح, ندي في قلب الأسحار
حين تعانقنا
هل ذاب عصير الروح خلال الروح,
هل امتزجت كل الأهواء؟
هل صرنا كلا متحدا
يتحدي وجه الأشياء؟
أم قام جدار
يفصل بين الأغوار
يجعلنا اثنين غريبين
ويجعل كل حوار

زيفا تلفظه الأفواه
لاتدرك يوما معناه!
أن نتجاور ليس القرب
أن نعطي سر القلب
ألا نحتجز هوانا شحا وضغينة
أن ننسي الذات ونفني في المحبوب
رضا وسكينة
حين نجود بسر القلب
حين نجود بفيض الحب
تتداعي الجدران وتنهد
عندئذ, نلمس قلب الأشياء
نلمس قلب الأشياء

توشك هذه القصيدة أن تكون بيانا تتقدم به الشاعرة إلي الحياة والناس, ودعوة شعرية إلي فهمها علي حقيقتها والتعامل معها من خلال هذه النظرة الإنسانية الحانية والواعية في آن. والذي لاشك فيه أن وعي الشاعرة العميق بالحياة, وإدراكها اللهم الوطني والقومي والإنساني, كانا مفجرين للعديد من قصائدها التي أطلقتها وكأنها صيحات احتجاج أو غضب أو نبوءة, أو أناشيد تمجيد للبطولة والأبطال والمناضلين والشهداء, مثل قصيدتها الشهيرة في بطل القتال الشهيد جواد علي حسني الذي استشهد إبان العدوان الثلاثي علي مصر عام1956, وقصيدتها عن وصية الشاعر الأوكراني المكافح شيفشنكو التي كتبها عام1845, وقصيدتها البديعة أغنية إخاء عن تمجيد الأخوة والمشاركة الإنسانية بغض النظر عن اللون والجنس وقصيدتها الحائرة أغنية إلي جيفارا وقصيدتها بطاقة إلي الشهيدة سناء مهيدلي التي فجرت نفسها وهي تقاوم الاستعمار الإسرائيلي للبنان وغيرها من القصائد التي تنطق بالحس النضالي والمشاركة الواعية في حميا التحرر الوطني والقومي والإنساني. وهو الوجه التقدمي المشرق للشاعرة ملك عبد العزيز التي لم تنغلق علي ذاتها, ولم تتقوقع داخل جدران مأساتها الخاصة كما فعلت رفيقات جيلها الشاعرات لكنها وقد تتلمذت علي المناضل والإنسان الكبير محمد مندور وشاركته كما قال هو عنها: كان لنا في حياتنا المشتركة من الأهوال والمغامرات في ميادين السياسة والثقافة والحياة العملية مما يهز أقوي النفوس. ومع ذلك فأشهد الله أني ما أحسست منها يوما غير صلابة العزم واطمئنان الثقه وعمق الإيمان, مما آزرني في أقسي المحن وأمدني بذلك الفيض الروحي الذي جابهتها به, حتي انتصرنا معا في معركة الحياة. فقد ظلت علي ولاءها لقيم العدل والحرية والكرامة والكبرياء.

وترحل عنا ملك عبد العزيز, وتخلي مكانها الذي كانت تملؤه بحضورها وشفافيتها وإنسانيتها في لجنة الشعر بالمجلس الأعلي للثقافة, وأمومتها التي كانت ترعي بها الأجيال الجديدة المتمردة من الشعراء ـ المختلفين عنها لغة ورؤية وتكوينا وتوجها ـ لكنها تفيض عليهم من أمومتها وفهمها ومتابعتها بالرغم من ذلك كله, ومكانها





الحاج عبد الحميد

الحاج عبد الحميد موسى مندور(جدى) و الحاجة زهرة عبد الدايم عمر(جدتى)و يسرية و ماجدة مصطفى عبد الحميد موسى مندور(بنات عمى),وسلوى و يسرى السيد عبد اللطيف موسى مندور (ابناء عمتى) حكى لى خالى ان ابى خلال نضالة السياسى فى الاربعينات و تعرضة لظروف قاسية و برغم انة كان من كبار المثقفين سواء فعليا من حيث مستواة الفكرى او من حيث شهاداتة التعليمية - ليسانس اداب و ليسانس حقوق من جامعة القاهرة وليسانس السوربون و دبلوم الاقتصاد والقانون و دبلوم اليونانى و دبلوم فى الصوتيات من السربون و الدكتوراة من جامعة القاهرة - الا انة فى هدة الظروف القاسية كان يسافر الى القرية ليسال الحكيم النصيحة ، هدا الحكيم الدى يقرء و لا يكتب ، رحم اللة جدى الحكيم الودود اللطيف (كان بيدلعنى ، لية انا ، ما اعرفش) - تصوير العم اللطيف الدكتور مصطفى مندور



أنا وخالتي

سيدة شديدة الهدوء وعندما تراها تشعر ان الدنيا بخير وان البشرية كلها بخير، ولا تلمع عينيها بحيث تجعلك تحترس من ذكائها أو من فراستها ، عندما تكون شابا صغيرا و تريد ان تخفى بعض أعمالك عن اهلك ، وبرغم ذلك فلقد كانت لامعة الذكاء عالية الفراسة ، أي باختصار "تجيبها وهى طايرة" ، والغريب والعجيب أنها كانت ناظرة اكبر مدرسة ثانوية للبنات فى المحروسة وبرغم ذلك كانت تهوى ان تعمل بيديها فى عمليات الإصلاح المنزلية ، فقد كنت فى زيارة لامى أثناء وجودها ،وطلبت منى امى ان اصلح اريال التلفزيون ، فوقفت فوق راسى ، وشعرت بالقلق ، فقد كانت فى الثمانين من عمرها ، واخبرتها انني لا احتاج مساعدة لكى تجلس وترتاح ، فاجابت انها تعرف ذلك و لكنها ترغب أن تتعلم مما اقوم به ! وبعدها بسنين شعرت ان امى و اخواتها لايرون بعضهم بشكل كافى ، برغم انهم اخوة حقيقيين متكاتفين دائما فى مواجهة ظروف الحياة ، مثل اعلى للتكاتف و التساند بلا ضجيج او مساومة وكأنهم خلقوا لذلك ، فبادرت و نظمت لقاءا فى كازينو جميل وسط الحدائق جمعتهم جميعا ، وبعد نهاية اللقاء مالت على اذني وقالت متشكرين

أحب خالتي منيرة عبد العزيز

محمد مندور وملاعيب شيحة التاريخية

" لي أكثر من ثلاثين عاماً أؤذن في مالطة "

وسط خضم المعارك الأدبية والسياسية التي خاضها إلى آخر لحظة فى حياته ، وسط غبار المعارك ، قد يتوهم المقاتل أنه يؤذن فى مالطة ، وعندما ينقشع غبار المعركة يكون قد رحل ولا يرى كيف تطورت نتائج ما قاتل من أجله ، فالمعارك ما زالت مستمرة وما زال يساهم فيها برغم رحيلة ، مازال ابناء نفس الجيش يخوضون معاركهم ضد قوى الظلام مسلحين بكل ما انتجة الجدود والآباء ، انها حرب طروادة تبعث من جديد ، ولكن ليس لعشرة سنوات فقط ، بل منذ عاد الشيخ المعمم من رحلتة الباريسية منذ ما يزيد عن مائة و خمسون عاما ، معارك ضارية يخوضها أبناء الفلاحين من أجل العدل والتقدم والحرية ، وعندما ينتقل أحد المقاتلين لا يغيب عن المساهمة فى المعارك بل يغير موقعة ليس إلا ، هؤلاء المقاتلون الكبار الراحلون الذين يقومون بما قامت بة الهة الاغريق فى دعم المقاتلين .

ان جيش الظلام ينهزم، ولكنه لوسيفر الذى يبعث من جديد فى هيئة جديدة ، لكنه يتراجع و يفقد مزيدا من الأرض ، فلا تنخدعوا بغبار المعارك ولا التراجعات المؤقتة ، فتسلحوا بدرع اثينا و قوس أبولو وحكمة زوس .

اة لوكان حيا ليرى كيف ما زال يخوض المعارك بدعمه لمقاتلي جيش النور

الباز الاشهب بين الفرعونية والصوفية

أحد أنواع الصقور يحلق عاليا وينقض بسرعة خاطفة ولا يأكل الجيفة، من فصيلة الهبت الخيال الشعبى منذ زمان بعيد، وما زالت تحظى بالإعجاب.

حورس الفرعوني، الإله الذي أقام العدل وانتقم لوالدة وحمى فراعنة مصر، كان يظهر في هيئة الصقر، و يحظى بمكانة خاصة فى الشعور الشعبى و في الدين الرسمي.

كان من الطبيعى أن يندمج مع الصوفية وبالذات الصوفية الشعبية الأكثر اندماجا مع الجماهير الشعبية، فكم من بشر تبنتهم الصوفية الشعبية لأسباب ليست دينية وحولتهم إلى أولياء يتوسطون لقضاء الحاجات، مدد يا أم العواجز ويا قنديل أم هاشم ويا ابونا يحي حقي الذي كان يكتب الشعر نثرا.

ويأتي طارق مندور بالآتي من النت

"معنى الباز الأشهب: العلامة شهاب الدين الآلوسي يقول: «معنى الباز الأشهب عند الصوفية: المتمكن في الأحوال، فلا تزحزحه الطوارق عن درجات الرجال ، مع الخلق بظاهره ومع الحق بسرائره ، رؤيته سنية ، وهمته عليّة وهو عون للخائفين وحظ للعارفين "

هو هو نفسه حورس صاحبنا القديم

ويكتب عبد الرؤف هيكل عن باز أشهب قريته

"الباز الأشهب واحد من آل رسول الله صل الله عليه وسلم وقد جاء إلى منطقة تسمى جزيرة اللبن التي هي الآن كفر الباز واستوطنها وكان دليلا للحجاج وحاميهم من اللصوص وقطاع الطرق وهذه القرية هي التي ولدت وأعيش بها و أيضا أنور نصيروقد إشتهر الباز الأشهب بين الناس أن له كرامات و كان له ضريح فخم يزوره الناس من كل الدنيا و كان يقام له مولد مثل الحسين والسيدة و لكن اوقف المولد و هدم الضريح و بقي اسمه "

انه نفسه الحلم القديم، حلم العدل والحرية والحماية والشهامة ومساندة المظلوم والخلق الرفيع. تحية من القلب لكل باز أشهب



الهدسون التي لم تكن هدسون وخد بالك يا إبراهيم

سيارة موديل 1948 كبيرة الحجم جدا الى مستوى إنها تتسع فى المقعد الامامى ل4 رجال من ضمنهم السائق، كانت السيارة الأولى في اسرتنا، تم شراؤها في نفس العام، بتمويل من جريدتي الوفد و اخبار اليوم ! غريب وعجيب ! كيف يمول محمود ابو الفتح و الاخوة على ومصطفى أمين سيارة لمحمد مندور الديمقراطى الوطنى ذو الميول الاشتراكية و أحد زعماء الطليعة الوفدية ؟

كسب محمد مندور قضيتي تعويض ضدهما بمبلغ إجمالي 1500 جنية، فمنجة نفسه بهذه السيارة بمبلغ 900 جنية وبشرق على العيال.

القضية الأولى ضد الاخوة امين ، ففى خضم المعركة الوطنية ضد معاهدة صدقى بيفن ، التى قادتها اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، التي وصفها محمد مندور فى مقالة هامة بالحدث الخطير ، اى اتصال الطلبة والعمال ، شن صدقى حملة امنية على زعماء الحركة بتهمة ....الشيوعية ، كالمعتاد ، وحبس مندور مع اخريين ، وتصدت اخبار اليوم للدفاع عن صدقى ومعاهدته بأساليب الصحافة الصفراء و الديماغوجية المعتادة ، فوصفت مندور ،بالمنشط الرئيسى على الصفحة الأولى ، بأنه واسطة حزب الوفد مع الكومنترن الذى كان قد حل سنة 1939 !! ، وسقطت المعاهدة و سقط صدقى ودفعت اخبار اليوم بعد أن خسروا قضية التعويض سنة 1948 .

والقضية الثانية ، قضية التعويض عن الفصل التعسفي ضد محمود ابو الفتح و جريدة الوفد ،التى كان يعمل بها مندور مديرا للتحرير، بعد ان استقال من الجامعة نتيجة لتعسف طه حسين معة ، فلقد فصل بعد ان رفضت ادارة الجريدة نشر مقال لة تعليقا على مناداة البعض بضرورة إصدار تشريع يمنع تغيير الأديان ، الأمر الذى اعترض عليه موضحا ان التشريع لايجب ان يتدخل فى الضمير الإنساني ، وقام بنشره فى الاهرام ، ففصلتة الجريدة لانة قام بالنشر فى جريدة منافسة ! ، ونتيجة للتدخلات طلب منه الاعتذار لإعادته لعمله ، فرفض وأوضح أنهم قد اشتروا قوة عملة وليس ضميره ، وتعرض لأزمة اقتصادية عنيفة ، ساعدة فى تجاوزها الجدين ، الجد البيولوجي والجد العلمى ، الحاج عبد الحميد مندور والاستاذ الكبير أحمد أمين ، وانتهى الأمر بالحكم على محمود ابوالفتح و جريدته بالتعويض ، وحضرت الهدسون وبعدها حضرت أنا !! وتعلمنا جميعا قيادة السيارات على الهدسون و ارتبطنا عاطفيا بها ، ارتباطا يفوق الارتباط بسيارة العائلة ، فهى لم تكن مجرد سيارة بل قطعة من إحساسنا بالفخر لأننا نعرف كيف جاءت.

والغريب أن ابى لم يكن يشعر بالانزعاج ونحن نتدرب على القيادة برغم أنه لم يكن يعرفها لضعف بصره، فقد كان يستخدم سائقا ويجلس فى المقعد الخلفى يقرأ ، وعندما يتوقف السائق ، إبراهيم ، تحت إلحاح أحدنا ، فى طريق السفر ، يكتفي بأن يقول " مين اللي هيسوق يا ابراهيم " ، فيأتيه الرد " خالد " ، المفعوص الذى بالكاد يستطيع ان يصل الى البدالات ، فيجيب "طب خد بالك " دون أن يتوقف عن القراءة ! بحب الهدسون



الاب والجد ولابد مما منه بد

"ان كبر ابنك خاويه "

تلقيت تعليقات كثيرة حول العلاقة بين محمد مندور وأستاذه طه حسين متعلقة بما كتبته حول الهادسون وتعسف طه حسين، وهو موضوع لم أكن احب ان اعود اليه ولكن يبدو انى مضطر، فاليكم ما كتبته سابقا بعد التعديل و الاضافة كى يكون الامر اكثر وضوحا.

مات محمد مندور فى حياة أستاذه طه حسين وابدى طه حسين حزنة البالغ على وفاة تلميذة الاول وانة لن ينسى ما عناه مندور فى حياته ، وفى مقال لمحمد مندور سنة 1962 بجريدة الجمهورية كتب تعليقا على ما صرح به لويس عوض ، في حديث لفؤاد دوارة ، بأن جيلهم لم يقم بما هو مطلوب منه فى دعم المواهب الجديدة ، نافيا ذلك بشدة ، حيث أكد أن جيلهم " قد كان أكثر موضوعية وأكثر دقة فى تزجية المواهب الجديدة ، ويكفينا اننا لم نحارب قط موهبة حقيقية وان المواهب التى عملنا على إبرازها لم تكن من قش بل كانت مواهب صلبة أثبتت وجودها ".

ويعلق على الجيل السابق بقوله " وإذا كان كل من هؤلاء الأدباء الكبار قد كان له تلاميذه وحوارية فيخيل الى اليوم ان موقف كل من هؤلاء الكبار من تابعيه قد كان موقفا عاطفيا أكثر منه موقفا موضوعيا ، ولسوء الحظ أخطأوا كثيرا عندما احتضنوا احيانا أشباحا لا مواهب حقة ، بل ويؤسفني ان اقول ان بعضهم حارب احيانا المواهب الحقة عند بعض تلاميذه ومريديه ذوي الشخصية و الاصالة مما ادى الى اختلاط الحابل بالنابل فى جيلنا الاوسط واحداث عملية تقديم و تاخير كان لها بالغ الضرر فى تطور الحركة الثقافية العامة فى بلادنا ، ولولا صلابة بعض هذه العناصر الممتازة لسقطت تحت وطأة الكبار ".

لقد ترددت كثيرا ان اكتب حول هذا الموضوع، الموضوع الذى لم يصرح به اصحابه الا ضمنيا، فالجد المكلوم يشعر بحزن بالغ لوفاة ابنة الاول، و الأب الذى يكن احتراما عميقا لأبيه الثانى يقترب من حبه لأبيه البيولوجى بشعر باسى بالغ، كما هو واضح مما كتبة، وانا كذلك اشعر بحزن بالغ لم يمحوه الزمان ، ويزداد كلما ازداد وعي بما تعرض لة محمد مندور فى حياتة من مصاعب جمة بدون دعم حقيقي من ابيه الروحى ، بعد ان عاد من بعثته الاوربية ، الا فيما ندر.

فكيف بدأت قصة الخلاف

بدأت حين وضع طه حسين متطلبات السماح لطلاب بعثات الادب الى السوربون للتقدم للحصول على الدكتوراة، متطلبات تتجاوز ما يتطلبه السوربون نفسه للسماح للطلاب التقدم للدكتوراه، وهى، بالمناسبة،

لم تطبق الا على بعثة واحدة كان من اعضائها محمد مندور كما سيأتي، هذه المتطلبات كان من ضمنها الحصول على شهادة فى اللغة اللاتينية والتي ألغيت في البعثات اللاحقة.

ولكن الشاب الذى ولد متمردا والذى دفع استاذة بتمردة الى حدوده القصوى ، لم يكن مقتنعا بضرورة دراسة اللاتيني حيث كان يعتقد ان دراستها تضيع للوقت مع لغة ميتة ولم يكن يحبها رغم قدرته الفائقة على الاستيعاب و الدرس ، اذا كان مقتنعا ، فيكفى انه درس فى قسم اللغة العربية و فى الحقوق و في قسم الاجتماع في نفس الوقت ، وكان الأول فى الآداب بقسم اللغة العربية و من الاوائل فى الحقوق ولكنه ترك الاجتماع في السنة الثالثة لتخفيف الحمل ، ولكن استعاض عن اللاتينى بالكثير من الدراسات العليا الأخرى مثل حصوله على دبلوم فى القانون و الاقتصاد و دبلوم في صوتيات الشعر العربى و دبلوم فى تاريخ العمارة ، اى ان خطته كانت الاستعداد الحقيقي للزمن القادم ، حتى وان كان لايدرك بعد ما هو دوره فى هذا الزمن القادم .
ولم يستطع الحصول على شهادة اللاتينى المطلوبة وقامت الحرب الثانية فاضطر الى العودة كامل التسلح بالمعرفة الشاملة و مستوعبا لروح العصر و لكن دون شهادة الدكتوراة اللعينة التى لا تعنى فى احيانا كثيرة شيئا.

وبحثوا لة عن دور يؤديه في كلية الاداب ، فكلف بتدريس الترجمة من الانجليزية ! ، وفي العام اللاحق نجح استاذة احمد امين ان يجد لة مكانا فى تدريس الترجمة من الفرنسية ، ولكن المتمرد الاصيل شعر بالغضب و قرر أن يحصل على الدكتوراه ، فى نفس الوقت الذى نقل فيه طه حسين مديرا لجامعة الاسكندرية ، فتوجه الى الاستاذ الكبير أحمد أمين كى يكون مشرفا علية فى الدكتوراة ، فكانت الطامة الكبرى التى قسمت ظهر البعير ، ألا يكفى انه لم ينفذ تعليمات الاب بدراسة اللاتيني بل يتمرد عليه ايضا باختيار احمد امين مشرفا ، و بالقطع فإنه تمرد لادراكه ان طه حسين ليس أبا ديمقراطيا ولم يكن سيسمح له بالتقدم للدكتوراة . وكان تحديا علميا كبيرا ، فلقد نجح فى الحصول على الدكتوراة فى ستة أشهر فقط لاغير ، هذه الدكتوراه المعروفة الآن بكتاب " النقد المنهجى عند العرب " ، وهو أحد أهم كتبه على الإطلاق.

ولكن الاعيب الزمن تستمر، وينقل محمد مندور إلى جامعة الإسكندرية لوجود أماكن شاغرة، ولكن طه حسين يرفض الاعتراف بالدكتوراه و لا يتم تعديل وضعه، ويتزايد تمرد مندور فى مواجهة التحديات، وهو الأمر المعتاد في سلوكه ، فيستقيل من الجامعة و ينطلق فى بحر الحياة متمردا لكي يصبح مندور مندور .

فالجد هو الذى دعم واستثار التمرد الأصيل لدى تلميذه، الذى مارس التمرد إلى مداه الكامل فتمرد حتى على أستاذه، الذى لم يستطع ان يستوعب ان تمرد تلميذة هو بالضبط ما كان يستحثه عليه، ولولا هذا التمرد لما أصبح محمد مندور الذى نعرفه، ولكان قد اكتفى ان يصبح استاذا جامعيا مرموقا، مثلة مثل الأبناء الآخرون النابهون ، مثل سهير القلماوى أو شوقى ضيف .

فان كبر ابنك خاويه حتى لا تصيب الأحفاد " بوجع القلب "

أنا والشعر الابيض

احب الشعر الأبيض منذ أن كنت طفلا، في الغالب لأنني كنت احب احد اعمامي بشكل خاص، الدكتور مصطفى مندور، الذى نال الشعر الابيض و هو مازال شابا، وكان شديد اللطف ودودا وبسيطا وصاحب قدرة على

التصادق مع الاطفال، وكنت اعتقد ان صاحب الشعر الأبيض لابد وحتما أن يكون مثله ، وشاب شعري وشعر اصدقائى و معارفى ، وبدأت أنظر إليهم لعلني أجد ما توقعته ويا لهول ما وجدته ! .

فمن كان حكيما ازداد حكمة بخبرة السنين، ومن كان أحمقا أصبح أكثر قدرة على إخفاء حماقته، ومن كان صاحب قدرة تحليلية زادت قدراته، ولكن لا يسقط شيء من السماء، بل تبقى الملامح الرئيسية كما هى مع بعض التعديلات التى قد تكون الشعر الأبيض فقط!

فيا أصحاب الشعر الأبيض لا تتكلموا كثيرا لعلنا نستمر في الحصول على الاحترام، لان شعرنا أبيض!!

د. محمد مندور واخر العنقود

يوضع سره في أصغر خلقه، سبحان الله، جاء إلى الدنيا بدون قرار من الأبوين، جاء ودون ان ادري أصبحت اعتبرة من مسؤولياتي وأحمل همة، دون أن يدرك ذلك أحد حتى هو، الامر الذى لم يعرفه الا بعد سنوات طوال.

ويقوم، اخر العنقود، بجهد تاريخي فى استدعاء محمد مندور من جبل الأولمب كى يشارك فى دعم مقاتلوا جيش الحرية والعدل والديمقراطية، فيجمع كل ما لم ينشر من كتاباته فى كتب، ومازال يفعل ذلك حتى الآن، وسيصدر كتاب جديد قريبا بة الكثير من اراء محمد مندور عن الشعر واشياء اخرى.

فشكرا لأخر العنقود من د. محمد مندور وابنائه واحفاده وابنائهم ومن كل من يساهم في جيش النور، وكل سنة وانت طيب.

الشعر والخيال وأحلام البشر

لو تأملت الصورة الشعرية في كيف انبثقت اثينا، الهة الحكمة، من رأس زيوس، ابيها كبير آلهة اليونان، لأدركت قيمة وقوة هذه الصورة الشعرية.

لقد حاولت البشرية الوصول الى تفسير للحياة و الكون وهو ما تجلى أوضح ما يكون في الديانات القديمة، وكانت تخيلاتهم تعكس أحلامهم وآمالهم سواء فى الحياة الدنيا ام فى الاخرة، وكان التعبير عن هذه التفسيرات تعبيرا شعريا بالغ الرهافة و الجمال، ولا أعني بهذا انهم قد صاغوا هذه التصورات شعرا كما نعرفه الآن ، ولكنهم صاغوة شعرا رغم ذلك !

فالشعر في تقديري هو صور شعرية متتابعة ومترابطة، ولا اريد ان اخوض فى النقاشات الطويلة حول وحدة القصيدة او الشعر المنثور وغيرها من المسائل لأنني غير مختص، ولكن الأمر، فيما يخصني كقارئ، هو الصورة الشعرية، وهو ما نجح فيه بابداع كبير الفراعنة واليونانيون القدماء.

وما زال الشعر أحد أهم وسائل التعبير عن أحلام البشر



البطولة والاهداف المخفية

سؤال يحيرني منذ زمان بعيد حول من هو البطل ، ولماذا كانت بعض الشخصيات التاريخية تأسر قلبى ، هل البطل هو من يقوم بواجبة ام هو الذى يتخطى الواجب و يتجاوزة الى ما هو أبعد ، ام ان كلاهما بطلا ؟ عندما كنت اقراء عن ثورة 1882 لم يكن عرابى او عبد العال حلمى او على فهمى هم من يخطفون قلبى ، برغم انهم كبار قادة الثورة ، ببساطة لانهم اكتفوا بالقيام بواجبهم ، ولكن ثلاثة شخصيات اخرى كانت تجذبنى ، اولهم محمود سامى البارودى ، الشركسى وصاحب الاملاك الذى ضحى بمصالحة و انضم للثورة ، ثم محمد عبيد الذى لم ينتظر احدا وهاجم سكنات قصر النيل كى يحرر قادة الثورة ثم قاتل فى التل الكبير و لم ينسحب او يسلم حتى استشهد ، وثالثهم عبد اللة النديم الذى رفض الهزيمة ولم يستسلم ابدا حتى توفى فى المنفى . وفى التاريخ الاحدث ، كان عبد الحكم الجراحى يأسرنى لانة رفع العلم الذى سقط من ايدى عبد المجيد مرسى عندما استشهد وهو يعلم ما سياتى ، الامر الذى ادركة الشعور الشعبى فهتف لة " رفعت العلم يا عبد الحكم ".

وفى تاريخنا الحديث ، فى حرب اكتوبر ، شارك عشرات الالاف فى معاركها ، وقاموا بواجبهم على اكمل وجهة ، ولكن معاير البطولة طبقا للقوات المسلحة ، لا تنطبق عليهم جميعا ، وهو ما اتفق معة ، ولذلك قلدت القلة منهم الاوسمة .

والان اجد توجه غريب لدى البعض لاعتباركل من ساهم في هذه الحرب بطلا، اى ان لدينا مئات الالاف من الابطال، فقط لانهم قاموا بواجبهم، الذى نقدر قيامهم به تقديرا عاليا و نشكرهم علي ذلك، ولكنهم ليسوا ابطالا، الابطال هم من كافئتهم القوات المسلحة بالاوسمة لقيامهم باعمال استثنائية، وبالذات من ضغار القادة و الجنود .

ان الاصرار على مثل هذا التوجه، الذي اعتقد انه يهدف لاشياء اخرى، يمثل فى تقديرى اهانة لكل ابطال هذة الحرب و لكل من ساهم فيها وللقوات المسلحة نفسها.



دفاعا عن شرف الأمة

أمر لا مساومة عليه ولا أوهام ليبرالية حوله، شرف هذه الامة يتمثل فى كل من دافع عن عقلها و بذل جهدا لتنويرها ، لاننى نواجهه الآن هجمة ظلامية ومسلحة تغتال الأبرياء وتدمر حاضرنا ، ووصلت تأثيراتها الفكرية الى عقول الجماهير، هجمة ليست مرتبطة بيناير وما بعدها ، هجمة تراكمت قواها منذ عقود وما زالت تحاول بمختلف الاساليب ، تباشيرها كانت واضحة منذ 1928 وكشفت عن مستقبلها باغتيالات 1948 ، ولذلك انتابني غضب شديد عندما نشرت تعليقات قديمه مسفهة لأحد رواد العقل والتنوير ، فى نفس الوقت الذى لا أدعو الى تأليه هؤلاء الرواد او عدم الاختلاف معهم ولكن لابد من احترامهم و نقاش آرائهم بمنتهى الجدية بما يعمق العقل والتنوير ويقف في مواجهة الظلاميين.

لقد تمنيت سابقا ان نواجهة قوى الظلام باستخدام مدفعيتها الثقيلة، برفاعة الطهطاوي ومحمد عبده وشبلي شميل وطه حسين وأحمد أمين وسلامة موسى ومندور ولويس عوض ومحفوظ ويوسف إدريس وصلاح عبد الصبور وسيد حجاج وأمل دنقل وابنائهم واحفادهم ولا ننساق ابدا لما يضعف سلاحنا. ولذلك اعيد نشر ما كتبته سابقا عن سلامة موسى مؤكدا للجميع "ان اللى خلف مامتش ".

سلامة موسى "اللي خلف ما متش "

هوجم سلامة موسى سنة 1954 بتعبيرات مسفهة من توفيق الحكيم والعقاد وكامل الشناوي، فيصفه العقاد بأنه ليس أديبا ولا عالما وفاشلا ولا يعبر الا عن الحقد ووصفة الحكيم بانة لايجب اعطاء حكمة وزنا لأنه توقف عن القراءة منذ زمن بعيد، أما كامل الشناوي فيصفة بأنه حاقد موهوب يعبر عن آراء غيره ولا يعرف عن الأدب الا عناوين الكتب.

وللأسف لا اعرف اين نشر هذا، ولكنى اعرف ان هذه التعليقات الصحفية جاءت فى ظرف دقيق كان الصراع يدور حولها حول شكل الحكم، حيث من الواضح ان موقف سلامة موسى كان واضحا، اتساقا مع تاريخه كله قبل وبعد 54، اى مع شكلا ديمقراطيا للحكم.

ان كل منهم يبحث عن ما يتوقع أن يجده فى سلامة موسى وهو ما يعني وبكل وقاحة أنهم لم يفهموه و في الغالب لم يقرأوا، فهو ليس أديبا او عالما او حتى حاقدا ولا يهم كثيرا أن كان يقرأ أم لا، بل هو أكثر من هذا بكثير، سلامة موسى أحد رواد العقل والتنوير ولعب دورا يتجاوز كل هؤلاء حتى يتجاوز دور توفيق الحكيم نفسه ، ولم يبخل بماله او جهده فى الدعوة لما يعتقده .

فهو لم يبشر بالديكتاتور العادل فى عودة الروح سنة 1938، كما فعل الحكيم، الذي عاد إليه وعيه بعد ان خربت مالطة، وبعد ان اصبحت عودة الوعي أمنة سنة 1974، وإن كان يبقى للحكيم انه احد رواد نشأة المسرح المصري المعاصر و إنتاجه الأدبي والفني الممتازين.

والعقاد المعقود الذي كان قد تخلى عن دفاعه عن التقدم والدستور منذ منتصف الاربعينيات أصبح عائقا للتقدم، وظل يحظى بالتكريم الى ان توفاة اللة ولكن يبقى منه ايضا دوره التاريخى قبل ذلك برغم المزالق الكثيرة التي وقع فيها.

أما كامل الشناوي الغلبان الذي وجدة نفسه بين شقي الرحى وهو لا طاقة له بها فقد كذب برغم نصائحه بالاتكذبى إيثارا للسلامة في زمن اغبر طال غيرة بالأذى مثل لويس عوض ومحمود أمين العالم. سلامة موسى الذى دافع عنه محمد مندور دفاعا مجيدا فى مقال بمجلة الثورة بعنوان "سلامة موسى المفترى عليه " و"الرائد سلامة موسى...مقدمة كتاب.. انتصارات إنسان. 1960".

يبقى أن أقدم شهادتي الشخصية عن سلامة موسى، فمن يتهمه بالحقد اما انه مجنون لا يعي او يفعل ذلك لأسباب سياسية، فلقد كان وديعا مهذبا شديد التواضع جاذبا للأطفال.

يبقى اخيرا ان نكون اكثر حرصا فى استدعاء الماضي بدون استدعاءه كاملا بظروفة وشروطه وتقديمه بموقف نقدي واضح حتى لايساء فهم هذا الاستدعاء لأننا في ظروف دقيقة، مجتمع تخلف وعيه تحت تأثير متراكم من قوى الظلام التى تلجأ بعض فصائلها للسلاح فتقتلنا و تهدد مستقبل اولادنا و بلادنا. فيا جدنا العظيم سلامة موسى " اللى خلف ما متش "، ويدافع عنك الابناء و الاحفاد لأنهم يدافعون عن نفس حلمك، العقل والتنوير والحرية، وسيستدعونك من قمة جبل الأولمب للمشاركة معهم من اجل مستقبل افضل.

.



حرقة القلب واندفاع الشباب وحكمة الشيوخ

احترق قلبى فى أعقاب هزيمة 1967 ، فاندفعت اقراء كل الكتب التى تتحدث عن الاستراتيجية والخبرات العسكرية ، فقرات لليدل هارت و هانز جودريان و فون مانشتاين وفولر وزوكوف ومقالات محمود عزمى الممتازة التى كان ينشرها فى مجلة الطليعة عن خبرات الحروب فى الصحراء ، وعن خبرات الحرب العالمية الأولى و الثانية و حروب العصابات ، وتابعت انواع الاسلحة و تطورها وكيفية استخدامها ، ويزداد قلبى احتراقا ، الى ان نشر حسنين هيكل مقاله الشهير سنة 1970 " تحية الى الرجال " وأصابني غضب شديد من هذا المقال ولعنت سلسفيل خاش امة ، ولكن وبعد مرور كل هذه السنين وبعد تكشف الكثير من الحقائق يبدو انه كان اكثر واقعية من الشاب المحترق قلبه.

وعندما قامت حرب 1973 كنت اجلس على الخازوق، بطريقة العصور الوسطى، انتظارا لتطوير الهجوم الى الممرات، ولم يحدث هذا، ومازلت جالسا على الخازوق، ولكن ليس وحدي!

اليكم مقال هيكل

تحية للرجال...

لقد كان لابد اليوم من وقفة بالتحية أمام الرجال الذين قد يضع التاريخ فى أيديهم ومع أى لحظة، مسئولية وواجب القتال من أجل التحرير.

وبعد هذه الوقفة، نعود فى الأسبوع القادم - بإذن الله - إلى بقية حديث متصل عن "تأملات حول الصراع الكبير".
لابد لى اليوم من وقفة بالتحية، أمام هؤلاء الذين يحملون الآن أغلى أمانة فى تاريخ مصر. هؤلاء الذين صدرت إليهم الأوامر ليكونوا على استعداد دائم، يصل الليل بالنهار والنهار بالليل تحسباً للحظة قد تجئ في أي وقت.

هؤلاء الذين سوف ينطلقون مع عواصف النار والدخان والرعود الداوية والبراكين الهادرة على الأرض والصواعق الطائرة في السماء.

هؤلاء العاملون في صمت، المقتحمون فى جسارة، المضحون فى جلال، الزاحفون، برغم كل شىء، إلى هدف يتحتم بلوغه لأن أمن مصر وقدر مصر ومستقبل مصر معلقة به.

وأمن مصر وقدرها ومستقبلها، هى نفسها، أمن وقدر ومستقبل أمة بأسرها تعيش نقطة فاصلة فى تاريخها. هؤلاء الرجال على جبهة القتال المصرية لا تكفي لتحيتهم اليوم عيون القصائد من دواوين الحماسة، ولا تنصفهم منابر الخطابة مهما اهتزت وارتجت عاطفةً وانفعالاً.

شىء واحد قد يكفي فى ظنى وقد يفى، وهو أن يكون شعبهم وأن تكون أمتهم على علم وبينة بالصورة العامة التى سوف يمارسون فيها دورهم الوطنى والقومى، ذلك أنه بالقياس إلى حجم المهمة وظروفها، تبدو قيمة الجهد وتكاليفه.

وهذا ما أحاوله فى هذا الحديث، وبالقدر الذي تسمح به متطلبات الأمان وهذه لها أولوية لا يسبقها اعتبار آخر.
أولاً:
إن القوات المسلحة المصرية تواجه معركة من أصعب معارك التاريخ، وليست هذه صيغة مبالغة، وإنما هى وصف حقيقة.

وعلينا أن نتمثل أمامنا طبيعة الأرض التى قد يجد الجيش المصرى نفسه أمامها، ثم ما أقامه العدو من مواقع على هذه الأرض استغلالاً لطبيعتها

. إذا فعلنا ذلك فسوف نجد معالم الصورة تطالعنا على النحو التالي:

1 - مانع مائي خطير هو قناة السويس.

2 - كثبان رملية على شاطئها الشرقى مباشرة تجمعت وتراكمت بالظروف الطبيعية، ثم أضافت إليها عمليات التطهير المستمرة فى قناة السويس، وكانت دائماً تلقى بقاياها فوق الناحية الأخرى، وعلى هذه الكثبان أقام العدو خطه الدفاعى الأمامى على حافة الماء مباشرةً.

3 - منطقة رمال مفتوحة بعد ذلك ولكنها محاصرة بين شاطئ القناة وبين بداية المرتفعات نحو منطقة المضايق الحاكمة فى سيناء والتى لا تبعد عن القناة نفسها بأكثر من ثلاثين كيلو متراً.
4 - منطقة المضايق نفسها وهى طبيعة صخرية شديدة الوعورة وعليها أقام العدو خط دفاعه الثانى.
5 - الصحراء المكشوفة حول منطقة المضايق وما وراءها بما تقدمه من فرص لعدو يعتمد كثيراً على الطيران.
هذه هى طبيعة الصورة التى يجب أن نتمثلها تماماً ونتفهم تفاصيلها لأن ذلك سوف يتحدث عن الجهد البطولى لرجالنا بأكثر مما تتحدث عنه الكلمات حتى إذا كنا ننحت هذه الكلمات من صميم القلوب. تبقى الطبيعة أبلغ دائماً من كل الأوصاف.

نلقى نظرات أكثر تأنياً على أهم هذه المعالم التى صنعتها الطبيعة أو أقامها العدو استغلالاً لهذه الطبيعة... وبالذات قناة السويس والشاطئ الآخر.

1 - قناة السويس.

معنى ذلك أن الجيش المصرى فى تقدمه سوف يواجه ما لم يواجهه جيش من قبل. وأظنها سوف تكون - فيما أذكر - أول مرة فى تاريخ الحروب يواجه أي جيش أمامه:

- مانعاً أو عائقاً طبيعياً صعباً [قناة السويس].

- ثم خطاً دفاعياً أقيم على حافتها مباشرةً [خط بارليف في وضعه الجديد].

من قبل واجهت الجيوش المتحاربة فى أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية عوائق مائية، نهر "الفولجا" فى الشرق أو "الراين" فى الغرب مثلاً - ولكن هذه الأنهار الطبيعية لا تشبه ولا تقارب قناة السويس عمقاً أو عرضاً أو مجرى.
ومن قبل واجهت نفس الجيوش المتحاربة فى أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية خطوطاً دفاعية حصينة، خط "ماجينو" الذى أقامته فرنسا أو خط "سيجفريد" الذى أقامته ألمانيا مثلاً، ولكن هذه الخطوط الحصينة

لم تكن قابعة على حافة مانع مائى خصوصاً إذا كان هذا المانع هو قناة السويس.
3 ـ إذا ألقينا بعد ذلك نظرة على منطقة الرمال المفتوحة فيما يلى الكثبان الرملية المطلة على حافة قناة السويس..
فإن هذه الأرض المحصورة ـ بين كثبان الرمال وبين مرتفعات منطقة المضايق ـ هى الأرض التى كان العدو فى مرحلة سابقة من تخطيطه يريدها مسرحاً أساسياً لعربدة طيرانه ضد قوات أى عبور مصرى. وبعد إتمام تركيب شبكة الصواريخ المصرية غير العدو تخطيطه لأن مدى هذه الصواريخ يمكن أن يغطى هذه المنطقة ويجعل عمل الطيران فوقها محفوفاً بالمخاطر.

وهكذا فى التخطيط الجديد ـ فيما تقول مراكز الأبحاث فى الغرب ـ نقل العدو مسئولية العمل فى هذه المنطقة من الطيران إلى المدرعات.

أصبح قراره أن يوجه الصدمة الأولى ضد قوات العبور المصرية من خط التحصينات على حافة القناة... لكى تكون هذه التحصينات طبقاً للتصور الإسرائيلي بمثابة مصفاة.

وما ينفد من المصفاة تتلقاه قوات المدرعات فى المنقطة المفتوحة المحصورة بين كثبان الرمال وبين بداية المرتفعات نحو المضايق.

4 ـ والمضايق بعد ذلك هى خط الدفاع الثابت الثانى بعد الخط الأول المرتكز على حافة القناة. ومنطقة المضايق سلاسل جبال تتشابك وتدور حول بعضها وهي فى تقدير كل المهتمين بدراسة سيناء ـ المفتاح الرئيسى للسيطرة على هذه الصحراء المقدسة.

وكانت منطقة المضايق هى هدف عملية الإنزال المشهورة فى ممر ميتلا سنة 1956 وكان الإنزال فيها ثنائى الهدف:
ـ احتلالها ومنع الكتائب المصرية القليلة فى سيناء وقتئذ من التمركز فيها لوقفة دفاعية تصد الجيش الإسرائيلى عن الوصول إلى قناة السويس.

ـ ثم إن احتلالها إذا تم بعملية إنزال سريعة تعطى الإسرائيليين فرصة ليعلنوا أن قواتهم وصلت إلى بعد خمسة وثلاثين كيلو متراً من قناة السويس وكانت هذه هى الإشارة المتفق عليها لتتم المؤامرة الثلاثية. ويعلن إيدن ـ رئيس وزراء بريطانيا ـ وموليه ـ رئيس وزراء فرنسا ـ أن بلادهما سوف تضطر إلى التدخل لفصل المتحاربين حول القناة ولحماية هذا الممر الهام للملاحة العالمية.

5 ـ وأما الصحراء المكشوفة من حول منطقة المضايق وما وراءها فليست عليها موانع طبيعية حتى بلوغها خط الحدود المصرية الدولي تقريباً.

وفى هذا الاتساع الصحراوي الشاسع والمفتوح فإن إسرائيل تعتمد على المناورة بالمدرعات وعلى تركيز الطيران.
هكذا فإن خطة الدفاع الإسرائيلى أصبحت تعتمد على خطين ثابتين:

الأول ـ القناة وخط بارليف.. والآخر ـ جبال المضايق.

كذلك فإنها تعتمد على منطقتين مكشوفتين لعمل المدرعات والطيران:

ـ أولاهما المنطقة المحصورة ما بين كثبان الشاطئ الشرقى إلى المضايق..

ـ والأخرى الصحراء المفتوحة من حول المضايق وما يليها.

هذه لمحات سريعة كأنها جوانب مشهد يلتقطه البصر فى طرفة عين ويمضي بعده بسرعة إلى بقية مشاهد الصورة العامة التى سوف يمارس فيها الجيش المصري دوره الوطني والقومي.

ثانياً:
إن الجيش المصري سوف يواجه المعركة وحده.

سوف تصدر بيانات تعلن عن رفع درجة الاستعداد فى جيوش عربية أخرى.

وسوف تنطلق إعلانات تذيع أن قوات هذا البلد أو ذاك على استعداد للتوجه إلى ميدان القتال. ولكن من سوء الحظ أن المعارك لا تُخاض بالبيانات والإعلانات.

ومن سوء الحظ أكثر أن هذه البيانات والإعلانات لا تساعد الجيش المصرى بقدر ما تساعد عدوه. وللعقيد معمر القذافى فى هذا التقليد العربى رأى نافذ ولعله رأى جارح يقول فيه:

ـ لماذا ندعى بعكس الحقيقة... لماذا لا نقول برجولة أن الجيش المصرى وحده فى الميدان؟ المشكلة أننا حين نغالط وندعى بوجود غيره فإن كل ما نفعله هو أننا نوحى للعالم أن إسرائيل محاصرة بعدة جيوش وأن دولاً عديدة تكالبت عليها وبالتالى فإننا نفتح لها الباب لكى تشد غيرها معها فى المعركة. يبقى الجيش المصرى أمامها وحده، وتستغل هى الأوهام التى نطلقها نحن فتجئ بغيرها يساعدونها بالطريق المباشر أو غير المباشر على أساس خرافة أن الأعداء أطبقوا عليها من كل جانب!!

لماذا لا نقول الحقيقة ولو مرة واحدة.

ونقولها ولو حتى بالسكوت ما دمنا لا نملك غيره؟".

مجرى مائى بعرض مائتى متر وبعمق أحد عشر متراً يمتد على خط مستقيم بين بحر وبحر... لا يتعرج مجراه ولا يدور، لا يرتفع منسوب الماء فى مكان منه أو ينخفض فى مكان آخر وإنما مستوى واحد على طول الخط الذي رسم وشق وسط الصحراء، وليس هناك فوق هذا المجرى جسر أو معبر واحد. ومن هنا فإن ثقاة العسكريين فى الغرب وفى الشرق يعتبرون مجرى قناة السويس واحد من أهم الخطوط الدفاعية الطبيعية فى العالم من حيث كونه مانعاً ضخماً أمام المدافع عائقاً ضخماً بنفس المقدار أمام المهاجم.

2 ـ الشاطئ الآخر.

على حافة الماء مباشرةً وعلى الكثبان الرملية أو تحتها بمعنى أصح أقام العدو خط دفاعه الأول تعزيزاً لدور المانع الطبيعي وهو قناة السويس.

وكان العدو قد بنى على هذا الشاطئ ما عرف فى مرحلة سابقة باسم خط بارليف وشلت المدفعية المصرية هذا الخط وفكت تماسكه ولكن العدو أعاد بناء هذا الخط فى الشهور الأخيرة وعلى صورة مغايرة تماماً للخط القديم.
وتقول تقديرات مراكز الدراسات العسكرية فى عواصم الغرب أن إسرائيل صرفت على إعادة بناء هذا الخط خلال الشهور الستة الماضية مبلغاً يزيد على مائتى مليون جنيه إسرائيلى "أى ثلاثين مليون جنيه إسترلينى"

وكان السبب فيما يقدر خبراء هذه المراكز هو أن إسرائيل بعد إتمام بناء شبكة الصواريخ المصرية غيرت تخطيطها للمعركة القادمة.

ـ قبل عدة شهور كان تخطيطها أن تحارب معركتها ضد أى عملية عبور مصرية فى منطقة الرمال المحصورة بين كثبان شاطئ القناة الشرقي وبين صخور الممرات.

كانت مهمة خط بارليف فى تلك المرحلة هى تعويق أي عبور مصري.

أما الطيران الإسرائيلى فكانت عليه مهمة التصدى لقوات العبور المصرية أثناء تقدمها بعد ذلك لمحاولة ضربها.
ـ وبعد إتمام بناء شبكة الصواريخ المصرية غيرت إسرائيل تخطيطها وأصبح قرارها ـ فيما يقدر خبراء المراكز العسكرية فى الغرب ـ أن تكون المعركة الكبرى ضد قوات العبور المصرية على حافة الماء مباشرة بواسطة التحصينات وبواسطة المدرعات وراء هذه التحصينات.

ومن هنا أعيد بناء خط بارليف وفق التصور الجديد للمعركة.

ثالثاً: إن الجيش المصري سوف يواجه الجيش الإسرائيلى بأكمله، وكل المعلومات ـ مرة أخرى لدى مراكز الدراسات العسكرية فى الغرب، وفيها الثقاة والخبراء ـ تشير إلى أن ذلك هو المعنى، الذي يمكن استخلاصه من توزيع القوات الإسرائيلية على الجبهات العربية.

الجبهة الأردنية ليس عليها غير قوات الأمن الداخلي فى إسرائيل.

الجبهة السورية ليس عليها حتى هذه اللحظات غير لواء واحد.

والجبهة المصرية أمامها الآن فى سيناء ـ غير ما يمكن دفعه بسرعة فائقة من القوات الاحتياطية ـ ما يلى:

ـ فرقتان من المشاة الميكانيكية [35 ألف جندي].

ـ فرقة مدرعة [أربعمائة دبابة بأطقمها].

ـ لواء قوات كوماندوز محمول جواً بالهليكوبتر [70 طائرة هليكوبتر وثلاثة آلاف من قوات المظليين].
ـ مائة قاذفة ومقاتلة فى مطارات سيناء القريبة.

ـ ما بين ثمانمائة إلى ألف مدفع ثقيل.

هذا غير قوات خط التحصينات القابع على حافة الماء مباشرةً وحقول ألغامه، ونطاقات أسلاكه الشائكة، وأسلحته، وما زود هذا الخط نفسه به من المخترعات وحيل الخداع والتمويه.
وهذا أيضاً غير ما تستطيع إسرائيل دفعه بسرعة إلى مسرح العمليات المصرى فى حالة اتساع مدى القتال واضطرارها إلى التعبئة الجزئية أو العامة.

وفى هذه الحالة فإن الجبهة المصرية سوف يكون عليها أن تتحمل طاقة ثلاث فرق مدرعة [1300 دبابة وخمس فرق من المشاة الميكانيكية، وقوة السلاح الجوى الإسرائيلى كلها [أى حوالي 600 طائرة بينها الفانتوم وسكاي هوك والميراج وغيرها].

رابعاً: إن الجيش المصري سوف يقوم بما يتحتم عليه أن يقوم به، ويواجه ما يتحتم عليه أن يواجهه بعد قرابة أربع سنوات حافلة.

1 ـ كان عليه فى بدايتها أن يتحمل خطايا هزيمة لم يكن الذنب فيها على المقاتلين [وتلك مسألة سوف يدور فيها بعد المعركة بحث طويل يضع الحق فى مكانه ويكتب التاريخ كما ينبغى أن يكتب التاريخ إنصافاً وانتصافاً].
2 ـ كان عليه أن يتحمل بعد ذلك استفزازات لا قبل لمقاتل شريف بتحملها، ولكنه تقبلها بمنطق الكاظمين الغيظ انتظاراً للحظة يستطيع فيها أن يرد على النار بالنار.

ولكي يصحح تصوراً شاع، جعل عدوه أسطورة وجعل منه هو عبرة، والتصور بشقيه على غير أساس فلا عدوه يستحق أن يكون أسطورة ولا هو يستحق أن يكون عبرة!

3 ـ وكان عليه فيما تلا ذلك أن ينصرف لعملية إعادة بناء نفسه واستيعاب سلاحه واستعادة الثقة فى المثل الأعلى.
وكانت عملية إعادة البناء واستيعاب السلاح واستعادة الثقة، فى أصعب الظروف الطبيعية والإنسانية، من تحمل قسوة الصحراء إلى تحمل سيطرة العدو الجوية على السماء.

4 ـ وفى هذه الفترة واجه تجربة بالغة القسوة نفسها عليه، تلك هى أن العدو راح يتجنبه وينفذ من فجوات بعيدة إلى عمق مصر، يحاول منها أن يطول المرافق الحيوية أو يتجاوز ذلك إلى الإغارة على أهداف مدنية يقتل فيها الرجال والنساء والأطفال فى المصانع وفى المزارع وفى المدارس.

5 ـ وتوقفت قسوة التجربة النفسية، تفسح الطريق لتجربة أخرى.

تحول العدو من غارات العمق وراء الجبهة وصب جنونه كله على شريط رفيع من الأرض بمحاذاة الشاطئ الغربى لقناة السويس وبعرض ثلاثين كيلو متراً بعد ذلك عمقاً.

على هذا الشريط المحدد وهو ركيزة الخط الأمامى من الجبهة المصرية كان متوسط غارات العدو اليومية 150 غارة وكان معدل القصف متوسطه 1200 طن متفجرات كل يوم ولأكثر من مائة يوم متواصلة.
وكانت طاقة التحمل المصرى مجيدة حتى استطاعت طلائع شبكة الصواريخ أن تأتى بأسبوع "تساقط الطائرات" المشهور وهو الأسبوع الأول من يوليو1970.

6 ـ ثم وجد نفسه مدعواً بالتطورات أن ينتقل من عصر إلى عصر فى الحروب.. من عصر الحروب التقليدية إلى عصر الحرب بالإلكترونات، ومن عصر الرؤية النهارية بالنظارات المكبرة إلى عصر الرؤية الليلية بالأشعة تحت الحمراء.

7 ـ وفجأة ـ والدنيا هائجة مائجة ـ رحل قائده الأعلى.

إن الدنيا اهتزت كلها لرحيل جمال عبد الناصر، ولكن ما من مكان كان وقع الصدمة فيه مروعاً كما كان فى الجبهة.
كانت الصلة بين عبد الناصر والمقاتلين صلة من نوع خاص.

كان المقاتلون يعرفون أن الرجل الذي يمسك فى يده بزمام المعركة قادر على تحريك عوالم بأكملها وذلك عن طريق مكانته وشخصيته التاريخية التى تملأ منطقة الشرق الأوسط بأسرها وتؤثر منها على العالم. كانت هناك هالة ثقة - صنعتها التجارب - تحيط به فى كل وقت... كان بشكلٍ ما رجل الأوقات العصبية، وكان رجل المعجزة فى زمان بعد عهده بالمعجزات...

لكن فترة الانتقال - من المعركة بوجود عبد الناصر، إلى المعركة على طريق عبد الناصر - مرت بأمان. 8 - وكان مطالباً فى النهاية بأن ينتظر السياسة تحل الأزمة - بالسلم - إذا لاح للسلم طريق. أو تصدر إليه الأمر بالقتال، إذا استحال طريق السلم، وتكون على الأقل قد مهدت له الأجواء كى يؤدى مسئوليته فى أكثر الظروف السياسية ملاءمةً لإنجاح مهمته، ومع المراعاة الكاملة لإطار التوازن الدولى الراهن وهو إطار لا يستطيع أحد أن يتجاوزه بسهولةٍ أو بيسر.

خامساً:
وطول الطريق ومنذ البداية وإلى النهاية فإن الجيش المصرى كان يراوده إحساس أصيل بالانتماء إلى شعبه. وكان شعوره عميقاً بمدى التضحيات التى قدمها هذا الشعب حتى من قوت يومه لكى يوفر للجيش كل ما هو ضرورى.
وكانت القوات تتشوق مرات كثيرة إلى خوض المعركة ولو قبل تمام الاستعداد لها لكى تختصر بعض العبء على الشعب، وكانت فى ذلك على استعداد لأن تدفع الفارق من تضحيات بالدم إذا دعا الأمر. وذلك شعور لا يستطيع أن يحس به غير الذين يستطيعون أحياناً أن يلمسوا نبض المقاتلين ويتسمعوا بشفافية العاطفة على دقاته وخفقاته.

وتلك ميزة من ميزات جيش الشعب يختلف بها عن غيره فهو ليس جيش حزب، ولا حزب جيش، كما أنه ليس أداة قمع لسلطان، أو طبقة فوق الطبقات.

وخلال الأيام الأخيرة، ومنذ أعلن أنور السادات فى خطابه إلى الأمة يوم الأحد 7 مارس "أنه قد جاءت اللحظة التى يتحتم فيها على كل مصرى أن يقف ليؤدى واجبه" - فإن أمة بأسرها كانت تحاول من بعيد أن تصغى لأحاديث الجنود.

وكانت الأصداء من هناك حماسة صافية، حماسة الشجاعة المبرأة من كل أثر للمزايدة التى شوهت مع الأسف وجه النضال العربي المعاصر.

هناك لم تكن حماستهم مزايدة... إنهم هناك على خط النار.

لا يزايدون.. لأنهم هناك على خط النار.



ابراهيم فتحى يتحدث عن محمد مندور

الجزء الاخير من مقالة في الرد على برادة، ولعل اهم استنتاجات قدمها ان مندور كان ممثلا للشعب لدى حزب الوفد

والثاني " لا أستطيع عرض نظريات مندور وتطبيقاته، فهي حية اليوم كما كانت عند كتابتها اول مرة يرددها الكثيرون دون ان يعوا انتسابها الى المعلم العظيم "

والثالث، ان مندور لم يكن ماركسيا، ولكنة كان اكثر يسارية من الكثير من الماركسيين.. فيالة من تقييم.

الفكر النقدى للديمقراطية الثورية

يجب أن نفرق فى كتابة مندور بين الاتجاه الفكرى ومضمونه الاجتماعى من ناحية وبين طريقة العرض سواء فى الصحيفة أو الكتاب أو المحاضرة الجامعية من ناحية أخرى. لقد كان سيف الرقابة وقانون المطبوعات والسجن والمحاكمة مرفوعا على رقبته ليل نهار. ولم تكن مناقشة نظام الحكم الملكى فى مصر مما يسمح به دستور ٢٣، ولم يكن ذلك من حق البرلمان، كما أن مجرد الدفاع عن الماركسية أو تحبيذهاأو عرضها عرضا موضوعيا كان يعنى فى المذكرة التفسيرية لأحد القوانين الجنائية الشهيرة دعوة إلى قلب نظام الحكم بالقوة المسلحة.

لذلك من التجنى أن ينسب أحد إلى مندور قبوله للنظام الملكى هو والذى حارب كل دعائمه الاجتماعية والفكرية، أو أن يدرجه أحد فى إشكالية مع الذين كتبوا القصائد فى المليك المفدى.
كما أن العدالة الاجتماعية التى كان يقاتل من أجلها ضد «الباشوات الرأسماليين» الذين كانوا يتحكمون فى الشركات الكبرى ويمتلكون نسبة عالية من الأرض الزراعية، لم تكن منقولة عن نموذجية الغرب أو الاشتراكية الديمقراطية لليون بلوم. فلم يعرف عن أحد من هؤلاء الاشتراكيين حدة العداء للاحتكارات الرأسمالية والتشهير بها، وكانوا على رأس حكومات تستعمر البلاد العربية لصالح الرأسمال العالمى. كما كان دور مندور فى الهجوم على معاهدة صدقى بيفن، وبيفن من قادة حزب العمال، دورا مشهودا فى كشف أن استمرار العلاقة مع «الانجليز» وراء ما يسمى بالدفاع المشترك.

أما استشهاد مندور بمراجع غربية لتبرير دعوته إلى تشريع نظام للضرائب التصاعدية أو لتحديد دور الرأى العام لتفادى الاتهام بقلب نظام الحكم بالقوة فلا يمكن أن يتخذ دليلا على تبعيته الثقافية للغرب. ولقد شعرت بالحيرة فى تلك الأجزاء من كتاب برادة التى يعتمد فيها على دراسات أنور عبد الملك عن المثاقفة والوقوف عند تجاور الثقافتين العربية (الاسلامية؟) والغربية (البورجوازية؟) دونما تركيب. فهل يعتقد أن الديمقراطية والمجالس التشريعية وسياسة الضرائب التى تأخذ فى اعتبارها مصالح الجماهير والحد من الاستغلال كلها خضوع للغرب وتكريس لنموذجيته؟ حقا لابد أن تأخذ هذه المضامين الديمقراطية العالمية العامة أشكالها القومية

التى تتلاءم مع درجات التطور الاقتصادى وطبيعة الهياكل الاقتصادية والصراع الطبقى والفكرى.

أما ترديد القول بالخصوصية الاستثنائية للعرب والمسلمين فهو تكريس للتخلف والعزلة. وربما كان من الأصوب القول إن الثقافة الرأسمالية فى الغرب القائمة على استغلال العاملين والمستعمرات، ليست نموذجا أبديا للتقدم بدلا من اجترار عبارات مثل الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا. وما أظن، برادة ينتمى إلى ذلك التيار.

ان مندور تابع متابعة متعمقة انجازات الأدب العربى والأدب العالمى، ولم يقف عند المتابعة فهو كما قال برادة بحق أول ناقد للأدب العربى، ويبقى أن يضيف أنه قد انتقد التركة الفكرية والفنية «للغرب» أيضا مطورا ما وجده من كنوز ثمينة.

وهو يشبه الديمقراطى الثورى الروسى بيلنسكى، على سبيل المثال، فى بعض النواحى الرئيسية، السياسية والجمالية. لقد ناضل كما ناضل سلفه الذى ربما لم يهتم مندور بدراسته معبرا على حد تعبير لينين عن مصالح زوسع طبقات الشعب من أجل الحقوق الأولية التى كانت تنتهكها فى غلظة مؤسسات النظام» وكانت أفكار «مليكى وبلادى» عن كتلة قومية لاصراع فيها هى الفكر الذى يناوئه مندور، كما كان الفكر السلفى الذى يستجدى حتى عند أبرز الكتاب تصفيق المتخلفين باصدار كتب دينية لاتضيف جديدا وتبرر الأوضاع الظالمة فى العصر الملكى هدفا لهجومه الشجاع. ويوضح برادة فى هذا الصدد أن المثاقفة لم تظل متجمدة عند مستوى التقبل والاندماج (ص ٤٠) كما يبرز بحق أن مندور لايكتفى بنقل التفكير الأوربى، فالتفكير الخصب بألفاظ مندور «هو الذى نستمده من الحياة ونبنيه على الواقع، وعلى هذا لايكون لنا بد إذا أردنا أن نجدد حياتنا الروحية من أن نغير من مقومات تلك الحياة واتجاهاتها وقيمها» (الميزان الجديد ص ٦٨) (ولكن برادة يعود ليؤكد استنادا على أنور عبد الملك غياب «التركيب» كما أسلفنا).

لقد أكد مندور دائما الربط بين الفكر والفن وبين الواقع والحياة والابتعاد عن الخرافات ونقد العلاقات الاجتماعية وتحليل الاتجاهات الفكرية. وطوال الفترة السابقة لحركة ١٩٥٢ لم يتهادن مندور مع السلطة ولامع أساسها الاجتماعى، وكان ينتمى إلى يسار الحركة الوطنية بل إلى أقصى يسارها. وبعد ١٩٥٢ أكد على ضرورة الديمقراطية السياسية، وحاول أن يخوض عام ١٩٥٧ معركة الانتخابات لمجلس الأمة عن دائرة المنيل فى القاهرة أمام مصطفى كامل مراد على أساس من برنامج متسق الوطنية والديمقراطية. وكان أكثر يسارية من بعض الاتجاهات الماركسية التى أيدت فى البداية مصطفى كامل مراد على أنه من «ضباط الثورة» كما إيدت أحمد سعيد مذيع صوت العرب الشهير فى دائرة مصر القديمة المجاورة أمام «سيزا نبراوى» حتى رفض المرشحان



الحكومي تأييد هؤلاء الماركسيين لأنهم فى الزعم الكاذب عملاء للاتحاد السوفيتى. أما محمد مندور فقد رحب بالتعاون مع اليسار الشيوعى فى حملته الأنتخابية ودافع عن برنامج الجبهة الوطنية. الديمقراطية ولم يكن عجيبا أن اعترض عليه «الاتحاد القومى» ومنعه من الترشيح بحجة مدعاة وهى علاقته «بالوفد» ويعلم الجميع أن مندور كان ممثلا للشعب داخل الوفد، وكان يسجن متهما بالشيوعية وتوضع العقبات أمام قيامه بالعمل الأكاديمى والصحفى من جانب وزراء الوفد وبعض قادة الوفد، كما لم يشترك مندور فى البيان الذى كتبه عدد من اليساريين المعترض عليهم يعلنون تأييدهم للرئيس على الرغم من اعتراضه عليهم. وبمناسبة هذا الاعتراض، فلم يكن المطروح للمناقشة تأييد الرئيس فهو معلن فى البرامج والمواقف السابقة، بل الاحتجاج على هذا الموقف المعادى للديمقراطية من جانب الاتحاد القومى الذى فرض وصايته على حق الشعب فى الانتخاب. ومن المعروف أن المجلس الذى تمخض عن هذا الانتخاب ضم مايزيد على العشرين عضوا من الأعضاء السابقين للحزب السعدي حليف السراى والاستعمار دونما اعتراض.

ولم يتوقف مندور، بل جدد فكره ملتمسا السبيل إلى الاشتراكية مناديا بشكل خاص من الواقعية الاشتراكية. وعلى الرغم من انتقاداته الخاطئة لبعض المفهومات الماركسية التى يتوهم أنها حتمية اقتصادية أو دوجماطيقية (تقريرية فى ترجمة مندور) فقد عمد إلى محاولة تطعيم منهجه الديمقراطى الثورى بعناصر منها.

نموذج المثقف العضوى:

ويقحم برادة مفهوم جرامشى للمثقف العضوى فى غير سياق، وكأنه حكم قيمة يمتدح المثقف العضوى مقابل التقليدى.

وبادىء ذى بدء يقرر برادة أن مندور مثقف عضوى لأنه ينتمى إلى الطبقة الريفية المتوسطة

المتشبثة بالتقاليد وبتعاليم الدين الاسلامى والتى أسهمت عن طريق الفلاحين فى البادية (!!) أو بواسطة أبنائهم فى المدن فى الكفاح من أجل الاستقلال (ص ٦٧ وهامش ٢٦ ص ٨٣). وقد بحثت فى مرجع برادة وهو الأرض والفلاح لابراهيم عامر ص ١١٥ ومابعدها عن «البادية» فلم أجدها بطبيعة الحال ولعله يقصد الريف)

ويواصل القول «ولاشك فى أن حزب الوفد الذى كان يقوده فى البداية زعيم «فلاح» قد جعل منها (الطبقة الفلاحية) اداة سياسية قادرة على احراز الاستقلال وامتلاك السلطة.

ومن المعروف أن الفلاحين بالتحديد أو كتلتهم الأساسية «على الرغم من قيامهم بوظيفة جوهرية فى عالم الانتاج، لا يقدمون أو ينتجون مثقفيهم العضويين ولايتمثلون أى شريحة من المثقفين التقليديين، على الرغم من أن الطبقات الأخرى تأخذ من الفلاحين مثقفيها (ابناء الفلاحين) كما أن نسبة عالية من المثقفين التقليديين من أصل فلاحى» (كلمات جرامش من مختارات من دفاتر السجن- طبعة لورنس آند ديشارت الانجليزية ص ٦).

فالفلاحون المتوسطون لاينظمون أنفسهم بأنفسهم وليست لهم ايديولوجيتهم المستقلة، ومن النادر أن يكون لهم تنظيمهم السياسى الذى يقودونه كقوة مستقلة.

وكلمة مثقف تقليدى لاتعنى ازدراء أو نقصا فى المكانة عند جرامشى بل تعنى المثقفين الذين يمثلون استمرارا تاريخيا فى المجال الثقافى لاتقطعه التغيرات الجذرية فى الاشكال السياسية والاجتماعية. وهم يرون أنفسهم مستقلين عن الطبقة السائدة (ص ٧)- وتضم فئة التقليديين كل الفنانين الابداعيين والمتعلمين عموما. أما المثقف العضوى فهو على علاقة أكثر مباشرة بالبنية الاقتصادية لمجتمعه مثل المنظم الرأسمالى. مثلا، وهو يحيا حياة طبقته ملتصقا بها منظما لها ناشرا وعيها.

ولاتعنى التقليدية هنا أنها فى تضاد مع التجديد والعصرية بل تصف المثقف المستمر عبر التاريخ داخل التراث الثقافى.

ولا أظن أن إدخال صفة العضوية على مندور يعنى عضويته فى الحركة الوطنية ثم سحبها منه بعد ذلك مما يفيد كثيرا. ومن الملاحظ أن الحدود الطبقية عند برادة مطاطة إلى أقصى مدى فهو يعتبر سعد باشا زغلول الوزير قبل الثورة (١٩١٩) والمحامى المثقف وصهر أحد كبار الملاك «فلاحا».

عودة إلى النقد:

والجديد الباقى عند مندور أنه يركز نظره فى الأدب باعتباره فنا لغويا، وموضع دراسته أو طابعه العلمى لايأتيه من علم الاجتماع أو النفس أو نظرية التطور بل من علوم اللغة ومناهج

اللغة (فى الميزان الجديد ص ١٨١). واللغة عنده ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات (ص ١٨٥). وهو يقارن بين عبد القاهر الجرجانى وبين «رأس علم اللسان الحديث فرديناند دى سوسير (رأس البنيوية) (ص ١٨٦). وهو لايرفض روح العلم وإن يكن يرفض العلموية المزيفة التى تطبق قوانين العلم الطبيعى والنفسى على الادب (ص ١٩٢). ويقترب مندور من إحاطة شاملة بالشعر فهو طبع ودوافع وارادة وجهد وصناعة، ولكنه لايعود بالأدب إلى الدراسة اللفظية التى افسدته وسلبته روحه. فاللغة مستودع تراثنا الروحى، ومن الثابت أننا لانملك من أفكارنا وأحاسيسنا إلا ما نستيطع ايداعه لفظا الذى يوضح الفكرة ويميز الاحساس (١٩٤)

والفكرة والاحساس فى الأدب عنده يولدان مجسمين فى العبارة، فلا تدرى أفطن الكاتب إلى الصورة أولا أم إلى موضوعها (أيذكرنا مندور بقول ماركس اللغة وعى عملى، واقع أول للفكر؟)
والنقد عند مندور وضع مستمر للمشاكل، ولكل جملة أوبيت مشكلة داخل النص، ولابد لنا من فلسفة كبيرة لنلاحظ مايقع عليه بصرنا (الوقائع الجزئية)، ونحن لانقف عند الألفاظ أو الجمل وإنما ننظر فى المعنى عند تمامه والفراغ من تأليف عناصره المتهابية. هكذا تكلم مندور بلسان الغد.

وهنا تجدر الاشارة إلى أن مندور يفرق بين الدراسات الأدبية وبين النقد الأدبى، وهو لايقحم الذوق المدرب فى الدراسة الأدبية لتاريخ الأدب أو عرض مناهجه ومدارسه ولكنه يؤكد على دور الذوق فى نقد النصوص الأدبية فالنقد ليس تحليلا وفق قواعد جاهزة لعينة معطاة، إنه يقوم على إدراك عالم لامتناه متعدد الأوجه هو العمل الأدبى، ودون التذوق مرشدا لاسبيل إلى دخول هذا العالم.

ولن استطيع عرض نظريات مندور وتطبيقاته، فهى حية اليوم كما كانت عند كتابتها أول مرة يرددها الكثيرون دون أن يعوا أنتسابها إلى المعلم العظيم.
والسؤال الذى يبقى. هل تستطيع البنيوية التكوينية أن تدرس فكرا فى مرحلة انتقال من المضمون الديمقراطى إلى المضمون الاشتراكى، ومن تراكم العناصر العلمية والجدلية إلى تكاملها تعبيرا عن مواقع طبقية متناقضة لشرائح تتجه إلى وضع الطبقة العاملة فى عملية طويلة الآمد حافلة بالتناقضات والمعوقات،؟

وفى النهاية، لقد كان موضوعى هو نقد النقد، لذلك لم أقف طويلا عند ما فى أطروحة الدكتور محمد برادة من نظرات نافذة وأحكام صائبة. وهى كثيرة تقدم زاداً للتفكير والاختلاق وطرح الاسئلة
ومرحبا بالربط بين البنية والتاريخ.. ولكن أيمكن للتضادات التى تفسر التزامن أن تصلح لتفسير التعاقب فى الزمان؟

جدو

عندما عدت الى مصر بعد غياب طويل تفاجأت، لقيت شبان وشابات حلويين كدة و شكلهم يفرح بيقولولى يا عمو، وكلما يناديني احدهم انظر خلفى لابحث عن هذا العم واكتشف المصيبة التى أصابتني، عمو ...... عمو مين ياولاد ال .... ، ولم يتوقف الامر عند هذا الحد المؤلم والمفرح ايضا ، فبعد سنوات اخرى ترقيت وبداءت المسخرة ، ولكن مسخرة احبها فلقد اصبحت جدو ، وانتظر بفارغ الصبر الان العلاوة التى اعتقد انها ستكون الاخيرة ، ابو جدو ، بس اياكم والتريقة (مش ملعون ابو جدو يعنى) .

هكذا حال الدنيا ايها الجدود والنصيحة من القلب، العبوا مع العيال!

بحب جدي، الحاج عبد الحميد مندور



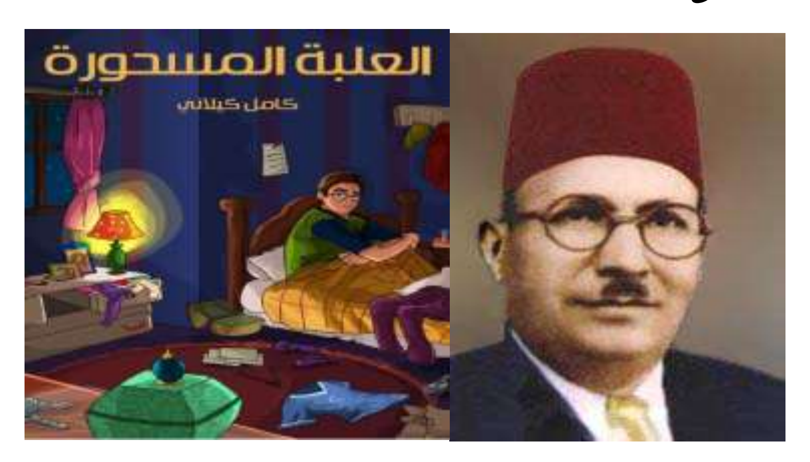
الصندوق السحرى وامى

عندما انفتح الصندوق السحري، عندما تعلمت القراءة، خرج منة ساحر عجيب، قصير القامة ممتلئ الجسد قليلا وذو شارب هتلرى صغير، ويا له من ساحر، أعطاني عبداللة البرى و عبد اللة البحرى وعمارة وعلى بابا وصراع الاخويين وعفريت اللصوص وامير العفاريت، واستمر يعطيني وانا اتراقص على حروف الكلمات بسرعة بالغة، الى أن فرغت جعبته، فاحتج، وقال اذهب الى هناك ، الى مكتبة اهلك فى غرفتى المكتب و الصالون و ستجد هناك الكثير من السحرة ، لا يكتبون لمن هم فى سنك ولكن اذهب و جرب لعلك تستمتع بسحرهم .

وذهبت الى هناك مترددا، وتراقصت على حروف الكتب، وكلما أعجبني كتاب أحد السحرة، انتزعة من مكانة واذهب به الى أمي متسائلا، هل أستطيع ان افهم هذا السحر؟ وكانت الاجابة الدائمة ، اقراءة واذا لم يعجبك سحرة فاتركة ، لكن الى حين ، فسيعجبك بعد عام او اثنين ، او اقراء كتب الساحر سلامة موسى . وبقيت هناك اتراقص على حروف السحر المكتوب ، وعندما كتبت مرة اننى قد قراءت الالياذة و انا طفل صغير ، تعجب احد الاصدقاء ولة كل الحق ، وبرغم عدم تحيد من هو الطفل ، فهل هو كما يحددة القانون ، اى سن الثامنة عشرة ام اصغر ، الا ان هولاء السحرة القابعون داخل بطون الكتب حعلونى اتراقص على حروف سحرهم وبسرعة بالغة ، وكلما مرت السنوات كلما ضاق مجال الاختيار ، فلقد التهمت الكثير من

السحر الموجود ، ولا استطيع ان ادعى اننى قد فهمت هذا السحر الى مستوى العمق المطلوب ، ولذلك كثيرا ما اعدت التراقص على حروف كلمات نفس الساحر اكثر من مرة عبر السنين .

الشىء الهام الذى خرجت بة هو اقراء السحر مادام يجذبك مهما كان سنك، هكذا قالت أمي ، وهو قول صحيح.
الساحر الاول ، كامل الكيلانى



" ابا الهول تحرك ابا الهول، ان هذا العصر تحرك من فية حتى الحجر "

الصوت والضوء بالأهرامات

هل انام بين قدميك واحلم كما حلم الامير الفرعوني فأصبح فرعونا وازاح الاتربة عنك فنهضت واقفا وازحت الغمة، ابا الهول الشوق زاد الى قيامك، فانهض من جديد ونحن معك، الشوق زاد وانا لااستطيع ان اكتبة شعرا، فانهض واستدعى معك عقولنا المنتظرة، فانهض واستدعى رفاعة وطة ومندور و صلاح وامل وسلامة وابراهيم ومعهم كتبية كاملة من دعاة المستقبل المنتظريين على احر من الجمر ونحن معهم، فانهض قبل ان يقتلنا الشوق!



أخيل وهكتور والبطولة

سؤال كان دائما يشغلنى منذ ان قراءت الالياذة وانا طفل صغير ، فبرغم انها قصة او اسطورة يونانية و كتبها كاتب يونانى عن الصراع بين تحالف المدن اليونانية و مدينة طروادة الاسيوية ، الا انها كتبت باقتراب انسانى بديع ، وبرغم ان البطل الرئيسى اليونانى هو اخيل ، ابن كبير الالهة وان اختلفت الاساطير ، الذى لايمكن قتلة لان جسدة تمت حمايتة حين قامت أمه بغمره في مياه نهر ستيكس ماعدا نقط ضعف وحيدة هى كعبة اللذى لم يغمر بالمياة ، الا انة لم يحظى بتعاطفى ، بل كان هكتور هو من حظى بهذا التعاطف . هكتور البطل الرئيسى للطرواديين ، الانساس الكامل المحب لاهلة و العطوف و الذى يدافع عن وطنة ضد الغزو الذى جلبة حماقة اخية الاصغر ، ويقف فى مواجهة اخيل النصف الة لمدة عشرة سنوات كاملة ، فمن هو البطل ؟

سؤال هام عن معنى البطولة ومغزاها

البطولة في أسمي معانيها هي التضحية من اجل مصالح الاخرين او الوطن او المثل الانسانية العليا.



انا وهم

فى زيارة الدكتور فؤاد مرسى ، حضر كلا من الدكتور إسماعيل صبرى عبدالله والاستاذ محمد سيد احمد ، وجلسنا نحن الاربعة و بدء النقاش ، وكانت المرة الأولى التي أتعرف فيها عليهما ، وقررت الا اتكلم ، فانا صغير السن بالنسبة لهم ، وهم تجمعهم صداقة عمر طويل وسط أهوال كبيرة ، وبدأت أراقب النقاش ، لأنني " رقم " شديد الملاحظة ، وبدأت أشعر بالخجل ، ، فقبلها كان محمد سيد أحمد قد أصدر كتابا عن حرب اكتوبر وكنت اتبنى موقفا مختلفا كان قد أصدر كتابا يرد فيه على كتابة المشهور ، بعد أن تسكت المدافع ، خجل نابع من طريقة الرد و ليس من محتواه ، فما زلت اتبنى نفس الموقف ومازلت معتقدا أن تحليل محمد سيد احمد كان خاطئا ، ولكن محمد سيد احمد لايجب ان يعلق عليه احد بهذه الطريقة ، فلقد كان شديد الإخلاص و " البراءة " ، وبعد فترة قصيرة اكتسب تعاطفى الشخصى وكدت ان اتدخل دفاعا عنه لأنه كان يتعرض لهجوم من الدكتور اسماعيل ، هجوم كان فى تقديرى يتجاوز النقاش الى " التقليب " الذى لم يدركه الدكتور فؤاد بجديته المعروفة، رغم تدخله ، وبرغم ذلك استطعت ان اتحكم فى نفسى و الا اتدخل " وانت مالك ، ايه اللي دخلك بينهم ".

فهل نستطيع ان نتعلم من خبراتنا، ونحن نختلف، حتى لا نستمر بالشعور بالخجل سنوات طوال ، ام انة مرض جينى يورث للأجيال !

البطل الشعبي وملاعيب العقل المثقف

هناك نوعان من الأبطال الشعبيين، بطل يتولد من الخيال الشعبى فى اقاصيصة المروية التى تتغير بانتظام عاكسة التصورات الشعبية لمفاهيم العدل والحق و الحرية و كيفية إقامتها، وبطل اخر حقيقي، يحيطه الشعور الشعبي بالود و الاحتضان الذى من الممكن أن يعيد صياغة قصتة، مستندة فى ذلك على الوقائع الحقيقية، بحيث يضفي عليها مزيدا من التفسيرات و الدوافع ولا يمنع الأمر من اضافة المزيد من الوقائع، التي تدعم التصورات الشعبية.

حدث هذا مع على الزيبق وعبد الله النديم وأدهم الشرقاوي و عبد الحكم الجراحي وأمير الجيوش فى العهد الفاطمي في زمن المجاعة وحتى، نسبيا، مع محمود أمين سليمان الشهير بالسفاح فى ستينات القرن الماضى. ولكن كل هؤلاء الأبطال كان يكافح من أجل قضية يعتقد الشعور الشعبي أنها عادلة وتتطابق مع تصوراته فى العدل و الحق، حتى وأن خالفت القانون السائد، ويضار من أجلها شخصيا، وتزداد قيمة هذا البطل وديمومته إذا كان يكافح من اجل اقامة العدل للآخرين.

ولكن العقل المثقف كثيرا ما يعلي من قيمة البعض متصورا أنه قد أصبح بطلا شعبيا فى عملية إسقاط ذاتية عاكسا فيها رغباته وآماله، مفترضا السذاجة والغفلة في الشعور والتقدير الشعبيين، ولكن مثل هذه التصورات لا تصمد كثيرا وتذهب في غياهب النسيان ويبقى الشعور الشعبي سليما معافيا، برغم أوهام و توهمات المثقفين.

صورة أدهم الشرقاوي



علي لابونت وعلى يا ويكا

علي لابونت، بطل شعبي جزائري، اعيد خلقه من جديد عندما ارتبط بالثورة الجزائرية، واستشهد في معركة استقلال الجزائر، فتحول من على يا ويكا الى على لابونت، فعلى كل على ويكا ألا يظن انه أصبح لابونت الى أن يضحى مثل لابونت.

اليكم نص منقول عن علي لابونت

"لا تزال رمزية "علي لابوانت" راسخة في الذاكرة الجمعية، وتبهر العالم كما الثورة النوفمبرية الكبرى، بعد انقضاء خمسة عقود ونيف على جريمة نسف مظلي فرنسا لمخبأ "علي" وثلاثة من كبار الفدائيين "حسيبة بن بوعلي"، "محمود بوحميدي" (بوتي عمر) و" عمر الصغير"، في حي القصبة الشعبي فجر الثامن أكتوبر 1958.

وُلد "علي لابوانت" في 14 ماي 1930 بحاضرة مليانة التابعة لولاية عين الدفلى، وعاش طفولة صعبة دفعته للاشتغال مبكّرا في مزارع قدماء المعمّرين، وفي تلك الحقول استوعب صاحب التسع سنوات معاني الظلم، السيطرة والإستغلال، فحزم حقيبته المهترئة وسافر إلى العاصمة، ووسط حي القصبة العتيق مارس الملاكمة ضمن صفوف النادي الرياضي العاصمي، وبالتزامن مع تألقه في الفن النبيل، تشرّب "علي" الوطنية ونمت لديه فكرة الكفاح لتحرير الجزائر مع أواخر أربعينات القرن الماضي.

وكان دخوله سجن سركاجي فرصة لاحتكاكه على نحو أكبر بشباب الثورة، فانضم إلى فدائيي العاصمة مباشرة بعد خروجه من السجن، ونفّذ "علي" عدة هجمات على مراكز الجيش والشرطة الاستعمارية، وأصبح رفقة الشهيدة البطلة "حسيبة بن بوعلي" والشهيد الرمز "طالب عبد الرحمان"، رفقة كوكبة أخرى من الفدائيين شوكات في حلق البوليس الفرنسي، إلى أن قضى في الثامن أكتوبر 1957، غداة "وشاية" غامضة لا تزال تسيل الكثير من الحبر في أواسط الثوار المخضرمين."



لماذا وقعنا في غرام الميج 21

سأترك الصديق المهندس شريف عبد الله يتحدث

Sherif Abdalla

"الطائرة الميج 21 هي طائرة القتال الرئيسية بالقوات الجويه في السبعينات هي حبي و عشقي لقد دربت عليها مئات الفنيين لمدة خمس سنوات هي مدة خدمتى بالقوات الجوية التي كان لي شرف الخدمة بها قبل و بعد حرب أكتوبر المجيدة التي أعادت للعسكرية المصرية شرفها الذى تستحقه , كنا عشرات من مهندسى الطائرات نعمل بمنتهى الجد والإخلاص في تدريب الفنيين ندربهم نظريا و عمليا على كافة طرازات الطائرات العاملة بالقوات الجوية في مركز مهني الطائرات ثم نلتحق بأحد الألوية الجوية المقاتلة لاستكمال التدريب لقد كنت شاهد عيان على معركة المنصوره الجويه و يالها من ملحمة محفورة فى خاطرى و قلبى .... شكرا يا باش مهندس خالد يا رفيق السلاح على استرجاع هذه الذكريات الغالية"

Sherif Abdalla

"نعم لقد وقعنا في غرامها ... هناك نموذج لهذه الطائرة بعد الكيلو 21 على طريق اسكندريه مطروح كنت و مازلت أتوقف عندها لكي اشاهدها والمسها و اقبلها أحيانا "

هل اتضح الامر الان، ندافع عن الوطن و نقع في غرام طائرته الأولى، لقد امتزج الأمران واختلطت الذكريات و اصبح الكل في واحد، أيها السادة جزء عزيز من ذكرياتنا و أحلامنا يتقاعد



الطائرة الاسطورية والغرام الدفين

الميج 21 ، طائرة الاعتراض الجوى الرئيسية ويمكن استخدامها فى القصف الارضى ، بالقوات المسلحة المصرية سنة 1973، رخيصة الثمن مقارنة بأسلحة الصف الأول الإسرائيلية ، الفانتوم و سكاى هوك ، ذات امكانيات اقل ، على الورق ، ولكنها ، بقيادة الطيارين المصريين ، قدمت أداءا باهرا في القتال ، وظهر ذلك فى المعركة الكبرى فوق مطار المنصورة اثناء حرب اكتوبر ، 165 من الطائرات الاسرائيلية تهاجم مطار المنصورة لتعطيله حتى لا يقدم الدعم اللازم للقوات المصرية أثناء تطوير الهجوم ، وتتصدى لها 65 طائرة مصرية ، الأمر الذى يسفر عن خسائر فادحة للقوات الاسرائيلية تتجاوز 17 طائرة ولا يسقط من الميج الا6 طائرات ثلاثة منها لنفاذ الوقود ، وذلك طبقا للبيانات المصرية.

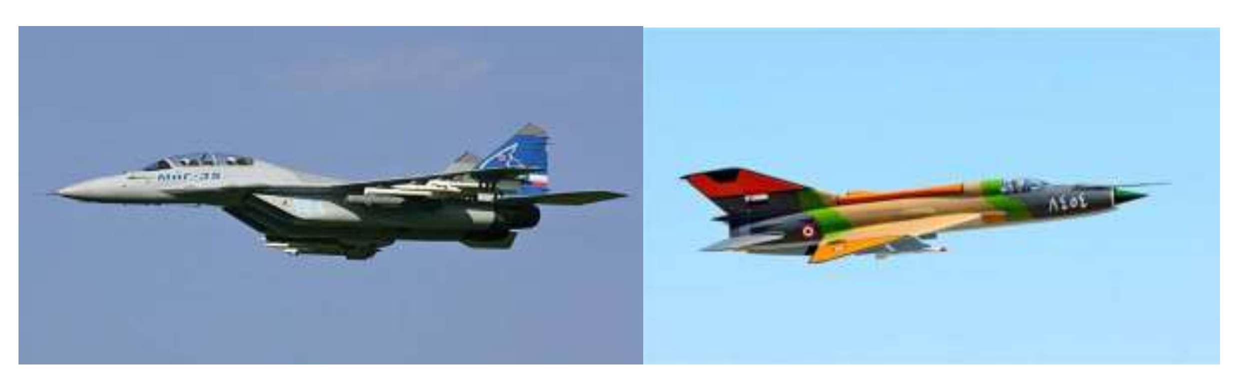
وبرغم ادعاءات إسرائيل فى أن خسائرها أقل من خسائر المصريين، إلا أن تقيم المصادر الغربية، التي تتبنى الادعاءات الاسرائيلية، ان المعركة انتهت بنصر مصري، لان اسرائيل لم تستطع تحقيق هدفها بتعطيل المطار. اعتقد الان انة قد آن أوان اعتزالها، برغم التحديث المستمر، فمصر على وشك الحصول ، او حصلت فعلا ، على الميج 35 ، الشقيقة الحديثة ، ذات الامكانيات التى تتجاوز الـ16 F الأمريكية .

لقد ارتبطت عاطفيا بهذه الطائرة الجميلة الرشيقة عندما خدمت كضابط احتياط بالقوات الجوية قبل حرب 73، وما زلت مرتبطا بها، ولكنه حال الدنيا، للاسف !

فكيف تم هذا الارتباط؟

شاب صغير السن يشتعل حماسا ويكلف بتدريب الفنيين على احد اجهزتها ، ويبذل مجهودا خارقا لاستيعاب الأجهزة ويترجم كتاب الصيانة و التعليمات ، وكان مطلوبا منه أن يعد الدروس فى نماذج خاصة ، ولا يفعل ذلك ، لانة عنيد عند البغال ، برغم تحذير زملائه فى ان التفتيش المفاجىء يهتم اولا بنماذج التحضير ، إلا أنه لم يفعل ، ثم ياتى التفتيش ، وينزعج زملائه و رؤسائه ويحاولون انجاز نماذج التحضير بأسرع ما يمكن ، والنتيجة بالطبع مؤسفة ، ويحضر المفتش من ادارة التدريب بالقوات المسلحة ، وبعد نهاية التدريب يطلب الاطلاع على النماذج و يبدي ملاحظة بضرورة الاهتمام بها ، ويصبح الشاب الصغير على يقين أنه سيحصل على تقييم ضعيف من الحد الأعلى و هو 5 درجات.

و يبدأ فى جمع أدوات التدريب لتسليمها الى المخزن ، كالمعتاد ، وفور ان ينتقل الى مكتبة ، يجد أن القيامة قد قامت ، فالمفتش يخرج من التدريب مباشرة الى قائد الوحدة ، العقيد المهيب ذو العسكرية الصارمة و الحس الوطنى العميق ، كي يخبرة ان لديه ضابطا موهوبا ، ويحصل الشاب على 5 من 5 برغم زبالة أوراق التحضير وينال اول جواب شكر ، مازال يحتفظ به حتى الآن ، ومكافأة مالية ، وتنشأ علاقة نفسية خاصة ، بدون كلام ، مع العقيد المهيب سيكون لها تأثيرا لايعوض فى مقبل الايام ، ولكنها قصة اخرى ! هكذا ارتبطت بهذه الجميلة !



شرف العسكرية المصرية

عقيد اركان حرب مصطفى معوض 1973

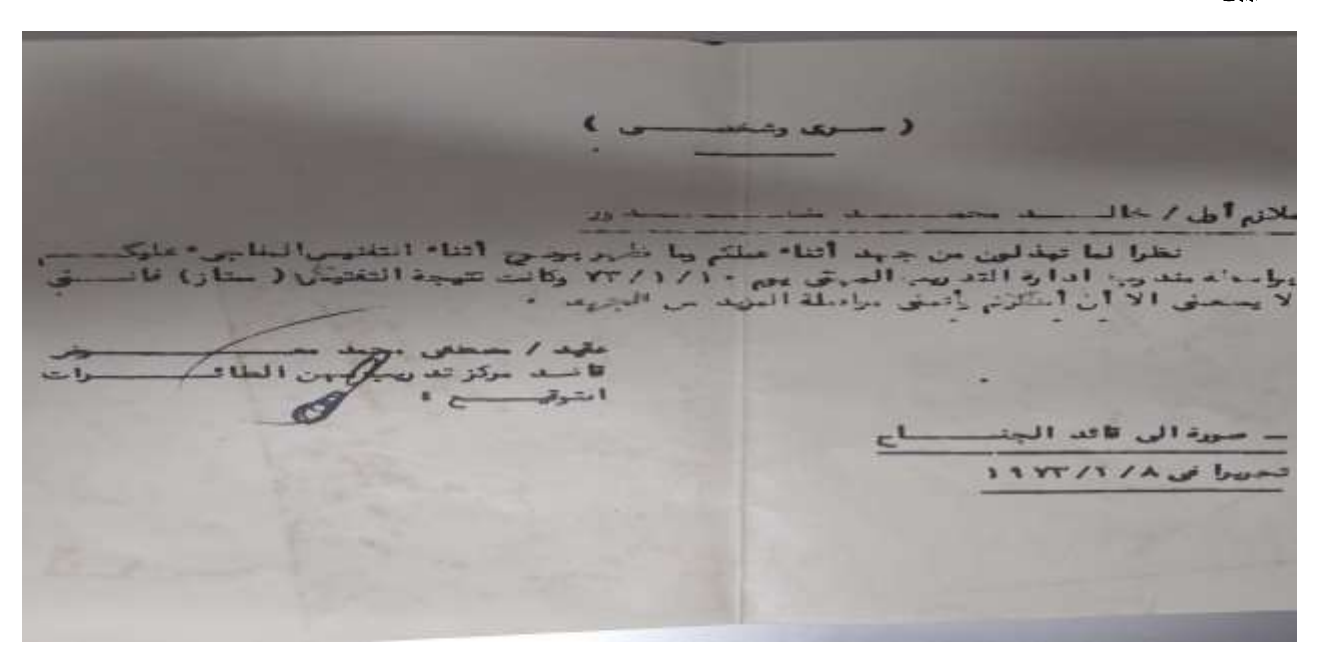
عندما تولى قيادة مركز تدريب مهنى طائرات ، وهو ضابط مشاة ، شعرنا بالاستياء ، فبرغم اننا كنا فى حالة حرب ، ماقبل حرب اكتوبر ، وبرغم ان القوات المسلحة حدث بها تغيير كبير بعد حرب 67 ، الا ان ضباط

القوات الجوية ومنهم المهندسيين من امثالى ، كانو ما يزالون يشعرون انهم مميزون ، شعور انتقل الينا نحن الضباط الاحتياط من الجو العام السائد حتى داخل اوساط الراىء العام ، للاهمية البالغة للقوات الجوية فى الحرب المقبلة ، فكيف يتولى ضابط مشاة قيادة وحدة فنية يقودها المهندسون ؟ ضابط طويل القامة ممشوق القوام و صاحب عسكرية صارمة ، بديلا عن قائد سابق مهندس صاحب عسكرية لينة و دوام الين ، باختصار نفخنا فى الزبادى وانتظرنا " قرف البيادة ".

ويا هول ما راينا، قيادة رشيدة حكيمة، تعرف التطبيق السليم للثواب و العقاب، وتنظر في التفاصيل و تتابع الاداء وتبحث عن المجيدين وتشجعهم، تشجيعا فوريا وعلنيا، وتشعر انة لا يعمل فى مقابل اجر او منصب ، بل يخدم الوطن المازوم .

ولاننى كنت محروق القلب فقد كنت اعمل باقصى طاقتى وتلقيت دعما معنويا هائلا من الجو العام الذى اشاعة، وانهالت على المكأفأت، حتى مكافأت فى ضرب النار الذى كان المهندسون من امثالى يكتفون بطرقعة المطلوب منهم بدعوى و احنا مالنا نحن مهندسون، وكنت اشعر بالسعادة اثناء خدمتي، وبرغم ذلك فلم اتحدث معة اى حديث ما عدا حديث وحيد عند نهاية خدمتي.

فلقد قررت القوات المسلحة انهاء خدمتى فى الاحتياط لان لى تاريخ طلابى سابق وكانت شهادة الخدمة العسكرية " قدوة حسنة "، وبدأت في اجراءات خلو الطرف وذهبت الى الوحدة لإكمالها، فحضر الى مندوب واخبرني ان العقيد يريد ان يراني فتوجست شرا، ما الذى يريده منى؟ لعلة سيخبرنى ان انتظر على البوابة حتى اتسلم اخلاء الطرف ، فذهبت الية ودخلت من الباب الى مكتبة الكبير ، فهب واقفا وخرج من خلف مكتبة وقابلنى فى منتصف المسافة وسلم على بحرارة بالغة ، واجلسنى امام المكتب وجلس امامى ولم يجلس خلف مكتبة ، وطلب الشاى ثم اخبرنى " ولا يهمك ، انت راجل وطنى ، لو فية اى حاجة هتعطلك تعالالى " ، فيا هول ما شعرت بة من تعويض نفسى هائل من هذا الرجل الشجاع الكبير ، ولم الاقى اى مصاعب و لم اذهب الية ولم ارة منذ ذلك الزمان ، ولكن هل تستطيع ان تنسى شرف العسكرية المصرية و هى تتحرك على قدميين !



(سرى وشخصى)

ملازم أول / خالد محمد [illegible]

نظرا لما تبذلونه من جهد أثناء عملكم وما ظهر بوضوح أثناء التفتيش النهائي [illegible] بواسطة مندوب ادارة التدريب [illegible] يوم ١٠ / ١ / ٧٣ وكانت نتيجة التفتيش (ممتاز) فانه لا يسعنى الا أن أشكركم وأتمنى مواصلة المزيد من الجهود .

عقيد / مصطفى محمد [illegible]
قائد مركز تدريب الطائرات
التوقيع :

ـ صورة الى قائد الجناح

تحريرا فى ٨ / ١ / ١٩٧٣

أمي وجواد

صباح يوم مشرق، وانا طفل صغير، حضر الى منزلنا رجل وزوجته، لمقابلة أمي، لا أستطيع ان انسى الانطباع الذى خرجت بة عند رؤيتهم ولا الانطباع العام من الزيارة.

رجل هادئ شديد الاحترام وسيدة لا تقل عنة، هما والدا جواد على حسنى، الطالب بالجامعة، ابنهم الوحيد الذى استشهد ببطولة فى معركة بورسعيد، وكتب بدمائة على جدران البدروم الذى حجز فيه، حضروا لشكر أمي على القصيدة الشعرية التى كتبتها عنة بعد زيارتها لبورسعيد.

زيارة لم تتوقف فيها أمي عن البكاء.

انصحكم بقراءة القصيدة، ليس لان من كتبها هو أمي، ولكن لأنها قصيدة بديعة من ام تكتب عن ابنها الشهيد

ذكرى جواد

« مهداة الى البطل جواد علي حسني
احد شهداء معركة بور سعيد »

دخلت يوما والظلام جاثم على البطاح
والبحر مكفهر الوجه قاتم النواح
دخلت قبوا في رحاب الشط ، مظلم القرار

في قاع وهدة قصية
موحشة الجوار
وفي ظلام القبو شاهدت عيناي
على الجدار احرفاً من الوهج
الدم فيها والحياة تختلج
شممت ريحها كأنه البخور
في قدس معبد يغص بالنذور
خلعت نعلي .. وانحنيت في خشوع
وكدت ألثم الجوار ...
أغسل الحروف بالدموع
لكنني أبيت ان يمس قدسها بشر
او ان يذيب الدمع من جلالها اثر
ركعت والعينان في غلائل الدموع
ومن خلال الدمع لاح لي فتى وديع
في وجهه غضارة الصبا
في عينه الألق
في خطوه الفتي دفعة الحياة تنطلق
في ثغره لحن كبهجة الصباح
يرسله للحب للأشواق للأفراح

وفجأة تقلص النغم
النور في الآفاق غاص وانبهم
البوم صاح ...
موكب الخراب قد ألم
عصابة الغربان في سوادها الأحم
تدافعت على الشطوط الآمنات كالبهم
تريد ان تمزق الحياة والصباح
وتخنق الانغام والأحلام والافراح

وفجأة تقلص النغم
وفارت الدماء في العروق تنتفض
« بل دون خطوكم لباب جنتي بحار
املؤها بالدم بالدموع بالنصب

حبيبتي حبيبتي خباؤها حرم
لا لن تمس قدس أرضها قدم
حبيبتي حبيبتي عن وجهك الجميل
عن نبعك الصفي عن مهادك الظليل
افدي الحياة والشباب والأمل
فتي قرار القلب يا حبيبتي
ذر الكفاح والصراع تشتعل

وفجأة تقلص النغم
وسقط البطل
لأرض سينا في بطاحها الفساح
يصد ارجال الجراد ... يذروها لمغرب الرياح

الرمل كالبحار موجه عتي
يثقل العدم
ويشمل الألم
والهول حوله قد التحم
والنار كالطوفان سيلها عرم
والليل مخضوب الشفاه بالردى والدم
لكن في قلب الفتى جناح
يحلو بجسمه ...
فوق الثرى .. مع الرياح
ويستخف بالهلال والعدم .

وفجأة تقلص النغم
رصاصة في صدره تضرجت بدم
الكف فوق جرحه ...
والكف في السلاح لم تنم
لا لم يهن
يريد ان يواصل الجلاد الصراع
حتى يمر في قلب الدجى الشعاع

الجرح ينزو ...
تشرب الرمال
رحيقه الوردي كالعذب الزلال
والضعف يسري في الجواد الجامح
وجسمه الريان يذوي ...
كالشهاب النازح
« جواد بل ستستريح يا جواد
لموعد بعد الشفاء مقبل »

وعنوة اقلته الرفاق
ليمنحوه مرفأ بظل راحته
لكنه علم
والجرح في فؤاده مخضب بدم
ان البغاة في طريقهم الى الحمى
ان البغاة جمعهم لم ينتظم

حشد جديد لم جمعه ، حشد جديد
حشد من الغيلان جهزوا الدمار والقيود
لأرضنا الحسناء ارض بور سعيد
« حبيبتي السمراء لن يأمرها العبيد
ودون ذا فيالق فيالق تبيد »

«لا يا رفاق ، ما بجسمي حاجة الى طبيب
طبي هنا في ان اذود العار عن بيتي الحبيب
لا يا رفاق لن أموت جيفة بلا ثمن
الحشد آلاف ولكني ساعلم الزمن
وأعلم الطغاة والبغاة والمحن
ان الحياة أغلى ما تطلبه الحياه
وأن من يعدو عليها يدفع الثمن »

هاتوا العتاد يارفاق إنني اموت
وقبل ان اضل يا رفاق في غور السكوت
بربكم اريد ان أتم قصتي ...
حكايتي تؤودني في قلبي الصموت »

وحاول الرفاق عنوة ان يحملوه
لكنه تحدى بالسلاح بالقسم
فأسلموا عتادهم لكفه الجريء
وأسرعوا ليبعثوا بنجدة تلم

وخلف ربوة صغيرة من الرمال
تحصن البطل
المدفع الصغير في يديه قال
« يا لهفتي إليك يا رفيق

يا اجمل الاحباب يا اغلى صديق »
وضمّه لصدره الجريح
كأنه طفلٌ . .
في المهد يستريح
ولاح في البعد العصي جحفلٌ
من البغاة يرصد الطريق
تقدمت جموعهم على المدى
مرصوصةً مرصوصة
كأنها الجدار في بنيانها الوثيق
والشبل خلف ربوة الرمال قابعٌ
توتّرت يداه فوق مضرب الزناد
« لا ان تموت جيفة بلا ثمن
لا لن تمس قدس ارضنا قدم »
وانطلق الزناد ...
يحصد الجراد
عشرون بل خمسون بل مائة
والنار في الفؤاد لم تزل تثور
عشرون بل خمسون بل مائة
والنار في الفضاء تحصد الطيور
البوم والغربان عشاق الخراب
تساقطوا تساقطوا كحفنة الذباب

وأوهن البطل
لم يبق في عتاده ثم رصاص ينطلق
فلو لهم تساءلت : « ما اسكت اللهب »؟
لا بد انه كمين .. كي نبيد في اللهب
يا كم ترى يكون ذلك الجيش الذي
قد أوهن العصب ؟
لا ريب انه رهيب كاسر لجب »
حثالة الاشرار ساروا في حذر
وارسلوا النيران – سترا – للكثيب
المنفرد
لكنّ جيشا في الكثيب لم يجب ...
الطفل فوق الرمل والحديد منكفىء
على الزناد كفه وفي الثرى
كف سخية الآلاء في الرمال تختبىء
عشرون عاماً يا جوادُ يا طفلي الحبيب
نثرتها بين الرمال الشقر ما بين الصخور
وجاء غيلان القناة موقدو الحقود
ولملموها... ثم ساروا للمدى البعيد

الطفل اغفى ... طفلنا الحبيب
الطفل لم يمت ... في قلبه الوجيب
في قاع قبو مظلم رموه
وفي الحديد الصلد قيّدوه
لم يضمدوا جراحه ، لم يرحموه

وعندما تنفست في صدره الحياة
وللضياء فتّحت عيناه
في قسوة لربهم قد جرجروه
عسى بعسفهم وبطشهم يبوح
بسر جيشه المظفر العجيب
ذاك الذي أصلاهمو الدمار والنحيب

يا ويحهم ..
ويح الوحوش البيض في العصر الجديد !
يا ويحهم ...
يا ضيعة الانسان يا نقض العهود
ابناء « ميرابو » تواصوا بالكنود
الكهرباء ترعد الجسم العنيد
النار في جراحه ...
النار والحديد
والجوع والحرمان من قطرة ماء
ليطفىء الظما في جسمه المكدود ،

لكنه أبى ...
ان يسلم السلاح ،
الروح لم تزل عتية الكفاح
فعندما للقبو ارجعوه
في جرحه النزي غمس العلم
وسطر الخلود فوق صفحة الجدار
يقص قصة الفداء قصة الألم
نذالة الوحوش روعة الإصرار

الجرح جرحي يا جواد ... في جسمي الألم
الجرح جرحي ياجواد ... في قلبي النقم
الجرح جرحي ياجواد ... جرح بورسعيد
بل جرح كل من حكى بأنه إنسان
تظلّه الحياة في رحابها الفينان
في فجر يوم اسود الألوان
سماؤه تلفّها الأكفان
قال الطغاة للبطل :
إذهب فأنت حر ...
يا ليته يطيق ان يسير
الجوع والتعذيب لم تترك بجسمه النضير
ذبالة تحمله لأفقه الأثير ...
فجاء جلف من جنودهم غليظ
وجره للشط في خطو وجيز
وفجأة من خلفه رموه
بطلقة من غدرهم أصموه
وفي رحاب الموج اطلقوه ....

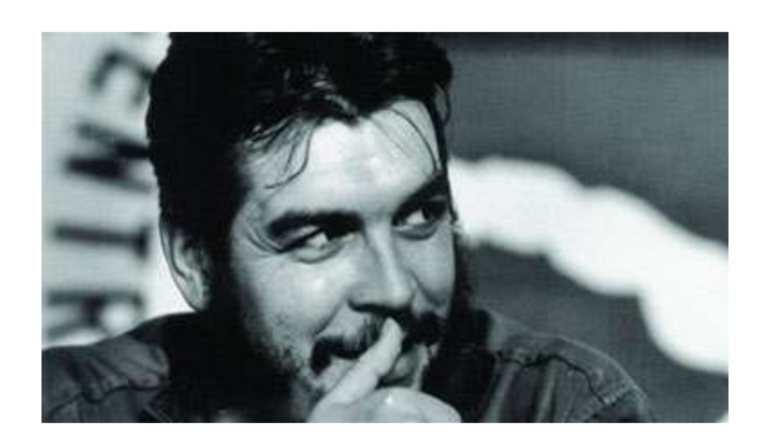
يا للوحوش البيض في العصر الجديد !
يا ضيعة الانسان يا نقض العهود
خافوا يقص خزيهم على الوجود
لم يعلموا ان الدماء في الجدار
تحكي نذالة الوحوش روعة الإصرار
رفعت عيني والدموع لم تزل ستار
إلى الحروف .. فوق صفحة الجدار
رأيتها تخضر كالربيع ...
أصبح الوهج
عصارة الحياة في الحروف تختلج
وأورقت ...
وامتدت الغصون تبتغي الطريق
من كوة في القبو للمدى الرحيب
تزاحمت ... تزاحمت
على الشعاع المنبثق
تتوق للضياء للفجر الجديد
وامتدت الغصون للسماء كالدعاء
تمتص نور الفجر تنهل الضياء
ثم انثنت تحنو على الثرى الرطيب
ظلالها ممدودة كرحمة السماء
وفي الغصون الخضر بين رعشة الورق
أزاهر محمرة ... في النور تأتلق
جواد يا طفلي الحبيب لم تزل تعيش
تظلل البلاد بالأمان والسلام
وتمنح الوجود بهجة الحياه
بعمرك المطلول في الرمال والمياه
وكلما في الليل مرت موجة
توشوش الرمال والرياح والحصى
سمعت في انغامها انفاسك اللطاف
تقبل الشطوط تلثم الثرى
لكم عشقتها .. أرضها الحنون
فجدت يا جواد بالشباب بالدما
وجدت بالأحلام بالأفراح بالمنى .
جواد يا طفلي الحبيب لم تزل تعيش
في خفقة الأمواج في اختلاجة الشجر
في نصرنا في مجدنا النضير
في يومنا العزيز في الغد الكبير

القاهرة

ملك عبد العزيز

ودع لى منطق الرؤية ـ ملك عبد العزيز في رثاء جيفارا – 1968

تركت لكم حبال العقل يعثر خطوكم فيها
وتلتف الخيوط شرانقا ..تعمى ستائرها
لى الرؤيا
نسجت خيوطها من حقى البتار
سيحملنى اليها العزم عبر زوابع التيار
سيحملنى اليها منطق التاريخ و الاحرار
والف متاهة ظن يشرد خطوكم فيها
وتعقلكم حبال الحكمة العرجاء
لى الرؤية
مخضبة بكل معارك الاحرار
وشامخة
تشع النار و الانوار
اغنى ، بل اغنى لكل المدى المنداح
وانشد فى اناشيدى احتواء الكل و المطلق
سيتبعنى الغواة غدا
سينبتهم تراب الارض
فكم شرب التراب من عرق الجباة
وكم تغذى من دمهم
ايا هملت
تعثر فى حبال الفكر
وفكر الف يوم الف ساعة سهر
وكن او لاتكون ابدا
فلن يتوقف التاريخ
ودع لى منطق الرؤيا
ينادينى
احث لة خطاى على دروب النصر
واحشد نحوة ما ثار مضطرما بقلب الشعب
ينادينى
يحقق منطق التاريخ
يحقق ما يقول الحق



أمي والكابوس

تأثرت أمي بشدة بعد هزيمة 1967 الى مستوى انها كانت تتعرض لكوابيس اثناء نومها، وهو كابوس متكرر.
تاتى من الخارج وتفتح الباب الخارجي، فتجد انوار غرفتها مضاءة، والضوء واضح من الباب الزجاجي، فتسرع الى غرفتها و تفتح الباب، ويا لهول ما ترى، جولدا مائير نائمة فى سريرها .
فكتبت
يقول لى فتاى لاتجزعى
لم يبلغ العشرون بعد
نحن هنا باقون سوف يعلمون
فليقبلو
عام ،عامين ، خمسة ، بل عشرون
سيرجع الحق الى رحابنا
لن يقف التاريخ ، لا
لن يفل عزمنا
نحن هنا باقون سوف يعلمون

أتوق يا بنى قبل ان أموت
اتوق ان اشاهد العدالة التي تموت
فى كل يوم ألف مرة في عالم ضميره صموت
اتوق ان أقبل التراب في يافا وفى الجليل
اتوق ان اعانق القدس وان اطوف بالخليل
ملك عبد العزيز



لكنه ظل يناضل ضد كل ما يبطل الوجود المتحرر للإنسان ـ فوزي فهمي

◄ د. فوزي فهمى

مثلت سنوات البعثة فى فرنسا منذ عام 1930 حتى 1939، وضع الاستنفار المعرفى للراحل شيخ النقاد الدكتور محمد مندور، تجاه الأنظمة المعرفية التى أفرزت ذلك التفكير المجتمعى المتغير، فاعتصم بالسؤال، الذى يتوقف على جوابه اختلاف نوعية الوجود للإنسان، وأدرك أنه بالتقصى المعرفي، وبإعادة تأهيل المعرفة يصوغ الإنسان مفاتيح الأبواب المغلقة، وأيضًا أدركه حس الافتقاد العلمى لدراسة الاقتصاد السياسي، والتشريع المالي، ومذاهب الاقتصاد، والنظم الضريبية، تمامًا كما فعل وهو فى مصر بدراسته للأدب والقانون معًا، وحصل على الليسانس فى كليهما، فتبدت خصوصية الراحل الجليل فى شمولية معرفته، التى أتاحت إدراك أن الساكن إذا ما تحرك، لا يعنى ذلك تغييرًا، وحتى يكون المتحرك تغييرًا لا بد أن يطرأ عليه ما يجعله مختلفًا عما كان عليه، ثم راح يضاهى بين دلالات المعرفة بعد إعادة تأهيلها، كما تبدت فى تجدد ممارسات الفرنسيين لحياتهم اجتماعيًا وسياسيًا، انطلاقًا من أن العقل هو صانع ذلك التأهيل، الذى يتطلب إحداث قطيعة حاسمة مع كل ما يمنع العقل من إعادة التأهيل المعرفي، حتى يصبح التغيير انتصارًا للاقتدار الإنساني، رفضًا للتقوقع فى الماضى انصياعًا لآلية الضخ والاستيهام، حتى لا تتم قولبة الإدراك العام بعباءة التخلف والاستغلال، وقد تعرف خلال وجوده فى باريس كيف تولد وتتجدد عزيمة التصحيح السياسي، الذى يعتمد على فعل عقلى مقصود بذاته، ويشكل تداوله سلطاته، ويراهن على الحقيقة ضد صفاقة الواقع. إن السنوات التى عاشها خلال بعثته، لم تكن عيشًا سكونيًا؛ إذ كان يحركه سؤال مفتوح لا يسعى إلى التقليد؛ بل سؤال مشحون بإرادة الفهم يستهدف إمكانية أن يثرى التغيير الوجود الإنسانى إلى الأفضل؛ لذا واجه نقصه الذاتى بممارسة إعادة تأهيل ذاته معرفيًا، واقعًا وإمكانية؛ فأصبح مسكونًا بالانشغال بالمصير العام لمجتمعه، عندما ينعدم السؤال أو يغيب الذى يبشر بالتغيير، وقد أسست هذه الفترة للدكتور محمد مندور جهازية المعرفة، وانطلاقات مواقفه الفكرية والسياسية بعد عودته.عاد إلى مصر عام 1939، فبدأت عمليًا تحديات شبكة الممارسات فى عمله بالجامعة، التى اعتبرته منقطعًا عنها لأنه لا يحمل درجة الدكتوراه؛ إذ رفض أستاذه د.

طه حسين أن يسمح له بالتدريس فى قسم اللغة العربية، وأيضًا رفضه قسم اللغات الشرقية، وكذلك قسم اللغات القديمة، عندئذ أدرك أن انتماءه إلى الجامعة محض مأوى وذلك ما يتعارض مع ذاته ورهاناته، صحيح أنه كان يريد للواقع المداهم للجامعة أن يجيء جديدًا، فأعد تقريرًا عن منهج الدراسة بقسم اللغة العربية ومتطلباته، بما يشخص حضورًا مع حادثات العالم كى يسترد القسم وجهًا حاضرًا فى سياق التحقيب المعرفى كمتداولات مطروحة للتجدد، لكن الصحيح أن القسم لم يمنح لمقترحاته اهتمامًا، وكأنه اعتصام مطلق ضد التغيير، وأدرك الراحل الجليل أنهم يختزلون وجوده بحصوله على الدكتوراه، وذلك ما سيظل معول التهديد العدمى لوجوده؛ لذا فإنه بعزيمة تحفزها أعلى أهدافه الفردية والعامة، وكل جاهزيته وعدته، أنجز فى تسعة أشهر رسالة الدكتوراه، تحت إشراف أستاذه أحمد أمين، ومع ذلك لم يعد مقصيًا عنه ذلك التهديد لوجوده بالجامعة، وتحديدًا من أستاذه د. طه حسين الذى أعلن رفضه ترقيته، وعدم اعترافه بتلك الرسالة. صحيح أن الانهمام بالذات يعنى إنتاج الإنسان لإنسانيته على طريقة تفرده، وأن يكون تفردها مقبولاً من الآخر ومفهومًا، والصحيح كذلك أن انهمام د. محمد مندور بذاته يتضمن حكم قيمة مسكوتًا عنه، يكشف أن ممارسته لإعادة تأهيل ذاته معرفيًا خلال البعثة، هو نوع من التدبر الوجودى لذاته يعكس تطلعه إلى الفوز بوعى تتزايد به ممكناته المعرفية؛ إذ ينقلب الفعل المعرفى إلى سلوك ومواقف قيمية، سوف تجدد الفكر السائد اجتماعيًا وسياسيًا بعد عودته، تصديًا للتسويغات التى تبرر استمرار كل قائم تخطاه التقدم الإنساني، والصحيح أيضًا أن عدم حصوله على الدكتوراه خلال بعثته، يعنى أمام القانون عدم تعيينه مدرسًا إلا بعد الاستيفاء؛ لذا فإن د. محمد مندور قد صوب موقفه بحصوله على الدكتوراه، لكن لأن ثمة فرقًا بين الانهمام بالذات، والانهمام المتطرف بالذات الذى يضع الحواجز بين تقديره لنفسه، وبين مشروعية الحقائق، متعاليًا بذاته وبإرادته فوق كل الحدود والمعايير، إنكارًا وانتهاكًا؛ لذا استقال الراحل الجليل من الجامعة.

منحت استقالته موقفه المعنى الأكثر نبلاً، كسلوك يرتبط بالوجدان والوعي والاعتراف بفضل أستاذه لرعايته لدلالات إيجابية فى تكوينه، بأن حقق لها حواملها فى واقعه؛ إذ حثه د. طه حسين أن يلتحق بكلية الآداب مع استمراره فى كلية الحقوق، فاستجاب وتبدى ثراء ممكناته الذى منحه حضورًا أشد قربًا منه، وفور تخرجه رشحه للسفر فى بعثة إلى فرنسا، وبسبب ضعف بصره لم يستطع اجتياز الكشف الطبي، فاصطحبه إلى وزير التعليم، واستصدر له قرارًا بالإعفاء من الكشف الطبي. ولأن الإرادة يتوسطها معيار القيم بين اقتدارها الخاص، وبين أفعالها المتعينة، فقد اختار الراحل الجليل معيار القيم فى التعامل مع أستاذه.

صحيح أنه بعد استقالته داهمته صعوبات حياتية، فتجاوزها بإيجابية إسهام أستاذه أحمد أمين، الذى شحذًا واستردادًا لجاهزيته العلمية والثقافية، نشر له ثلاثة كتب ترجمها عن الفرنسية، وأيضًا أتاح له ساحة الكتابة المتتابعة فى مجلة الثقافة؛ تحقيقًا لوجوده الفاعل والمتفاعل، والصحيح كذلك أن التحول الحاسم فى حياته تبدى فى انشغاله بالمصير العام لوطنه، فراح يستنهض قوى المجتمع المصرى دفاعًا عن العدالة الاجتماعية، والديمقراطية الاجتماعية، فعزل من رئاسة تحرير صحيفة جريدة المصري، وتعرض للسجن أكثر من عشرين مرة، لكنه ظل يناضل ضد كل ما يبطل الوجود المتحرر للإنسان، مواظبًا على التدريس، ونشر مؤلفاته التى بلغت ثلاثين كتابًا فى النقد وفروعه، وأيضًا ثمانية كتب لترجمات متنوعة، فاستحق لقب «شيخ النقاد».

بعد رحيله كتب د. طه حسين فى صحيفة «الجمهورية» مقالاً بعنوان «سأظل حزينا عليك طول العمر». وما زال شيخى منذ رحيله فى 19 مايو عام 1965 حتى ذكراه الثالثة والخمسين، يسكننى بكل ما حبانى به طالبًا ومعيدًا، حبًا وفضلاً وعلمًا ونصحًا، إذ حذرنى دومًا من «الرق الداخلي» و«الرق الخارجى» بوصفهما يبطلان الوجود الإنسانى المتحرر



سكمنو وبوكمنو والخيال المبدع

احكيلنا حكاية، طيب بس لازم الاول "تترقعولى " صوابعى، فيأخذ كل قرد رجل ودراع، وترقع ياخالد و ترقع ياطارق ، هة ، احكى بقى ، وتبدء الحكاية ، ويبدء ماجد ، الاخ الاكبر للقردين ، خالد وطارق ، يبدع و يألف لحظيا حكاية مغامرات القردين سكمنو وبكمنو ، حكاية لاتتكرر ، كل يوم بعد الغذاء تتكرر " الترقعة " وحكاية جديدة .

ولكن كيف بدأت القصة؟

كان ماجد الاخ الاصغر للتوأم لخمسة سنوات كاملة ، وعلى حين غرة ، ياتى خالد و طارق فى عاميين متتاليين ، وتبدء تتشكل مشكلة نفسية للاخ الذى كان الاصغر ، ولكن الام تتدخل ، وتكلفة بالاهتمام ورعاية الطفلين حتى تستطيع ان ترتاح فى منتصف النهار ، فيقوم بها بهمة و نشاط ، ويصبح الطفلين من ضمن مسؤلياتة دون ان يطالبة احد بعد ذلك ، حتى اثناء اللعب فى الشارع كان يشكل الحماية المباشرة من اعتداءات الاطفال الاكبر سنا على القردين ، اقصد خالد وطارق ، برغم انهماكة فى اللعب و الابداع , وتكتشف مدرستة فى الفصل ان الحل الوحيد للقضاء على الفوضى و عدم الانضباط فى الفصل هى تعينة " الالفا" ، هو المثير الاكبر للاضطراب لانة كان شديد النشاط والحيوية ، فتنتهذ فرصة هدوءة لمرضة ، فتكافئة وتعينة " الالفا " فينضبط الفصل ويعم الهدوء.

ويكبر هذا النشط المبدع ويدخل الكلية الحربية، ويتخرج في سن التاسعة عشر من اوائل دفعته، ويتقرر ذهاب وحدته الى اليمن، ويحاول الاتحاد الرياضي الاحتفاظ بة فى القاهرة، ولكنة يرفض ويصر على البقاء مع زملائه.

ويذهب الى اليمن، ويبدع هناك ولا يستشهد لدية عسكري واحد، ويعتقد العساكر انه مبروك، فلا احد يموت معه، ويحاولون الالتحاق بوحدته ، ويوثر على على السلوك العسكرى للواء الذى ينتمى الية برغم انة كان قائد وحدة صغيرة منه ، وينال نوط الشجاعة ثم يرقى استثنائيا .

ويستمر مسلسل الابداع المستند على الخيال الحى، حين عمل مدرسا فى الكلية الحربية ثم في كلية الضباط الاحتياط، ويصبح افضل قائد كتيبة فى الجيش الثالث الميدانى بعد ان اعاد تدريبها واهتم بحياة افرادها و

بتحسين ظروف حياتهم، قصة طويلة لتحسين حياة الافراد، فيحصل على ما يريد، افضل كتيبة و افضل قائد ، دائما.

ويهتم بتطوير قدراته، ويقرا الكتب العسكرية عن تاريخ الحروب واستراتيجيات القتال ومذكرات كبار القادة العسكريون فى العالم، ولكنة لا يقرأها وحدة، فسكمنو، اقصد خالد يقرأها هو ايضا وينتظر ان يحضرها اخية من مكتبة القوات المسلحة.

ويذهب الى فرقة الاركان حرب، بنشاطه وثقافته وحيويته، ومن جديد يصبح الاول، ويعرض علية ان يبقى فى كلية اركان الحرب ليعمل بها مدرسا، فيرفض، لأنه يريد ان يخدم فى الوحدات القتالية، برغم ان سكمنو يتحايل علية ان يقبل ليبقى قليلا مع عائلته.

وينتقل ليعمل في هيئة عمليات القوات المسلحة، ثم يستشهد مع المشير احمد بدوي، ويترك جرحا لم يندمل لسكمنو و بكمنو وولامة وزوجته وأولاده ولكل العائلة.

هذا المبدع الشجاع الودود الطيب المستقيم، الذي خلق ليكون ضابطا فى القوات المسلحة. ما أصعب ان اكتب عنة والجرح ما زال مفتوحا لم يندمل من ذلك الوقت.



قلب الام

كنت فاكراك ماجد!

هكذا قالت لى وانا اخرج من الماء على ساحل مرسى مطروح مسرعا متجها اليها لاننى لاحظت انها قد توقفت عن التمشية على خط المياة بدون سبب واضح ووقفت ونظرت الى، فأصابني القلق، واسرعت اليها، كان ذلك بعد ما يزيد على عشرة سنين على استشهاد أخي.

الغائب حتى يعود والمريض حتى يشفى والصغير يبقى صغيرا حتى ولو كان شاربة أكبر من وجهة، هكذا هو قلب الام أن كنتم تعلمون.

ندخل الى الدنيا صفحة بيضاء ونخرج منها مسخنين بالجراح، وعلى راس هذه الجراح ذكريات من رحلوا قبلنا، اعان اللة كل ام فقدت ابنا او بنتا فهى لاتنسى اوحتى تملك القدرة على التناسى المؤقت، وقد تنجح فى اخفاء الالم المستمر عن اعين المحيطين، ولكنة موجود و دائم وضاغت ويظهر على السطح احيانا، فيا ايها الاخوة و الاخوات لمن فقد، اهتموا بأمهاتكم، لقد فعلت ذلك باقصى ما استطيع حتى اننى تعرضت للانتقاد ولكنى ما زلت اشعر بالتقصير ، فلااحد يستطيع ان يحل محل الغائب ..

ادامكم الله



الصورة لأمي وهي في الستين من عمرها بعد استشهاد اخى



الى اخر العنقود

الذي قام بدور تاريخي فى تجميع كتابات محمد مندور المتناثرة في كل مكان ونشرها في كتب، وجدت ما تبحث عنة، مقدمة ملك عبد العزيز لكتاب نماذج بشرية للدكتور محمد مندور ولها قصة لابد من ذكرها، مهما كانت التائج لان مرارتي مفقوعة منذ زمن.

لقد اعيد طبع الكتاب عن طريق المجلس الاعلى للثقافة او قد تكون من مكتبة الاسرة، انا غير متأكد، ونشر بدون المقدمة التي تشكل جزءا من الكتاب وبمقدمة جديدة من كاتب اخر وكأن الكتاب كان يحتاج جهدا خاصا لاعدادة للنشر واختفت مقدمة ملك عبد العزيز، وكان ممكنا ان يكتب هذا الكاتب ما يريد من مقدمات، ولكنة لا يملك الحق في ان يحذف المقدمة الاصلية التى وافق عليها محمد مندور نفسة، فب اى جراءة ووقاحة مكنته ان يفعل ذلك؟ واي استهانة وعدم مسؤولية من الناشر كائنا من كان؟ هل كل هذا من اجل السبوبة؟ عليكم اللعنة اجمعين، بدون اى تردد، واحمدو الرب انكم لستم فى مواجهتى الان ، والا كنتم ستروا ما يعنيه الغضب المندورى.

مقــــدمـــــة

بقلم: ملك عبد العزيز

«للكاتب الإيطالى المعروف «بيرندللو» رواية مسرحية هى : (ست شخصيات تبحث عن مؤلف يبرزها إلى الوجود) . وهذا معنى الخلق فى الأدب . ولكم من شخصية ما تزال مبعثرة غامضة حائرة حتى يتاح لها مؤلف يجمع أشتاتها ويوضح معالمها ويدعم حياتها ، فإذا هى أبقى على الزمن من البشر ، وإذا بها تجتاز الأجيال مستقلة الوجود فى مأمن من الفناء . لأنها أعمق فى الحياة من كل حى ، وأصدق دلالة من كل واقع» (ص١) .

ذلك ما يبدأ به المؤلف كتابه ، وذلك ما أستعيره لأبدأ به مقدمتى عن ذلك الكتاب . فإذا كان أولئك الكتاب الكبار خالقو تلك النماذج قد وجدوا شخصياتهم مبعثرة غامضة حائرة فى الحياة ، فجمعوا أشتاتها ووضحوا معالمها ودعموا حياتها ، فكذلك قد وجد المؤلف تلك الشخصيات مبعثرة حائرة ، ولكن فى كتبهم ، التى صارت أعمق فى الحياة من كل حى وأصدق دلالة من كل واقع ، فجمع أشتاتها ووضح معالمها ، فكان من ذلك خلق جديد .

وها هو «جيته» يتحدث عن «فوست» قائلاً : «تسألونى : أى فكرة أردت أن ألبسها فوست ؟ وكيف لى أن أعرفها ؟ ثم أنى لى بالعبارة عنها ؟ قد تكون جولة بين الأرض والسماء ! هى خطوات أكثر منها فكرة ، وإن يكن فقدان إبليس لرهانه ونجاة ذلك الرجل الذى ما زال وهو فى حمأة الرذائل يهفو إلى الخير حتى نجت روحه من الهلاك – ما ينير الكثير من وقائع حياته ، ولكن هذه ليست الفكرة التى تستقر فى قلب القصيدة ، ولا فى أى جزء من أجزائها على انفراد . .» (ص١٩) . ولقد يكون جيته – حقاً – لم يقصد إلى فكرة واحدة ، فكرة بذاتها . ولكن هذا لايمنع أنه قد تكون هناك بالفعل فكرة فى قلب القصيدة . وما له يعى تلك الفكرة ، والأدب لا يصدر عن وعى كله ؟ بل ما له يحددها فيمليها على قرائه ويزجهم فى طريق واحد مرسوم ؟ ولكنه تركها حائرة مبعثرة ليأتى سواه يبحث عنها ويبرزها للضياء ، فيقول عن فاوست إنه : «عقل طغى على القلب فأشقى صاحبه» (ص٣٢) . ويقول عن حياته : «إن معنى تلك الحياة والأثر الذى خلقته خطى فاوست على صفحات الزمن هو أنه علينا أن ندأب ما استطعنا فى سبيل المثل

العليا ، وسيان بعد ذلك أأصبنا نجاحًا أم إخفاقاً ، فالجهاد نبل فى ذاته» (ص٣٥) . وسواء أوافق جيته على ذلك الفهم أم لم يوافق ، فليس له - وما أراد - أن يملى شيئاً على قرائه ، فلكل منهم حرية الفهم كيفما يريد .

وهكذا جاء مؤلف «النماذج البشرية» فدرس جملة من عيون الأدب الغربى ثم رسم لنا أوضح شخصياتها كما رسبت بنفسه ، وحدثنا عن أسرارها كما أوحت بها إليه .

«النماذج البشرية» دراسة وخلق:

هى دراسة ، فالمؤلف يحيط بتاريخ الكتاب وبملابسات ما كتبوا ، وبالآراء المختلفة فى فهم شخصياتهم والحكم عليها . يبرز ذلك حيث لا يثقل ، ويطويه حيث يفضل الطى ، هى «كالنور الداخلى» يضىء دون أن يعشى . فلئن كان المؤلف يحرص على إيراد الحقائق التاريخية حول الشخصية وخالقها ، فإنه لا يدعها تطغى على الخلق الفنى فتجفف ماءه . بل هو لا يوردها جملة واحدة ، بل يحتال لينثرها هنا وهناك حيث توحى المناسبات . ففى «هملت» نراه ينطقه فيحدثنا عن نفسه ، مشيرًا فيما يسوق من حديث إلى المصدر الذى استقى منه شكسبير قصته . كل ذلك دون أن نحس أن المؤلف قد قصد إلى شىء « ولو أننى بقيت على الفطرة كما خلقت لانتقمت لوالدى فى غير تردد ، ولكان بعد ذلك ما يكون من نصر أو هلاك ولغادرت الحياة غير مخلف أثرًا إلا أن تكون إشارة مؤرخ مثل «ساكسو جراماتيكوس» يسوق اسمى بين من يسوق من ملوك الدنيمركة ، ولعله يذكر ما كان من محاولتى الانتقام لأبى» (ص٣٦) . ويضيف هملت - وقد أراد المؤلف أن يظهرنا على أن قيمة تلك المسرحية الخالدة ليست فى موضوعها ، بل فى علاج هذا الموضوع - : «وكم فى ثنايا التاريخ من أحداث كهذه طفا القليل منها على الزمن ، وهوى الكثير ، والناس بعد لا يشغلون أنفسهم بما طفا أكثر من اشتغالهم بما هوى ، ولكن شكسبير قد خلقنى خلقًا جديدًا وأودع روحى من النفاذ ما لا أزال أشقى به . .» (ص٣٦) . وفى موضع آخر من هملت أيضًا ترى المؤلف يشير إلى الحالة النفسية التى كتب فيها شكسبير قصته : «ونحن لابد متسائلون عن مبلغ ما حمله خالقه العبقرى من مرارة نفسه ، وقد استوت ملكاته وسط أزمة نفسية ما نزال إلى اليوم حائرين فى فهم سرها ومداها ، وإن طالعتنا فى أكثر من مقطوعة من شعره الغنائى Sonnets الذى يدور حول ذلك العام ، عام ١٦٠٤» (ص٣٩) . وفى «ألسست» نراه ينطق موليير بقوله :

«وأنا الآن فى أزمة نفسية تكاد تهد كيانى ، فها هى زوجتى تحتمى وراء المجاملات الاجتماعية فتثير فى نفسى الغيرة تكوينى بنارها كيّاً» (ص٤٨)

فيستعين بتلك الملابسة التاريخية على تأييد رأيه في أن شعور موليير كان مع بطله ألسست ، إذ لم يجعله موضعاً للضحك فى بعض الأحيان إلا ليتقى غضب هيئة اجتماعية تؤمن بالمجاملات وما بها من نفاق ، وفى «أوليس» يصف معارك طروادة ثم يقول : «وكانت معارك تبيض لهولها النواصى إذ كانت كلها فى قسوة ملاحم السنة العاشرة التى اكتفى «هوميروس» بأن صور لنا جزءاً منها» (ص١٠٣) ليخبرنا أن هوميروس لم يصف فى ملحمته من تلك الحرب سوى جزء من السنة الأخيرة .

ومن وسائله الجميلة فى إيراده الحقائق التاريخية أن تراه يمزج بين النموذج ومؤلفه حين يرى أن المؤلف إنما كان يصور جانبًا من نفسه فى أنموذجه ، وفى هذا ما يجسم الشخصية الروائية حتى لتحسبها ولدت وعاشت واضطربت فى الحياة بالفعل . استمع إليه يقول فى سذاجة تضفى على الكلام خفة وسحرًا : «نشأ دون كيشوت كما نشأ سرفانتيس بمقاطعة المانش بأسبانيا» (ص١٤) ، ويتابع المولف تجسيمه لنماذجه ليضيف إلى حياتها حياة فيقول : «فيجارو من رجال سنة ١٧٨٠ الذين مهدوا للثورة الفرنسية» (ص٧) . فلو قرأ تلك العبارة من لم يسمع باسم ذلك البطل لما داخله شك فى أنه قد عاش ومهد للثورة بالفعل . وفى تلك السنة كتبت الرواية ، وفى تلك السنة خلق بومارشيه بطله فيجارو . وبمثل تلك السذاجة حدثنا عن دخول كلمة فيجارو فى اللغة الفرنسية اسماً لكل حلاق بعد أن ذاع صيت تلك الشخصية الفريدة . «وبلغ من نجاحه فى تلك المهنة أن أصبح كل حلاقى الأرض يحملون اليوم ذلك الاسم» (ص٨) . وحدثنا عن الروايات التى ظهر فيها ذلك البطل «ولقيه المؤلف بومارشيه وقد سئم مهنته ، ومن ذلك اليوم أحبه ، فصاحب خطاه فى الحياة ، وقص علينا نبأه فى مسرحيات ثلاث : حلاق أشبيلية ، وزواج فيجارو ، والأم الجانية» (ص٨) .

ورغم أن المؤلف إنما قصد إلى إحياء «النماذج البشرية» إلا أنه لم يغفل أن يسوق شيئًا من النقد لفن الكاتب أو لطبيعة العمل الفنى ، ولكنه يسوق ذلك كعادته وسوقًا محكمًا فى السياق بحيث لا تحس له نفرة أو إقحامًا . ففى «إبراهيم الكاتب» يقول :«وأنا بعد لا أستطيع أن أتتبع تاريخ تلك الظاهرة فى حياة رجلنا لأننى لا أعرف قصته ، وإنما أعرف منها مرحلة قصيرة ، تذكرنى بالدراما الكلاسيكية حيث ترتفع الستارة عن شخصيات تكونت من قبل ، وإذا بنا أمام أزمة من أزمات الحياة ، وإذا بالشخصيات تتحرك فى أزمتها وفقًا لطبائعها . ونحن بعد لا نعرف ماضى تلك الطبائع ولا نشأتها ، وإنما ندرك خصائصها من احتكاكها بالناس والأشياء وسط أزمتها العارضة . وإذن فقد كان لإبراهيم الكاتب دراما

صيغت قصة» (ص٧٧) . ويصف أدب الكاتب بقوله : «إبراهيم الكاتب أو إبراهيم المازني مزيج جميل من الشعر والسخرية ، وتلكما صفتان يرد لهما - بحق - جورج ديهامل سر نبوغ الكتاب» (ص٧٧) . وكذلك نراه يحكم على قصة بتلان بأن «أجزاءها المختلفة ليست في نسبة واحدة من الصلة بالحياة . .» (ص٩٢) ، ثم يفسر ذلك ويوضحه . ولكم من مرة نقف أمام أدب الكاتب من أولئك الكتاب الكبار نعجب به ونتمنى لو يظهرنا المؤلف على ما فيه من أصالة وجمال ، ولكن موضوع «النماذج» يضيق عن ذلك ، فلعلى إذ أقول اليوم هذا ، أنتزع من المؤلف وعدًا بأن يعود إلى فن أولئك الكتاب يتحدث عنه .

والنماذج خلق ، ينفث فيها المؤلف الحياة بما يصطنع من سذاجة ، وبما يحملها على التحدث به عن نفسها كما حمّل هملت ، وبما يترجمه من أقوالها الأصلية ينطقها به بعد أن يكون قد مهد الجو وأحكم الملابسات . هو مخلص لنماذجه يتابعها جزءاً وجزئين كفاوست ، وقصة واثنتين كفيجارو ، بل ينتقل معها قرونًا كأوليس ، يعاصر هوميروس في القرن التاسع ق .م . ثم سوفوكل في الخامس ق .م . ثم تنيسون وجويس في العصور الحديثة ، فهو عالم بها ملم بأطوارها . استمع إليه يتحدث عن أوليس : «ومن عجب أن يسير رجلنا من بطولة الإلياذة إلى دهاء الأودسا ، ثم ينتهي بخبث فيلوكتيت ، وأن نجد في كل مرحلة بذور المرحلة التالية حتى لنحسب أنه كان يمتلك كل تلك الصفات كامنة ، وإنما هو محك الزمن الذى أظهرها فيه ، كما أظهرها عند الشعب اليوناني كله ، يوم سار من صلابة البداوة إلى مرونة الحياة إلى فساد المدنية» (ص ١٠٤) وفي الحق إن الرجل ما عاش إلا في القرن الثاني عشر ق .م . في عصر البداوة الأولى ، ولكن خالقيه من الكتاب هم الذين نقلوه معهم إلى أزمانهم حين صوروه بالصورة الخاصة التى أرادوا ، ولولا نفاذ نظر المؤلف لما استطاع أن يرى تطور صورته في رءوس كتابه المختلفين . ولما استطاع أن يجد في كل مرحلة بذور المرحلة التى تليها رغم اختلاف أولئك الكتاب ، ثم أن يحكم من ذلك ، لا أنموذجاً لشخص واحد في الحياة فحسب ، بل أنموذجًا للشعب اليوناني كله في عصوره المتعاقبة ، وأنموذجاً لكافة الحضارات «حين تسير من صلابة البداوة إلى مرونة الحياة إلى فساد المدنية» .

والمؤلف يتسلل إلى نفوس نماذجه من خلال أنفسها ومن خلال خالقيها ، ويعرض مختلف الآراء فيها لينفذ إلى ما يراه الحق ، وليصورها في الصورة التى أوحت بها إليه . استمع إليه يتحدث عن دون كيشوت : «فمن قائل إن هو إلا مجنون يخيل إليه خبله أنه موكل بأثام البشر يحاول لها إصلاحًا ، فترتد إليه

ضرباته إن لم يضرب فى غير مضرب ، ومن قائل : إن هو إلا مثالى عنيد لايزال يصطدم بحقائق الحياة المرة حتى يسلمه الفشل إلى الفناء . وأما أولئك الذين يستطيعون فهمه على وجهه فهم الشباب ، الذين يحسون بفيض من الحياة أنه ليس من الضرورى أن ننجح لنجاهد فى سبيل مثل أعلى نؤمن به ونفنى دونه لأن الجهاد غاية نبيلة لذاتها . ومتى احتاج النبل إلى ما يعززه من نتائج ؟!» (ص١٣ ، ١٤) أو إلى قوله عن هملت : «هذه مأساة هملت ، ولكم كثرت من حوله الأقاويل ، فمن قائل : إنها مأساة جنون ومن قائل : إن هى إلا شهوة انتقام : ولكم اتهمه قوم بالعجز والتردد . وفى الحق إنهم لمخطئون . ليست مأساة هملت شيئًا من هذا وإنما هى مأساة رجال الفكر ، أولئك الذين اتسعت عقولهم لكل شىء فنفذت بصائرهم إلى حقائق الحياة ، وتشعبت بهم أوجه الرأى فتحطمت بين أيديهم حياتهم التى اتخذوها موضعًا للدرس والتحليل . ألا ترى إلى بسطاء الناس كيف لا يرون من الأشياء إلا جانبًا واحدًا فيسرعون إلى تنفيذ ما اعتزموا ، بينما تلمح العقول الكبيرة فى كل أمر ألف جانب وجانب فما تزال أحيانا حائرة مترددة حتى تقف فى مكانها إلا أن يكون قضاء محتوم» (ص٤٧) .

ولا شك فى أن ذلك رأى أصيل أيده ودعمه بما بسط من وقائع الرواية وأحاديثها .

ثم هى خلق بما فيها من تأمل شخصى وملاحظات إنسانية ، وتفكير عميق غذتها ثقافة واسعة واضطراب مباشر فى مناحى الحياة ، استمع إليه يقول فى جفروش : «فأشد انفعالات النفس وأعمقها غورًا وأصدقها رنينًا هو ما يعقد اللسان» (ص١) أو إلى قوله عن دون كيشوت : «فاستحالت آلامه سخرية من آماله التى طوحت به فى كل مذهب ، ولكنها سخرية لا تزال تحمل ما كان بتلك الآمال من عذوبة . ومن منا لايحس فى نفسه بتلك الحقيقة الإنسانية اللاذعة ، وهى أننا مهما تنكرنا لأحلام شبابنا ومهما سخرنا مما كان فيها من طيش ، لانملك إلا أن نحنو عليها ونرفق بها كما نحنو ونرفق ببعض نفوسنا» (ص٣) من منا يقرأ ذلك ثم لايحس بصدقه وإنسانيته ؟ ومن منا يقرأ قوله : «هذا هو جفروش كما تعرفه باريس فى أطفالها الذين قد لايعرفون للأخلاق قواعد ، ولكنهم يصدرون عما هو أسمى من الأخلاق : عن صفاء فى النفس وحرارة فى القلب وإمعان فى الحياة تنشر على شفاههم ابتسامة أبدية الخلود» (ص٥) من يقرأ هذا ثم لايحس أنه قد فسر لنا حياة أولئك الصعاليك الذين نحبهم ونعجب بهم - وإن كنا قد نتردد فى انتهاج سبلهم فى الحياة - ومن منا لايحس أنه قد جعل جفروش نموذجًا حقًا لهم بحيث لانملك أنفسنا حين نقرؤه - وهو الطفل الباريسى - من أن نذكر الشاعر العربى عروة

ابن الورد ، عروة الصعاليك الذى كان يجمعهم ويؤويهم ويطعمهم مما يستلب فى غاراته ، ثم لايذكر قوله الجميل النبيل :

أتهــزأ مــنى أن ســمنت وأن تــرى
بوجــهى شحوب الحق والحق جاهد
أقســم جسمى فى جسـوم كـثيرة
وأحسـو قــراح المـاء والمـاء بـارد

ثم انظر كيف صور الدور الذى تلعبه السخرية فى الحياة بقوله فى فيجارو : «ولكم من مرة لايجد المرء سبيلاً إلى الانتقام من آلام الحياة غير ابتسامة عابرة أو حكم ضاحك . وهل يضعف من نفوسنا غير الألم ؟ وهل يحد من حياتنا غير الهموم التى لا نعرف كيف نسخر منها ؟» (ص٧) واستمع إلى تلك الحقيقة الاجتماعية الصادقة فى العبيط : «فنحن فى الحق أكثر استعباداً للعرف منا للخلق وذلك لأمر بين هو أننا جميعًا - إلا من عصم ربى - أشد حرصًا على حركاتنا الظاهرة منا على حقائق نفوسنا» (ص٢٢) ثم احكم هل عدا الحق فى قوله ؟ ! ثم أى تفكير أصيل دقيق فى وصفه للمكر فى «الأستاذ بتلان» : المكر ذكاء ينفذ إلى النفوس فيعرف مواطن الضعف فيها وإلى تلك المواضع يتسلل فيختلس الثقة . والمكر إحساس باطنى بالنسب ، إحساس يقف بصاحبه عند طاقة الغير يعالجها حتى يقودها إلى ما يريده ، وكأنه لايعى ما يفعل ، والمكر أخيرًا قدرة على تصريف القول وشعور دقيق بمفارقات الألفاظ ، وهو صفة إذا حرم منها إنسان فقد سلاحًا لا يمكن أن يغنى عنه سلاح آخر للنجاح ، وذلك لما هو واضح من أن الحياة البشرية كلها إنما تنهض على فهمنا لنفوس الغير وتذليل تلك النفوس ، وإذن فالمكر ليس شراً فى ذاته ، وإنما يصبح شراً إذا أفلت من رقابة الضمير ، ومثله مثل الكثير من قوى الحياة والوجود» (ص٨٧) .

ولكم من مرة تراه يلخص فلسفة بأسرها فى جملة تأتى فى موضعها من السياق ، دون أن تحس فيها جفاف العلم ، وإن ظلت محتفظة بجلال الفكرة ، مما يجعل لتلك النماذج دسامة تغذى العقول وتفتح أمامها أبوابًا من التفكير ، كما رأيناها من قبل ترهف من أحاسيس النفوس . فهاهو يجمع فلسفة الضحك عند برجسون فى قوله : «إن فى تصرفات ألسست ما يجرح وما يضحك ، ولكنه إسراف فى قضية عادلة ، إسراف قصد منه إلى إثارة الضحك ، وهل نحن نضحك إلا مما يخرج عن مألوفنا ؟ وهل الضحك إلا جزاء نقوم به ما يخرج فى حياتنا عما يجب أن تطرد عليه فى عرف المجتمع ؟ » (ص ٥٤) .

وأخيرا هى خلق ، لما فيها من صياغة محكمة أصيلة وأسلوب حار يضمنان لها الخلود كعمل فنى ، وفى الحق إننا لنستطيع أن نرى فى ذلك مرحلة أخيرة من مراحل الأسلوب العربى فى العصر الحديث ، فلقد كان فى البدء سجعا وتكلفا وزخرفة لفظية ثم مال - كرد فعل - إلى البسط والتبسيط بحيث تكشف لك الكتابة عن كل ما تحمل للقراءة الأولى دون أن تترك لك ما تفكر فيه وتتأمله . ولكن أسلوب هذا الكتاب قد خلا من سوءات الصنعة المتكلفة ونأى عن البسط المسرف ، فجاء أسلوبًا مركزًا موحيًا غنيًا بما يرقد تحته من إيحاءات ، فلا تملك إلا أن تقف بين الحين والحين لدى الجملة تمضغها وتجترها لتستخرج كل ما يكمن فى قلبها من معنى . وهو إلى هذا قد خلا من ثقل المحاجة المنطقية وجفاف الأسلوب التعليمى ، بل نراه يلقى ما يريد فى خفة تشبه خفة الإغريق الذين كانوا «يفكرون بخيالهم» ويحلون مشكلات الوجود بالأساطير .

فى «جوليان سوريل» تجده يقول بعد أن صور ما قد يلاقيه بعض الممتازين من اضطهاد فى المجتمع يدفعهم إلى ارتكاب الآثام : « وهكذا تجعل الجماعة منهم كما جعلت من سوريل طيورًا جارحة» (ص٦٩) انظر كيف اهتدى المؤلف إلى الوصف الدقيق الناقل للإحساس يلقيه فى خفة عابرة فيصيب موقعه من النفس ، فهو لم يقل : «وحوشا ضوار» مثلاً لأنه يريد أن يحتفظ فى نفسك ببعض العطف على أولئك الذين «جعلتهم الجماعة» بظلمها لهم يصلون إلى تلك الحال . وكذلك وصفه للتشابه بين فتاتين صغيرتين بقوله : «شبه قطرات الندى بعضها لبعض» (ص٣) فهو لم يشبههما بزهرتين مثلاً ، بل اختار أدق ما يحمل ما فى النفس من إحساس بالصفاء والطهر والرقة ، وهلى أدق من قطرات الندى فى نقل ذلك الإحساس ؟ .

وإنك لتلمح مثل هذا التوفيق فى التعبير فى قوله : «فلئن كان ألسست «ضميرًا ينطق» بمكنونه صادقاً صريحًا فسليمين «أكذوبة اجتماعية» تتحرك ، ومن عجب أن يحبها ألسست حبًا صادقًا عميقًا» (ص٥٠) وانظر أى وصف كان يكون أكثر انطباقاً على امرأة كسليمين «فى حركات وجهها وابتسامات شفتيها وجرس ألفاظها من التكلف والصنعة قدر ما فى ألوان وجهها وأصباغ شعرها» (ص٥٠) وأى وصف كان يكون أبلغ عن رجل كألسست لا يكتفى «بأن يقول إلا ما يؤمن به ، بل وأن يقول كل ما يؤمن به ولو كان فى ذلك شقاؤه ، ولو أصبح به موضع سخرية الناس أجمعين» - من أنه ضمير ينطق (ص ٤٨) ثم انظر كيف ثبت الكاتب العجب فى نفوسنا من حبه لسليمين حين جمع فى دقة بين «الضمير» و «الأكذوبة» .

واقرأ معى تلك الجملة يفسر بها كيف أن رأس المحكوم عليه بالإعدام فى اللحظات السابقة للتنفيذ، تحظى بحياة غنية تتدافع فيها الأفكار غزيرة متتابعة «أو ما تحس أنها قد وصلت إلى غاية الجهد فلم يبق فيها إلا ما يخلف هذا الجهد من حرارة تشبه الحياة، وهى بحمى اليأس أشبه» ثم خبرنى : ألم يرقك هذا التفسير الإنسانى بما فيه من دقة وتركيز يدعوان إلى التأمل ؟

واستمع إلى قوله : وهكذا تتضور النفوس الممتازة وقد قضى عليها أن تتبع السلسلة الإدارية، وأن تكبح من طموحها حتى تبلى فى أصغر المراكز، وماتزال تحنى أصلابها وتتصبب عرقاً حتى تستطيع - وقد لا تستطيع - بعد جهد عشرين عاماً - جهد الرقيق - أن تصل إلى ما تستحق» (ص٦٨) ثم انظر إلى قوة الصورة ودلالتها وأصالتها فى قوله : «تحنى أصلابها وتتصبب عرقًا» . إننى لأتصور أمامى الآن رجلارث الشياب يخرج من فوهة منجم، وقد حمل فوق ظهره حملاً ثقيلاً انحنى عوده تحت وقره، ونفرت عروقه وتصبب منه العرق ! وانظر إلى تلك الجمل الاعتراضية التى قطعت الأسلوب : عقبات تقف فى طريقك كلما حاولت الانطلاق، مما يشعرك بالجهد، جهد أولئك الممتازين الذين وضع المجتمع فى سبيلهم العقبات، «حتى تستطيع - وقد لا تستطيع بعد جهد عشرين عامًا - جهد الرقيق - أن تصل إلى ما تستحق» . ولكن الجملة الأخيرة تطول قليلا، إذ فيها راحة الوصول فأى مطابقة فى الأسلوب بين الفكرة وما يساوقها من عاطفة، وبين الموسيقى اللفظية ! وما دمنا بصدد الموسيقى فلتقرأ معى تلك الفقرة : «ولكم قطعت أسلحة رولان فى مفاوز الجبال، ولكم نشرت قلاع برباروس الرعب على صفحات المياه، فما له لايغامر كما غامروا ؟ وما له لا يلتمس المجد بحد السيف كما التمسه من قبل أبطال ؟» (ص١٢) . واستمع كيف «قعقعت» الأسلحة فى «مفاوز» الجبال، وكيف «نشرت»، لا بعثت «قلاع» برباروس «الرعب على صفحات المياه»، لا سفن برباروس، الخوف على صفحات الماء . ثم احكم أى توفيق قد صاحب الكاتب فى اختياره للألفاظ المميزة بمعناها وموسيقاها . ورولان هو ذلك البطل الشهير الذى زعموا أنه حاول رد العرب عن إسبانيا، فأوحى بأول ملحمة فى الشعر الفرنسى، وبرباروس هو ذلك القرصان الرومانى المرعب الذى دوخ رواد البحر .

«تراه فى المنزل وما تدرى من أين دخل، تغلق الباب فيأتيك من النافذة، تحسبه بالداخل بينما هو فى الخارج، أليس هو فيجارو مضرب المثل فى الخفة والمهارة ؟ أليس هو فيجارو . .» (ص٩) .

نعم إنه فيجارو مضرب المثل فى الخفة والمهارة ، إذن فليتابع المؤلف خفته فى حركة الأسلوب ، فى تلك الجمل المنفصلة المتلاحقة ، وفى ذلك التساؤل المتكرر الذى يتبعها .

وبعد فليس الحديث عن السيل الموسيقى فى الأسلوب والدقة فى اختيار الأصوات المعبرة بالأمر الهين . ذلك لأنها ليست من البساطة والوضوح بحيث تمسك بها وتدرجها فى رقم أو أرقام كذلك الذى كانوا يعلموننا فى المدارس من أدب هذا الكاتب أو ذلك «سجع قصير الفقرات ، ومقابلة أو طباق ، وبدء بالتحميدات . . إلخ إلخ . .» إنها ليست موسيقى رقص ، محددة مقسمة متقابلة ، ولكنها فيض نفس ، نفس حارة غنية ، موسيقى سيالة تعلو وتهبط وتتكسر وتتراخى وتتدافع حسب الإحساس أو وثبات الفكر ، فإذا أردت أن تدرك خصائصها ، فعليك أن تقف إزاء كل جملة ، وإزاء كل فقرة ، تتأمل السر فى إحكام ما بها من نغم .

«إذا كان المؤلف قد استعان بتجسيم شخصياته على إيراد الحقائق التاريخية ، فإنه قد استعان بذلك أيضًا على استحضارها أمام القراء ، حين تكون أبلغ تأثيرًا فى نفوسهم «ها نحن تحت أشجار القسطل فى ظلام الليل ، وها هو فيجارو وحيدًا مجهدًا يقص علينا آلامه ويشكو ظلم الحياة بعد أن نفذ صبره وأصابت السهام شغاف قلبه ، ها هو فيجارو يصيح غيرة على عروسه التى يحب . . .» (ص ١٠) . ثم إذا به يعقب بعد أن انتهى فيجارو من إلقاء مونولوجه بقوله : «وحزن الحاضرين لحزن فيجارو» . وفى الحق لم يكن ثمة حاضرون سوى النظارة فى المسرح ، ولكنه أحالهم «حاضرين» معه حتى يوهمنا بالواقع فيكون أفعل تأثيرًا فى نفوسنا .

وبعد فإذا كان المؤلف يملك تركيز الفكر ودقة اللفظ وقوة إيحائه ، ثم دلالة الصور وموسيقى الأسلوب ، وإذا كان يعرف اصطناع السذاجة وإحياء الشخصيات ، فإنه يملك هبة لا تقل خطرًا عن كل هؤلاء ، يملك حرارة القلب ، يملك قوة الشعر ، ومثالية التصوف . استمع إلى قوله : «دون كيشوت رمز لأحلام الشباب ، وأى سحر أفعل فى النفس من تلك الأحلام ؟ قد تذهب أحداث الحياة بتلك الآمال العذاب التى يقوم عليها صبانا كما كانت تقوم العذارى على النيران المقدسة بمعابد الآلهة يسكن ضرامها عن أن يخمد ، ولقد تنقطع أوتار القيثارة فلا تعود تملأ نفوسنا بنغماتها الساحرة ، ولكن النار لابد مخلفة رمادًا مقدساً ، ولابد للآلهة من رجع فى النفس تحن إليه كلما عادت بها الذكرى من ثنايا الماضى الجميل» إننى لأشفق أن أمس تلك الفقرة الرائعة بالتحليل فألقى ظلا على ما بها من شعر وتصوف ، ولكن عليك أن تعيدها على سمعك فتحس بكل ما فيها من جمال وجلال .

ثم هو إذا كان يملك الشعر فإنه ليعرف السخرية . استمع إلى قوله فى «العبيط» :
ولكن الرجل عبيط ، عبيط ما فى ذلك ريب ، فهو لا يعرف أين يضع نفسه ولا يقدر نفسية من يخاطبه ولا يفطن إلى ما فى ردود الخادم من وقاحة متصاعدة ، وهو أخيرًا لا يعرف أن ما كل حق يقال ، وإذا قيل فما ينبغى أن يقال لكل إنسان ، وما إلى ذلك من حكمنا الثمينة ! قد تقول هذا وخيرًا من كل هذا ، أما أنا فأعتقد أن عقولنا نحن هى الفاسدة وأن حياتنا الاجتماعية كانت من القسوة بحيث خلقت أرواح عبيد وأرواح سادة . وكانت من الالتواء بحيث جعلت من حياتنا نفاقا متصلا ، واتخذت من هذا النفاق قانوناً صارمًا يصيبنا من عدم احترامه أكبر الأذى (ص٣٦ ،٣٧) فأى سخرية أبلغ منها فى قوله : «عبيط عبيط ما فى ذلك ريب» ووصفه لتلك الحجج بأنها «حكمنا الثمينة» ثم استخفافه بها فى قوله : «قد تقول هذا ، وخير من كل هذا» . ثم إننى أرجو أن تقف عند ما فى هذه الفقرة من سخط على التواء حياتنا الاجتماعية ونفاقها وما بها من دعوة لتحطيم تلك القسوة التى خلقت أرواح عبيد وأرواح سادة . ولكنها دعوة لا تأتى من الخارج ، لا تأتى من أنه «ينبغى» لنا أن نحث على الفضيلة وأن نجعل الأدب منابر وعظ ، لا تأتى عن قصد وتعمد - فذلك ما يميت الأدب ولا يحيى الأخلاق - وما يؤمن الكاتب بشىء من هذا ، بل إنه ليؤمن بأن الفن غاية نبيلة فى ذاتها ، ولكن تلك الدعوة وأمثالها إنما تصدر لديه عن فيض نفسى ، عن شعور شخصى وإيمان عميق ، ولذلك تحتفظ بقوتها على التأثير ، فتسلم لها النفوس ، بدلا من الوعظ المفتعل المرسوم .

ولكى يستجيب إلى ذلك الشعور الذى يعتلج فى نفسه من حبه للمثل العليا نراه يقف فى تصويره لبعض الشخصيات عند مرحلة بعينها حين يراها تفقد دلالتها الأولى كممثل ممتاز «ولهذا نقف فى تصوير فيجارو عند هذا الحد لنتركه فى ذهن القارئ مثلا حيّاً لمبلغ ما يستطيع أن يصل إليه الفرد من عزة نفس مهما اتضعت به حماقات الهيئة الاجتماعية الفاسدة» . (ص١١) .

وفى الحق إن فى «النماذج» لخير غذاء للجيل الجديد . تراه يدعو إلى المثل وإن كان ينصح بملابسة الحياة «وهكذا نحن فى الحياة لابد لمن يريد أن يظفر منها بما يسميه جمهرة البشر نجاحاً وقوة أن يستوثق من الأرض بقدم وأن يلابس الواقع عن قرب . وأما المثاليون الذين يرفضون أن تدنس الأرض أقدامهم فمثلهم لنكد الطالع كمثل أنتيه وقد رفع إلى الفضاء ما تلبث السيوف أن تذهب برءوسهم» (ص١٢) ففى هذه الفقرة نراه يصور ضرورة ملابسة الواقع فلا يهيم الشباب فى واد سحيق

من الأحلام لا يفضى إلى شىء ، وإن كان لايزال يحتفظ بحبه للمثل فى قوله : «أن يظفر بما يسميه جمهرة الناس نجاحًا وقوة» وفى قوله : «النكد الطالع» .

وهو يدعو إلى الجهاد ، الجهاد الذى لايعرف اليأس مهما لاقى من إخفاق «وأما أولئك الذين يستطيعون فهمه على وجهه فهم الشباب الذين يحسون أنه ليس من الضرورى أن ننجح لنجاهد فى سبيل مثل أعلى . . .» ثم هو يرفع من قوى النفس الخلقية «ولكنه أبى النفس يرفض أن يميل مع الرياح ليمر على عنقه رجال حابتهم الأقدار على غير فضل فيهم ، أو رفعهم حمق البشر فوق ما كان يجب أن يبقيهم اتضاع نفوسهم» .

ولقد نجد تفاوتًا فى الحرارة بين النماذج المختلفة ، فما ننتظر أن يتحمس للمحتال بتلان وإن كان قد يتحمس ضد أوليس بعد أن ينحدر . إنه يفهم محنة هاملت ويعطف على فيليسيتيه ويرثى لجوليان سوريل ويخشى على رستنياك ويحب جفروش ، ولكن حماسته تبلغ أقصاها حين يتصل النموذج بمعنى عام شديد المساس بحياتنا قريب من آلامنا وآمالنا . استمع إلى قوله عن فيجارو : «أنموذج بشرى خالد لأبناء الشعب الذين لا يطامن من كبريائهم ظلم ولا يعوزهم سلاح فإن لم يكن العنف فلتكن السخرية . . . فيجارو روح خالدة لأنها كقوى الطبيعة التى لا تدفع ، فيجارو من روح الله لأنه رمز الشعب ، ذلك الشعب الخامل الذكر المهضوم الحق ، ذلك الشعب الذى لا يريد أن يستجدى أحدًا ، إنما يطالب بحقوق لابد أن ينالها يوما ، ذلك الشعب الذى يشكو من نظام فاسد لابد من أن يقيم على أنقاضه نظامًا أصلح» (ص١١) وفى هذا الكلام من حرارة القلب وقوة الإيمان ما يشحذ القوى ويحيى النفوس .

وبعد ، فلعلى أطلت عليك أيها القارئ الكريم ، ولعلك تتساءل وما بالها تكتب كل هذا الكلام عن صاحب الكتاب ؟ ولكنه لو لم يكن زوجى لكان لى الحق فى أن أكتبه كمحبة للأدب ، فكل ماطرأ هو أنه قد أفسح لى الكتاب لأقول ما أريد .

«ملك عبد العزيز»

علاء الديب يكتب عن نماذج بشرية لمحمد مندور

»نماذج بشرية» للدكتور مندور كتاب فريد فى نوعه وقيمته وتأثيره، قرأت الكتاب قبل أن أنهى دراستى الثانوية، كان هو الباب الذهبى الذى دخلت منه إلى العالم السحرى الذى مازلت أعيش فيه وأتمنى ألا أخرج منه إلى نهاية العمر: عالم الأدب، أو العالم كما يراه الأدباء، ويعيدون خلقه على الورق، علمنى حب القراءة، حب البحث عن المعنى والحب والتحقق كما يصنعها الكتاب والمفكرون: هنا، وفى أى مكان لكى يعيدوا ترتيب الصخب والارتباك الذى يعيشه مراهق يبحث له فى الحياة عن طريق.

أخذ كتاب مندور الفاتن بيدى فى أصعب أوقات الحياة، الشكر والتقدير والامتنان أشعر بها كلما جاء ذكره أو وقع فى يدى كتاب له، صدر «نماذج بشرية» عام 1944 طبعته على ما أعتقد مكتبة نهضة مصر، كتاب من القطع الكبير على غلافه الأخضر كلمة «نماذج بشرية» ومحمد مندور بحروف سوداء كبيرة، الإهداء والمقدمة ـ على ما أذكر ـ كانا لزوجته الشاعرة الراحلة «ملك عبدالعزيز» يقول مندور فى الإهداء الذى احتفظت به كل الطبعات اللاحقة للكتاب

اعتدت أن أملى على زوجتى ما أكتب أو أقرأه عليها بعد الفراغ منه، فهى أديبة تجيد النثر والشعر، وأنا شديد الثقة بذوقها الأدبى الذي أدركته فيها وهى لاتزال طالبة فى كلية الآداب.. كانت خير عون لى على الرجوع عما قد تسوقنى إليه حرارة القلم عندما يتملكنى الموضوع فأندفع فى أعقابه، إن يكن هناك إنسان قد أحس بكل ما وضعت فى هذا الكتاب من تفكيرى وإحساسى فهو بلا ريب هذه الزوجة العزيزة

ثم يعود ليقدم الكتاب وفكرته للقارئ فيقول: للكاتب الإيطالى بيراندللو مسرحية هى «ست شخصيات تبحث عن مؤلف يبرزها إلى الوجود» وهذا هو معنى الخلق فى الأدب، ولكم من شخصية لاتزال مبعثرة غامضة حائرة، حتى يتاح لها مؤلف يجمع أشتاتها ويوضح معالمها ويدعم حياتها، فإذا هى أبقى على الزمن من البشر، وإذا بها تجتاز الأجيال مستقلة الوجود فى مأمن من الفناء: لأنها أعمق فى الحياة من كل حى، وأصدق دلالة من كل واقع«

فى الأدب: لير، وهاملت، ودون كيشوت، وأوليس إننى أحبهم وأعرفهم وأتمنى أن أقابلهم أكثر من فهمى ومرسى وجون وفرج الذين ألتقى بهم كل يوم فى الشارع أو على المقهى

المعانى والقيم والأفكار التى يستخرجها مندور من أكثر من عشرين نموذجاً بشرياً من خلق الأدباء والمفكرين تكاد تصنع دليلاً يشرح تطور العقل والفكر الإنسانى من اليونان القديمة حتى الآداب الحديثة

فى شهر مايو 1965 رحل الدكتور مندور وعمره 58 عاماً، بعد رحلة حياة صاخبة فى الأدب والسياسة، والنقد والصحافة، اختلف مع كثيرين وأحبه وتتلمذ عليه خلق أكثر، أمضى بعثته التى امتدت إلى حوالى 9 سنوات فى فرنسا وعاد دون أن يحصل على الدكتوراه، ولكنه حصل معارف وتجارب وخبرات ممتدة من الفلسفة اليونانية إلى الاقتصاد الحديث والفكر التقدمى الاشتراكى، اختلف مع العميد طه حسين الذى رعى بعثته وشجعه على دراسة الأدب، ولكنه عاد وحصل على الدكتوراه من جامعة فؤاد برعاية وإشراف أحمد أمين وأمين الخولى، فى واحدة من أهم الرسائل الدارسة للأدب العربى القديم، «النقد المنهجى عند العرب»، التحم بالعمل السياسى والاجتماعى التقدمى فى عاصفة من الفكر الجديد الحر فى السياسة والقضايا الاجتماعية، بينما نادى بفكرة «الأدب المهموس» فى مقابل الصراخ والرومنتيكيات العاطفية الزاعقة، ويقول

الراحل رجاء النقاش فى تقديم الطبعة التى بين يدى من: نماذج بشرية: فى كتاب «الميزان الجديد» للدكتور مندور اكتملت صياغته لنظريته فى «الأدب المهموس»، هى لم تكن مجرد دعوة أدبية بل هى دعوة إنسانية صادقة قريبة إلى القلب. الهمس فى الشعر ليس معناه الضعف، الشاعر القوى هو الذي يهمس فتحس صوته خارجاً من أعماق نفسه فى نغمات حارة

إلى جانب النقد المنهجى والميزان الجديد، قدم مندور ترجمة رائعة لكتاب: دفاع عن الأدب لجورج داهميل، كما قدم كتاب: من الحكيم القديم إلى المواطن، وأصدر واحداً من أوائل الكتب العربية عن تاريخ حقوق الإنسان، وعشرات الكتب الأخرى التى تجد قائمة بها فى أى مؤلف من مؤلفاته، كما جمع رجاء النقاش مجموعة مقالات لمندور لم تنشر فى كتاب صدر عن دار الهلال، أما الأستاذ فؤاد دوارة فقد أفرد جزءاً كبيراً من كتابه الشهير «عشرة أدباء يتحدثون» عن السنوات الأخيرة من حياة مندور التى أمضاها فى كفاح بطولى ضد مرض خطير فى العين والدماغ والغدد وكأنه كان يقول: «نحن أمواج إن تهدأ تمت» كما قدم الأستاذ فؤاد قنديل دراسة مهمة عن أعمال وحياة مندور

صوت قلب مندور الحقيقى وثورة عقله لا أجدها أكثر بريقاً ووضوحاً عما عبر عنها فى كتابه هذا «نماذج بشرية» فيه تقرير واضح شفاف للدور الإنسانى الذي يلعبه الأدب فى تقدم المجتمع، وفهم شخصية وتطور الإنسان

يقول مندور فى صفحات الكتاب الأولى: قد يبدو غريباً أن نترك النماذج المشهورة كدون كيشوت وهملت وفاوست لنبدأ «بحفروش» «جفروش» طفل فى الثالثة عشرة من عمره، يظهر ويختفى بعد أن تبدأ رواية «البؤساء» لهيجو وقبل أن تنتهى، فلا هو بطل الرواية ولا هو مدارها، ولكننى رغم ذلك أحب هذا الطفل وأفضله على الرجال، حتى إننى أقعدنى المرض أياماً فلم أجد جليساً تستريح إليه النفس خيراً منه، لقد سئمت منطق البشر وأصبحت أرثى لذلك الفيلسوف الجليل «أفلاطون» الذى غذى شبابى بما فى الخير والحق من جمال، لا أدرى هل ضل الرجل عندما زعم أن النفوس لا يمكن إلا أن تعشق الخير والحق إن أبصرت بهما، أم يخادع الناس أنفسهم ويخادعون الغير عندما يتحدثون عن الخير والحق؟ من يدرينا؟ قد لا يكون هذا ولا ذاك وإنما هو عبث بالألفاظ وإخراج للغة عما خلقت له من حمل معاني النفوس ونفثات القلوب، ولكم من مرة حدثتني النفس أن اختراع اللغة هو أقسى ما نزل بالبشر من كوارث

جفروش طفل من شوارع باريس، فى قلب ثورة 1832 هو من باريس بمنزلة العصفور من الغابة، كان جفروش يرتدى بنطلوناً لم يأخذه من أبيه وقميصاً لم يأخذه من أمه، إنما كساه بتلك الأسمال قوم محسنون، له أب وأم ولكنه يتيم، حجارة الشوارع التى ينام عليها كانت أقل صلابة عليه من قلب أمه وأبيه، كان صاخباً شاحباً خفيفاً يقظا ساخراً حى الملامح مريضها، تراه رائحاً غادياً مغنياً لاعباً يحفر القنوات، يسرق أياناً ولكن فى مرح كما تسرق القطط أو العصافير، يضحك لمن يسميه عفريتاً ويغضب ممن يسميه لصاً، لقد حرم المأوى والخبز والنار والحب، ولكنه كان مرحاً لأنه حر

هو وأمثاله يعيشون أسراباً، يزرعون الطرقات ويسكنون الفضاء، هم يصيحون ويسخرون ويصخبون ويتضاربون، عليهم خرق كالشحاذين، وأسمال كالفلاسفة، يصيدون فى المجارى، ويطاردون فى القمامة، ويستخرجون المرح من الأوحال، مجانين إلى حد العقل، شعراء إلى حد الإسفاف، يندسون فى الروث ويخرجون منه مرصعين بالنجوم

فى صحبة هذه العيون وذاك القلم العبقرى العارف بالأدب وبالثقافة وبالإنسان تتنقل فى هذا الكتاب من هملت ولير وتغوص فى الكوميديا الإنسانية عند بلزاك، والكوميديا الإلهية عند دانتى، وتتبع شخصية «أوليس» فى الأدب اليونانى حتى أحدث وجود لها عند جيمس جويس، ويقف بك عند فاوست جيته وفاوست فى الأساطير الشعبية الألمانية، جوليان سوريل عند استندال فى الأحمر والأسود، والأمير موتوشكيى فى الأبله عند ديستوفسكى، تستخرج عبقرية مندور ما فى أكثر من عشرين عملاً أدبياً خالداً أسرارهم ويقدمهم للقارئ الذى يعرفهم أو الذى لا يعرفهم وقد اكتسبوا من روح الرجل العبقرية خلوداً جديداً

حقاً نماذج بشرية كتاب فاتن

نقطة نظام

منذ أيام قرأت لواحد من قراء «المصرى اليوم» الكرام اعتراضاً على اقتطاع بعض الكتاب مساحة من الباب الناجح والمفضل عنده «السكوت ممنوع»، عصير الكتب يحتل مساحة يوم الأحد، لا أدافع عن «عصير الكتب» لكننى أقول للقارئ الكريم: الكتاب الجيد قديماً كان أو جديداً يحمل دائماً نفس الرسالة: عبر عن نفسك «السكوت ممنوع«



الدلع وفساد الاطفال

النصيحة الدائمة للإباء والامهات هى لا تدلع اطفالك، ولكن لا تقسوا عليهم واظهر حنيتك حتى يكبر الطفل مسؤولا ومتوازنا نفسيا، وبالطبع لا تضربهم.

هذه هي القاعدة العامة، وهي قاعدة صحيحة ومضمونة النتائج، ولكن هل كل طفل " مدلع " يمكن ان تكون نتائج الدلع سلبية ولا يصبح رجلا لا يمكن الاعتماد علية او حتى لا يستطيع ان يكمل تعليمة او ان يتفوق؟

الحقيقة انه لا توجد قاعدة لا تستثنى احدا، فانا كنت مدلع، ولا اعرف السبب فى ان جدى و ابى كانوا بيدلعونى ، ففى المرة الاخيرة التى رايت فيها جدى كان نظرة قد ضعف كثيرا وكان علينا ان نخبرة باسم كل شخص ، وعندما جاء دورى و اخبرتة باسمى ، ملأت الابتسامة وجهة ، وغندما سالت امى لماذا انا ؟ فانا لم اكن اكبر حفيد او اصغرهم، ولم اكن اكبر ابناء ابى و لا اصغرهم، فقالت، في الغالب، انى في سن خمسة او ستة اشهر كنت مكلبظا ومبتسما، وكلما حملنى احد ابتسم في وجهة، وكان هو رجلا ودودا كبيرا في السن، فتم تأميمه لمصلحتي ، ولكن هذا الانجذاب الاولى تدعم بعد ذلك .

ولا اعرف ايضا سببا لدلع ابى لي، برغم احتجاجات امى الدائمة بقولها " هتبوظة " وبالطبع لم يكن هذا الاحتجاج يتم امامى ولكنى سمعته عدة مرات بالصدفة.

والغريب ان الدلع لم "يبوظنى "، فكلما زاد الدلع زاد الانضباط، فقد كنت احمل هم الشهادة الشهرية، لأنى اعرف ان ابى سينظر اليها ولا يعلق وانة فى الغالب ان جدى سيسال ولن يعلق ايضا، فلكم ان تتخيلوا طفلا يحمل هم الشهادة فقط لارضاء ابية وجدة ، الامر الذى اسفر ، دائما ، عن درجات عالية و انضباط فى السلوك ، طفل وشاب صغير بلا مشاكل ، وامتد الانضباط حتى فى التعامل مع الاصدقاء وخصوصا فى مواعيد اللقاء ، فسميت بالانجليزى .

ويبدو ان التفوق الدائم قد دعم الدلع من كلاهما ، ولكنى تعرضت لخسارة فادحة ، فلقد توفيا خلال عام واحد تقريبا ولكن الانضباط الذى اصبح طبعا ثانيا ، ساهم مساهمة كبيرة فى التماسك الشخصى ، فقد كنت قادرا على الاعتماد على نفسى وتقديم المساعدة للاخرين ، شاب صغير السن قادر على اتخاذ القرارات و مستقل الى حد بعيد ، وبرغم انهما قد توفيا فاننى فى عزاء ابى قررت اننى ساظل متفوقا اكراما لذكراهم ، وهو ما حدث ، الامر الذى جعل أمي تخبرني ، بعد سنوات قليلة من وفاة ابى ، انها لم تكن تعرفنى ، الامر الذى فاجئنى ، ولم ادرك الا منذ زمن قريب ان السبب اننى كنت "مدلع " الامر الذى نتج عنة اننى اصبحت العصا التي تستند عليها

فهل الدلع يفسد كل الاطفال؟

فمن يريد منى شيئا، يدلعنى، اما إذا حاول ان يلوى ذراعى باى وسيلة فلن ينال الا غضب عارم لواحد " مدلع "، بحب الدلع وبحب ابى و جدي.



جدودى

الحكيم الحاج عبد الحميد مندور وزوجتة زهرة عبد الدايم والاحفاد فى المنزل الفلاحي القديم قبل الانتقال الى المنزل الجديد.

هل تعرفوا لماذا هذا الابتسام؟ لان من يصور هو العم اللطيف الودود د. مصطفى مندور



لم أكن اعرفك ـ ملك عبد العزيز

توفى ابى و انا فى السابعة عشرة ، واصبت بصدفة عاطفية ونفسية كبيرة جدا ، فلقد توفى امامى ، ولم يكن اخوتى الكبار موجودون نتيجية لظروف عملهم ، فاعتمدت على امى ، ولكن الصدمة استمرت لسنوات طويلة ، فكلما اضيىء النور فى حجرة امى كنت اترك غرفة المكتب الى غرفتها ، وعندما افتح الباب كانت تبادر بالقول " انا كويسة " ، وخلال ما اعقبها من سنوات كنت اجلس اذاكر فى مكتب ابى ، وكلما حضرت صديقات امى وفى طريقهم للمغادرة كن يقومن بفتح الباب للسلام على ، وكان العجب يستحوذ على من ذلك . واخبرتنى امى انها لم تكن تعرفنى ، فتعجبت ، فهل تعرفوا ابنائكم ؟

سؤال صعب جدا، لان المعرفة العميقة باى شخص شديدة الارتباط بسلوكة الشخصى فى ازمة سواء له او لأهلة وأصدقائه او حتى معرفة او في العمل العام.

لقد تكرر الامر معي الامر عدة مرات، فى ظروف مختلفة " لم نكن نعرفك " وكنت اتعجب، زملاء دراسة لسنوات طوال او زملاء عمل مهنى او زملاء عمل عام لسنوات عديدة وسط ظروف قاسية، ويتكرر الامر. فهل تعرفونني؟ وهل انا غامض؟ لاعتقد بل اعتقد اننى واضحا جدا الى الحد الذي لا يدركه الاخرون، وأحيانا واضحا الى حد المباشرة التى ممكن ان تكون غير دبلوماسية، فهل تعرفونني؟ لأنني بدأت اشك في انى اعرف نفسي!

هل انا حر

سؤال صعب الاجابة علية، ولكن من المؤكد اننى قد عشت حياة صعبة وما زلت وقدمت تنازلات كبيرة، وكان دافعي الدائم هو الرحمة وليس العدل، فالرحمة أكثر اهمية كثيرا من العدل، خصوصا اذا نظرت الى قلوب الناس و ليس افعالهم، فهل كنت مخطئا؟ غير متأكد و لكن ما انا متاكد منة اننى هكذا خلقت واننى هكذا اكون مرتاحا نفسيا ، برغم الخسائر الفادحة ، ولكن الشىء الوحيد الذى لم اقدم فية اية تنازلات هو قناعاتى الفكرية وتعبيرى عن هذة القناعات حين اريد وكيف اريد وفى حدود ما اريد ، الامر الذى لا انوى التنازل عنة مهما كانت النتائج ، ومن يريد ان يغير قناعاتى او افكارى علية ان يناقشنى عقلا بعقل ، اما الدمجحة و الشعارات فلا استجيب لها ، فلم اكن ابدا صبيا لاحد او اردد مقولات الغير ، ولن افعل هذا ابدا ، حتى و لو ترتب عليها فقدان الاصدقاء الذين احبهم ، الذين عليهم ادراك ذلك اذا كانو لم يدركوة بعد .

فهذا هو الباقي لي لكى اظل انسانا ولا انوى التخلي عنة.

هل نقبل أياديهم؟

كنت اتعجب لماذا يقبل ابى يد جدى ، فى حركة تتكرر ، ينحنى ابى ليقبل يد ابية فيقوم جدى بسحب يدة و باليد الاخرى يطبطب على ظهر ابى ، ولم يطالبنا احد بان نفعل ذلك ابدا ، ولكن بعد ان كبرت قليلا بداءت افهم ان هذا لم يكن مجرد عرفا اجتماعيا ، بل احساس حقيقى من ابى الذى يقبل يد ابية تقبيلا حقيقيا ، اعترافا بمجهودة العظيم فى تربية اولادة و اصرارة على ان يتعلموا جميعا حين ادرك الضرورة الاجتماعية

و حقيقة مستقبل ابناء الفلاحين اذا تعلموا، برغم أن ذلك لم يكن قصرا على جدى، بل شىء عام استقر فى وجدان هذة الطبقة الوسطى من االفلاحين فى بدايات القرن العشرون ، وطبطبة من القلب من الاب على ظهر ابنة الحنون صاحب القلب الابيض .

وبعد ان بداءت افهم كنت اترقب هذة اللحظة لاشاهدها واشعر بالسعادة وانا ارى هذا الدفق من المشاعر أمامي.
وبعد وفاة جدى، يتكرر نفس المشهد أمامي ولأنساه ابدا، برغم مرور زمن طويل علية، يصل ابى الى منزل العائلة بالقرية، ويستقبلة عمى الاصغر على السلالم الخارجية ، وينحنى ليقبل يدة ، ويتكرر نفس المشهد ، يسحب ابى يدة و يطبطب على ظهر عمى بنفس الود العميق المتبادل ، واكاد ابكى و انا اشاهدهما متذكرا جدى .

والله لو عاد الزمان من جديد، او عندما اذهب إليهم، سأقبل اياديهم، ليس هم فقط، بل كل إبائي وجدودي الذين كافحوا من اجل نهضة هذه الامة

بالأحضان

دخلت الى مجلس للمثقفين لا اعرفهم وقدمت إليهم، فقام أحدهم من مجلسه واتجه نحوي وأخدنى بالحضن، ولما شعر انى تفاجأت، امسك بتلابيبى واجلسنى بجانبه، وقال لا تتفاجأ واسمع القصة اولا، وكان ذلك بعد وفاة ابى بسنوات قلائل.

وبدأت الحكاية، فلقد كان معتقلا لمدة 5 سنوات، وبدء الاعتقال وهو فى السنة الاولى فى معهد الدراسات المسرحية سنة 1959، اومعهد التمثيل كما تعارف على تسميته.

وأفرج عنة مع كل زملاؤة وقررت الدولة ان يعود كل معتقل الى عملة، فذهب الى المعهد وقابل العميد وطلب العودة الى الدراسة، فرفض العميد، فماذا يفعل؟ ذهب الى رئيس قسم الادب المسرحى حيث كان تلميذا لدية، ودخل الى المكتب وبدء في قص قصته، فاستمع الية الدكتور محمد مندور دون ان يعلق، ثم قام من مجلسه، بدون اى كلمة ، وامسكة من ذراعة وذهب بة الى العميد ، وقال " هترجعة ولا استقيل " ، ولم يستقل الدكتور مندور !



نحن وعنتر وجحا

اية ده؟ الراجل لسع! بس لو صبر القاتل على المقتول لقتل وحدة، مش كدة ولا اية؟

أصل يحكى عن جحا انة كان مفلسا و جائعا، فاشترى خبزا و ذهب بجوار محل الكبابجى وبدء فى " تغميس " الدخان، فامسك به الكبابجى و طالبة ان يدفع وانة لن يطلق سراحة الا بالدفع! فاخرج جحا العملة المعدنية الباقية معة ورماها على الرخامة فاصدرت صوتا ، فسال الكبابجى ، هل سمعت الصوت ، فاجاب نعم ، فقال لة جحا خذ الصوت ، ولذلك اعتقد انة لايوجد مصرى لم ياكل الكباب او حتى يشم رائحتة ، ولذلك كان اكل الكباب هو اكثر الاكلات شعبية ، قبل ان تهجم مطاعم الاكل السريع وتقدم لحم الموتى المسمى بالهمبورجر . وحيث ان ابى كان رجلا فلاحا فان اكل العيال كان يهمة وكان يسعد كثيرا وهو يرانا ناكل ، خمسة من الاولاد شديدو النشاط و يلعبون اكثر من رياضة فى نفس الوقت ، كرة طائرة و كرة قدم وتجديف وملاكمة عند اللزوم والعاب قوى ، وقادرين على ابتلاع المحيط اذا تطلب الامر ذلك.

ويا سلام لو ذهبنا الى المسرح، فخلال الاستراحة نبلع سحلب، وبعد العرض انت وحظك، سندوتشات من عند السعيد او نجرسكو من الينيون او كباب من عند المعلم عنتر، مطعم صغير في الروضة، ولكن كبابة يجعلك تاكل صوابعك دون ان تدري.

واحيانا يتم ارسال الهدسون كى تحضرنا مباشرة من المنزل الى المطعم فى نصف الليل بعد ان ينتهى العرض المسرحى ، واذا كنت قد تعشيت ونمت ، يتم ايقاظك ، وهو على ثقة تامة فى قدراتنا الاكلية . وذات مساء جميل تم ايقاظنا للذهاب فى الهدسون الى عنتر حيث ينتظر ابى ، وطلب خمسة دون ان يتنبهة ان وحدة القياس قد تغيرت من الرطل الى الكيلو ، ويالة من منظر ، كوم كباب و كفتة يبلغ خمسة كيلو ، فاصدر فرمانا " كل من غير عيش " ، وللمرة الاولى نفشل فى انجاز المطلوب لان الكباب لابد و ان ياكل مع الخبز حتى ولو قطع صغيرة منة ، فضيحة ان نخرج من المطعم ونحن نحمل اكياس ما تبقى من الكباب ، فضيحة لسمعتنا فكيف لا نستطيع نسف الاكل وكمان كباب.



وجه البراءة

ملك عبد العزيز ـ كتبت عام 1963 ونشرت عام 1965 في الآداب البيروتية.

كان أخي يقاتل في اليمن، والقصيدة موجهة الى شهيد فى اليمن نشرت صورته في الصحف، ولا انسى شعور امى حين رات وجهة الصبوح، وفى نفس الوقت قطعت الولايات المتحدة المعونة عن مصر مطالبة بوقف تسليح الجيش المصري، فرد جمال عبد الناصر فى خطابة الشهير ، اشربوا من البحر الابيض و اذا لم يعجبكم اشربوا من الاحمر .

وافرح يا طفلنا الحبيب
مازال فى قلوبنا براءة الاطفال
ذاك الذي يحق أن ندعوة بالانسان
بغير بيع اوشراء
بغير دولار بغير كبرياء
تذل أن اعطت
تذلنا تريق ماء وجهنا
تدمغنا بالخزى والهوان

وجه البراءة

(مهداة الى شهيد في اليمن)

لا استطيع ان ازيح رسمك الوسيم
عن خاطري
لا استطيع !
لا استطيع ان ازيح عن عيني وان طال المدى —
وجه البراءة الصبوح
وجه الصبا
يطل منه طفل الامس ... لا ، لا استطيع !
وكيف انسى وجهنا يا طفلي الوديع
حين ذهبنا امة محشودة
لغير ما ثمن
لغير مغنم
حتى لغير احلام بامجاد تعيدها القرون
لغوا وزهوا زائفا ...
فكم املوا سمعنا عبر السنين
بما رووا عن فاتح وفاتح رجيم !
لكن ذهبنا كي نعيد للانسان
كرامة الانسان
وكان قربانا لعزه المجيد
وجه البراءة الصبوح
يا طفلي الوديع !

***

وافرحي يا طفلنا الحبيب
ما زال في قلوبنا براءة الانسان
ذاك الذي بحق ان ندعوه بالانسان
ما زال في قلوبنا براءة البذل براءة الحنان
بغير بيع او شراء
بغير دولار بغير كبرياء
تذل ان اعطت
تذلنا
تريق ماء وجهنا
تدمغنا بالخزي بالهوان !

***

لو لم تكن قرين طفلي الحبيب
على ذرا الجبال في اليمن
لو لم تكن قرينه في وجهه الصبوح
وقلبه البريء
لكنت — لا ازال — يا صغيري الحبيب
لا استطيع ان ازيح رسمك الوسيم
عن خاطري ...
لانه — يا طفلنا الوديع — وجهنا
وجه البراءة الصبوح !

القاهرة

ملك عبد العزيز

يوسف ادريس والاب البديل

1965 – 5 - 29

كتب يوسف ادريس انة فى مواجهة ظروف الحياة وعندما تضيق بة الدنيا كان يستعير ابا له، هذا الاب هو الدكتور محمد مندور، وها هو هنا يرثى أباة ، ويشير بشكل غير مباشر الى التهميش و الاستبعاد من قبل النظام الناصرى ومنعة من الظهور فى الاذاعة و التليفزيون وفصلة من العمل فى جريدة الجمهورية قبل شهور قلائل من وفاتة ، وبعدها يطلقون اسمة على ثلاثة شوارع فى القاهرة و الزقازيق و منيا القمح ، فيالة من تكريم !

مندور .... جان جاك روسو ثورتنا

حين يموت طفل برئ فان كل ما نستطيع ان نفعلة تجاهة هو ان نحزن علية حزن العاجز ، اما حين يموت استاذ كبير كالدكتور محمد مندور فانى اخجل أن ابكية كانسان ، فمندور كان اكبر من انسان ، كان ظاهرة انسانية ، أشعر ان مجرد تذكرة على هيئة كائن حى ، كان نابضا رائحا غاديا بيننا ، ثم لم يعد بيننا ، اشعر أنى أضيق منظارى الى مندور ، واحددة داخل جسدة وداخل حياة صغيرة بسيطة مثلها مثل أى حياة عابرة، لقد المنى قطعا أن يموت مندور الحبيب الأستاذ الزوج ، وعصف بى ان يموت الأب ، أرحم وأرق أب حتى اننى كنت لا اتردد فى استعارتة لحظات حاجتى ، دون ان يشعر ، أبا ، وحين يموت مندور رفيق السلاح ، فلفقدة لوعة احسها كل مكافح محارب .

انها كلها مسائل للعائلة وللأصدقاء، وللمعارف، ولى، وفجيعة، ولكن الفجيعة الكبرى هى فى مندور الظاهرة، محمد مندور الذى لا يملاء مكانة غير محمد مندور، مندور الثروة الانسانية المصرية الشعبية العالمية التى فجاءة فقدناها، اختفت ، واصبحنا بعدها ، مهما كان عددنا نحس بالفقر ، ابشع أنواع الفقر خالق الفقر ومورث الفقر ، فقر الرجال.

لهذا فوفاة محمد مندور كانت حدثا هائلا كبيرا، رايته واعجزني عن أن انطق او أكتب أو ادرك تماما ما حدث، فمهما كان مندور الرجل لعائلته الصغيرة ولأصدقائه ولزملائه، فمندور المعلم كان لشعبنا كلة، للاشتراكية كلها، للزمن الماضي و للحاضر والمستقبل.

من هنا يبدو الفراغ رهيبا جسيما فاغرا فاة كعين شيطان فيها خفوت النهاية وصمتها وظلامها المرعب السكون، ولهذا فبعدما بكيت مندور الشخص مضيت أتامل فجيعتى الاكبر والأعظم والأشمل وشر الحزن ما ينقلب الى تأمل العاجز

. وانا لا ازال أذكر أول مرة رأيت فيها محمد مندور ، لم اكن اعرف عنة شيئا ولا كان لى بالادب صلة ، كنت مجرد طالب طب (مشاكس)فى نظر البوليس السياسى ، وكانت لجنة الطلبة والعمال قد أوفدتنا لنشرح للصحف حقيقية الموقف عقب مصرع الشهيد محمد على محمد ، على ابواب الجامعة عام 1946 وكيف اختطفنا نحن الطلبة جثتة و أخفيناها فى كلية الطب تمهيدا لاخراجها فى جنازة شعبية ، وكان من حظى وحظ من معى أن نذهب الى جريدة المعارضة فى ذلك الوقت (الوفد المصرى او صوت الامة فيما بعد اذا لم تخنى الذاكرة) وطلبنا مقابلة رئيس التحرير ، وكانت اول مرة أدخل أو اقابل رئيس تحرير .

وقابلنا الرجل ، واصغى باهتمام لما نقول ، ومضى وهو يحدثنا يرمقنا بعين من يقول لنفسة :اذن هذا هو الجيل الجديد الذى سيتولى حمل الرسالة ، كانت لة نظرة راع وكان شديد الثقة فى انتصار الشعب ، وخرجت

من عندة مرتبك بعض الشىء ، فقد كنت اعتقد اننا حتى ولو كنا ذاهبين لمقابلة رئيس تحرير الجريدة المعارضة فاقصى ما نستطيع أن نجد عندة هو بعض العطف و التاييد ، اما أن نراة أكثر منا حماسا (اذ كنا كأى شبان نعتقد أننا أكثر الناس وطنية وحماسا) فهو ما اثار ارتباكى ، بل انة لم يكن متحمسا فقط ، كان متحمسا ومدركا الطريق كلة ، من اولة الى اخرة وكأنة يراة رأى العين ، احسست أنى أمام عالم اذن من علماء الوطنية ، أولئك الذى لم أعتقد للحظة واحدة أنهم يوجدون .

كان رئيس التحرير هذا، كما علمت بعد سنين هو الدكتور محمد مندور.

وقد يكون الدكتور مندور الأستاذ الناقد قد احدث فى الادب ثورة كبرى، ولكن أعذروني، فليس هذا من رأيى ، ولا حتى فى رأى المواطنين العاديين الذين لا يزالون يذكرون أهم ما فعلة الدكتور مندور .

مندور كان احد الذين صنعوا مصر الحاضرة ، وأذا كنا لم نقلها لة وهو حى فلا اقل من أن نقولها ونجأر بها وقد مات وانتهى الامر ، احد اللذين أسلموا الراية لعبد الناصر ليعبر بنا عنق الزجاجة ، عالم وطنية ومعلمها وخالق أمة ، واذا كنا قد انعمنا بالصفات الكثيرة على الامام محمد عبدة وعلى استاذ الجيل لطفى السيد لانهما صنعا لنا فكرا حديثا فالمسالة هذة المرة ليست فكرا ولكنها بلد و شعب ، وليست كتبا ولكنها معارك رايتة يخوضها بعينى ويتلقى عن صبية المدارس ضربات البوليس ويصرخ فى الضابط لاعنا من عينة ، اننا هذه المرة امام زعيم شعبي كبير لة فى القلوب مكانة تصل الى درجة أنى ذات يوم قابلت مدرسا بالمصادفة قادما الى القاهرة يوم الانتخابات (انتخابات الاتحاد القومى) فسالتة لماذا يكبد نفسة هذة المشقة فقال لقد اتيت خصيصا لاعطى صوتى لمندور فى المنيل ثم اعود ، اننا أمام جمرة كبيرة من الجمرات التى ابقت حيوية هذا الشعب وقواة صامدة رافضة ملتهبة لكى تاتنى ثورتنا الكبرى فى 23 يوليو تشعلها نارا ضخمة مقدسة ، وما كان يمكن للنار أن تقوم أو تقوم بمثل هذة الضخامة الا والجمر ، الجمر العزيز الغالى كائنا و موجودا ومستعرا لا يلين ولا يهدأ .

فى هذا الاطار رأيت الدكتور محمد مندور وداخل هذا الاطار حفظته لنفسي وأمنت به، ومن آجلة امتلأت حماسا له، واندفعت اختلافا معه، فمندور لم يكن ظاهرة انسانية فقط ولكنة كان ظاهرة أجبرت على التواجد فى نطاق ظروف، والظروف أحيانا كانت تقوى وكنت دائما اريد لمندور أن يكون أقوى من الظروف وكان مندور فى اغلب الاحيان هو الاقوى و الاصدق و المرتد أبدا الى نبضة الاصيل، المستجمع فى الحال لقواة ، المندفع ليقول الحق ولو كرة البعض ولو ساء أخريين .

انى لا استطيع أن انهى هذة الكلمة بغير أن أذكر شيئا ليس خاصا بالرسالة والريادة ، ولكنة بمندور الانسان ، فقد زاملتة فى رحلتة الاخيرة الى مؤتمر الادباء العرب فى بغداد ، واتاح لنا السفر فرصة للاحاديث الطويلة الممتدة ، روعت من احدها حين كشف لى المرحوم الدكتور مندور عن حقيقة مرضة و العملية التى أجراها لة الجراح الانجليزى هارفى جاكسون ، واستاصل تقريبا الغدة النخامية الكائنة أسفل فصى المخ الاماميين حفاظا على نظرة ، وهى عملية خطيرة للغاية ، ولكن الاخطر منها أن استئصال الغدة النخامية يعنى أن تتوقف جميع غدد الجسم الاندوكرينية عن الافراز ، فالغدة النخامية هى (المايسترو) الذى على وقع عصاة فقط تعمل تلك الغدد والا توقفت ، وكان معنى هذا أن استاذنا الدكتور ظل عشرات السنين يحيا وهو يتناول خلاصات هذة الغدد جميعا ، وهى كثيرة ومتشعبة ومتعارضة ورغم هذا لا تستطيع ان تقوم بدور الغدد الطبيعية ، وهذا هو السر فى حركتة البطيئة التى كنا كثيرا ما نستغرب لها .

ولهذا فهو لم يعش سنية الاخيرة محروما من التكريم الجدير به وانما عاش مريضا أيضا، ورغم حرمانة ومرضة فمن كان أنشط أو أجراء من مندور؟

ان جمرة مصر المقدسة كانت فية اقوى من اى حرمانات أو اهمال أو مرض فقد كانت الجمرة الخالدة ، التى خلدت والتى ستظل خالدة فى قلوبنا نحن اصدقاء وتلاميذك ومحبوك ايها الرجل الكبير .
هناك كلمة لابد ـأن اضيفها هنا ، لقد كنت مريضا حين مات استاذنا مندور ولا أزال ولم احضر جنازتة وكان خوفى وأنا راقد أقاوم المرض اللعين فى فراشى أن أموت قبل أن اسجل فجيعتى الخاصة و العامة فى جان جاك روسو الثورة المصرية ذلك الذى أسعدتنى الصدف أن اعاصرة وأقابلة وأصادقة وأحبة ثم اخيرا أروع فية .
عزاء لكم أيها الناس فقد انطفأ لنا مصباح يا لة من مصباح .

يعنى مش لاقى الا إحسان!

هكذا علقت خالتى الكبيرة عندما علمت ان عمى اللطيف الودود يرغب فى الزواج من احسان ،فقد كانت تعتقد انها تعرفها جيدا ، فاحسان كانت ، قبل هذا الزمان ، تلميذة داخلية فى المدرسة التى كانت خالتى مديرتها فى المنصورة
، طالبة من الفئات العليا للراسمالية الريفية ، يسكنون فى سراية بالسنبلاوين ، طالبة شديدة النشاط و الحيوية ولا تتوقف عن الحركة ، يعنى باختصار مولعة المدرسة و السكن ، فتطلب خالتى حضور والدها ، والد بحبوح ولطيف ، فيحضر الرجل ، ويسمع شكاوى خالتى الصارمة ، وينهر ابنتة امام الست الناظرة ، وفور الخروج من حجرة الناظرة يضحك ويخبر احسان ان تفعل ما تريد ، ويتكرر الموال .

ووقع عمى فى غرام احسان وهو طالب فى الجامعة، وهل من الممكن الا يقع احد فى غرامها ، متحركة و لطيفة و دمها خفيف وبحبوحة وطيبة، ويقرر ان يذهب الى اهلها لخطبتها ، فماذا يفعل ؟ يذهب ومعه الحاج عبد الحميد، جدي، ام ماذا؟

ويقرر الذهاب مع اخية الاكبر، الدكتور محمد مندور الشهير فى ذلك الزمان قبل 1952، فيذهبان للزيارة، واحسان مترددة، هل تقبل ام ترفض؟

الاخت الاكبر للبنات في عائلة كثيرة الابناء، فيجتمع كل الاخوة الذكور مع الاب في استقبال الخاطب واخية. وتخبرنى طنط احسان بعدها بسنين طويلة، أن الامر حسم في ربع ساعة، فبعد هذا الزمن القصير من بدء المقابلة في منزلهم، كان كل اخواتها و ابيها قد اصبحوا في جيب ابى الداخلي، فلقد اعجبهم الرجل بخفة دمة وبساطته، ووافق الجميع وهى على راسهم.

ومنذ ذلك الزمان البعيد تنال احسان حب العائلة المندورية بنفس المستوى الذي كان يحظى بة عمى الدكتور مصطفى مندور حبيب الملايين، الى مستوى ان اسماؤهم كانت دائمة متلازمة، لا ننطق باسم أحدهما منفردا. وكما كان ابى يكن عاطفة كبيرة وخاصة لعمى فقد امتد هذا الى عمتى احسان، واصبح يوم الاحد من كل

اسبوع احتفالا خاصا فى بيت عمى، حين يخرج ابى من عملة فى المعهد الى بيت اخية للغذاء، وبعد الغذاء يصر عمى على أن يحمم اخية الاكبر ويتولى تليفه.

وبعد وفاة ابى بعدة سنوات اقابلهم صدفة فى الاسكندرية ويصران ان ياخذانى الى مطعم فاخر للغذاء، فنذهب و نتغدى، وتسالنى شبعت ؟ فأجيب نعم، فتصر أن اتغدى مرة ثانية، اصرارا لا استطيع الهرب منة حين تصربقولها انت ابن ابيك ولابد أن تأكل مرة ثانية، فاطلب من جديد غذاءا اخرا!

بحب الاثنين سوا زي المية والهوا



عائلة صبري

انا وحورس

قلت ياواد انت جد اوى و تكاد تقترب أن تكون كئيبا وعقلك لا يتوقف ، الامر الذى دفع بعض الاصدقاء الى الشكوى " هنلاحقك ازاى " ، فانا لا اكرة الناس ولا اعتدى على احد ولا اغضب كثيرا ولكن يصيبنى الاسى اكثر ، ولا اكل الجيفة وفى قلبى ود يكفى الكون ، اذا استمع الى ، وكثيرا ما يصيبنى الالم الحارق الذى يصبح لا يطاق ، وياليتنى كنت شاعرا او كاتبا قصصيا لعلنى اتخلص من جزء منة بالكتابة ، فماذا افعل ؟ الحل الاساسى أن اجد اطفالا العب معهم ، فانا احب الاطفال فهم الاقرب الى نفسيا ، او الكبار الاطفال فما اروعهم ، ولكن اين اجدهم ؟

فلعبت على النت، لعلة يجاوبني، فأجابني، ويا لها من اجابة!

انت شبيهة حورس، القوى الذي اقام العدل وحمى البلاد، ويا لها من نتيجة، حلم الطفولة الذي لم ينقضي، منذ أن بكيت بحرقة وأنا طفل صغير عندما قتل قطز في وإسلاماه لأحمد بكثير، او حين قرأت الفتنة الكبرى لطه حسين وأصابني الم حارق، او حين خطف قلبى محمد كريم ومصطفى البشتيلى ومحمد عبيد وعبد اللة

النديم والبارودى وعبد المجيد مرسى و عبد الحكم الجراحى وجواد حسنى و فريد حداد وفتح الله محروس.
فالعب تصح!



هل قرأتم بعد شاعر؟

سؤال غريب؟ الطبيعي أن تسأل، هل قرأت للشاعر؟ اليس كذلك؟ ولكنى اقصد السؤال و لم أخطئ، فالشاعر يرى و يحس و يتأثر بشكل مختلف، ويرى الامور مصورة ويرى ايضا ما خلف الصورة ، وانا اقصد هنا الشعراء الحقيقين وليس المستشعرين ، وما اكثرهم !

وحتى الشعراء الحقيقين كثيرا ما ينتج عنهم شعرا مستشعرا استجابة لمقتضيات الحال او بحثا عن الانتشار و الذيوع او حتى السبوبة ، ولكنهم اذا انساقوا وراء مثل هذا التوجة فقدوا الشعر ولن يبقى لهم عبر الزمان ذكر.
ولكنك ، اذا كنت سعيد الحظ مثلى ، تقراء النص الادبى بعد أن يقراءة شاعر ، وياحبذا لو كان من الشعراء الذين يستخدموا القلم للتعليم على النص اثناء القراءة ، فعندها يتضح أكثر فهمك الشعرى للنص .، حيث تجد علامات واشارات الشاعر القارىء مكتوبة على النص الاصلى ، وتصبح اكثر قدرة على الفهم الشعرى للنص ، حتى و لو كان نصا غير شعريا .

لقد قراءت الالياذة اكثر من مرة ، كانت المرة الاولى وانا طفل ، ولا اتذكر فعليا فى اى عمر ، ولكن من المؤكد اننى كنت تحت سن الخامسة عشرة ، ثم اعدت قرائتها وأنا فى الخامسة و العشرون ، لاجد الكثير من الخطوط و العلامات تحت الكثير من الجمل و العبارات ذات المدلولات الشعرية التى مازالت عالقة فى ذهنى منذ هذا الزمان ، فقد قرائتها بعد قراءة امى لها ، الامر الذى مكننى من أن اصبح أكثر قدرة على فهم و التاثر بالنص شعريا ، برغم أن الترجمة لم تكن ترجمة شعرية ، اى التاثر بالصورة الشعرية المكتوبة نثرا . لقد كانت هذة القراءة وانا فى ظروف خاصة ، حيث تصفح الكتاب احد البصاصين ، وسالنى ما معنى هذة العلامات ، فاخبرتة ، ولانة كان مثقفا و لطيفا ، على غير العادة ، فلقد طلب استعارة " قدر الانسان " لاندرية مالرو واستمر تبادل الكتب !



الست الناظرة

من المرات القلائل التي رأيت فيها أمي وهى ممتقعة الوجه وتهرول على سلم المنزل بملابس البيت للذهاب الى الجيران للاتصال بالتليفون، لأنها تلقت اتصالا تليفونيا ولم تسمع سوى صوت حشرجة التليفون، فهرولت للاتصال بأختها للتأكد انها بخير، ولم تتوقف لحظة للاجابة على أسئلتي، حيث تصادف صعودي السلم اثناء نزولها.

هذة الاخت العظيمة تولت مسؤولية اخواتها الغير اشقاء، بعد انفصال امها عن زوجها الثاني الذي تعرض لمتاعب مالية جسيمة، وترك اربعة اطفال في عهدة طليقته، غير توحيده، ولأنها اكبر اخواتها فلقد تحملت مسؤوليتهم جميعا، والغريب أن كل اخواتها كانو ينادونها، بأبلة توحيده، ماعدا الصغرى، ملك عبد العزيز، التي كانت تناديها بتوحيده فقط.

تتمتع بروح وطنية عظيمة، ولأنها الكبيرة، وناظرة ثم مديرة مساعدة لمنطقة تعليمية، فقد كانت دائما " لابسة وش الجدية "، ولكن مع مرور الزمن واصابتها بداء السكرى، واهمالها لأنها تحب الشكولاتة، فلقد اصيبت بتصلب خفيف في شرايين المخ، فذهب "الوش الصناعي " وظهرت خفة الدم والمرح، ولم يغب عنها نتيجة لذلك الا الخلط بين الاسماء، برغم انها كانت تعرف أن الاسم خطأ، فتقوله ثم تضحك.

عائلة قل أن يجود الزمان بمثلها، شديدة التكاتف والتلاحم، خمسة من الاخوة كالبنيان المرصوص، لا يتعرض اى منهم لأزمة ويواجها وحدة، وما اكثر ازمات الحياة، اصحاب موقف وطنى متماسك اقرب ما يكون الى الطليعة الوفدية الذى كان اكثر يسارية من يسار ذلك الزمان.

عندما كبرت خالتى الغير متزوجة وضعف نظرها نتيجة الشكولاتة، لم تترك وحدها ساعة واحدة، فالمناوبات مستمرة بين الاخوة او من ينوب عنهم من الابناء، وكان حظي أن اذهب كثيرا بديلا عن امى لنضحك سويا انا وخالتى " اللى من غير وش صناعي ".

عمو كاكش والبستلية الحمراء والشستر

طفل صغير ، يتجاوز السنتين بشهور قليلة ، يصحو فى منتصف الليل ويهرع من غرفتة ، حيث ينام مع اختة الكبيرة ، الى غرفة اخرى ويدخل كى يوقظ رجلا كبيرا فى بداية الاربعينيات ينام بجوار زوجتة ، فيصحوا الرجل مبتسما ، فيسال الطفل عما يريدة ، فيجيبة الطفل ، بستلية حمراء ، فيفتح الرجل الدرج بجانبة و يعطية البستلية الحمراء ، ويذهب بة الى غرفتة و يتاكد انة قد نام ، ويتكرر الامر بعد ساعات قليلة ، فيذهب الطفل مرة اخرى ، ويسالة الرجل المبتسم عن ما يريدة ، فيجيب جبنة شستر ، فيفتح الدرج ويعطية الجبنة ، ويذهب بة الى فراشة ، ولو طال الليل لتكرر الامر الذى يحدث يوميا ، والرجل لايمل ولا يتافف ، والطفل يكرر الامر لانة فى شدة الاحتياج للتعويض عما فقدة ، هكذا نشاءت العلاقة بين الرجل الكبير المبتسم و الطفل المازوم ، ازمة كبرى احاطت بالطفل نتيجة لازمة عائلتة .

فلقد اصيب والدة بمرض خطير في المخ، ورم حميد في الغدة النخامية الموجودة فى قاع المخ، ورم سيفقدة الرؤية أذا لم يزال، وهى عملية خطيرة جدا في ذلك الزمان، فيسافر بصحبة زوجته و اخية الى انجلترا لاجراء العملية، وبرغم أن الطفل كان فى رعاية اختة الطفلة التى تكبرة بستة سنوات فقط، والتى تولت امرة منذ أن كان عمرة عاما واحدا، الا انها لا تستطيع أن تشكل تعويضا كاملا عن غياب الام و الاب. وتحضيرا للسفر يتقرر أن تبقى الخالة، عزيزة " اللذيذة " وزوجها مع الاطفال الخمسة واصغرهم لم يبلغ بعد عاما واحدا.

وعندما ياتى الليل تكون عزيزة قد أنهكت ونالها التعب، ويتولى هذا الرجل البديع المسؤولية، زوج الخالة والاب البديل، محمود مرسى راشد، زوج خالتي.

وبالطبع فان اسمة يظل عمو كاكش الى ان يكبر الطفلين الصغيرين ويستطيعا النطق الصحيح باسمة، وتستمر العلاقة الخاصة بين الاطفال، كل الاطفال، وخالتهم وزوجها اللذين لم يرزقا بأطفال، ولكن يبقى شعور خاص جدا بين الطفل وزوج خالته.

رجل عميق الانسانية ومثقف و موهوب في التعامل مع الاطفال، يلعب معهم، ولا يحضر لزيارتهم خالى الوفاض ابدا، ويلقى منهم ترحيبا قلبيا مساويا لترحيبهم بخالتهم " اللذيذة " .

وعندما كانا يحضران للزيارة ، لاحقا ، فى وجود الاب و الام ، بعد أن من علية اللة بالشفاء ، ويجلسون على مائدة الطعام ، تبدء عزيزة " اللذيذة " فى سؤال الاطفال عن مستواهم فى الانجليزية كى تطمئن ، فلقد كانت كبيرة مفتشى اللغة الانجليزية فى وزارة التربية ، وتسكت الام و لا تتدخل ، فالسائل هو اختها الاكبر التى تربطها بها علاقة خاصة منذ الطفولة ، ويسكت الاب كذلك ، فالسائل هو عزيزة ، فيتدخل محمود راشد بقولة

" ياعزيزة سيبى العيال تأكل يا عزيزة " ، وتحتج عزيزة بانها تريد أن تطمان ، ولكنها تستجيب ، وينقذ الاطفال بعد أن تحمر وجوههم .

سؤال دائم يسأله محمد مندور إذا كان هناك عيد ميلاد أحد اطفال ابناء خالات او خال الطفل " هو محمود راشد جاي "، فاذا كانت الاجابة " نعم "، يحضر الحفل.

وعندما يتوفى زوج اخت محمود مرسى راشد، يتولى مسؤولية الاطفال المقيمين بالسنطة، وإذا حضر بعضهم لزيارته والبقاء لدية في فترة الاجازة الصيفية، يستعير الطفل، الذي أصبح شابا صغيرا، للبقاء مع الشاب الصغير الزائر، ويرحب صاحبنا ايما ترحيب، ويضع لهم عمو كاكش برنامجا للزيارات الثقافية ليقوما بها صباحا الى أن يعودا هو والخالة من العمل.

وعندما يتوفى اخية الاصغر، يتولى ايضا مسؤولية أطفاله، هذا الرجل البديع لم يترك طفلا في ازمة او احتياج، حتى ولو كان احتياجا نفسيا.

وعندما يتوفى والد الطفل، الذى اصبح شابا صغيرا فى السابعة عشرة من عمرة، في وجودة هو و امة، وتنهار امة واخته، يتولى المسؤولية ويجرى الاتصالات اللازمة، ولا يبكى برغم شهرتة " بالعيوطة "، ويحضر الكثير من الاقارب والاصدقاء، ولا يبكى، الى أن يحضر محمود راشد، فينهار سد المسؤولية، فلقد حضر محمود راشد، وينسكب بحر من الدموع مصحوبا باهتزازات عنيفة من الضغط النفسى الهائل الذى تعرض له.

تجربتان مريرتان يتركان اثرا نفسيا كبيرا لدى الطفل والشاب الصغير لا يمحوهم الزمن، ويوثران فى سلوكه الشخصي حتى الان.

كل اسرة محمد مندور، محمد مندور نفسه وزوجته وأولاده وابنائهم يحبون محمود مرسى راشد، عميد كلية الالسن سابقا.

المصادفة

طفل صغير لا يأكل الفول، لا يأكل الفول! يا للهول، وكيف لمصري ان يكون مصريا ولا يأكل الفول؟ أميرا ام خفيرا.

أرسلة ابوية من المانيا ليبقى مع خالتة فى القاهرة بعض الوقت لان عبء دراسة الدكتوراة على الابوين اصبح كبيرا، فاكل فولا، واصابة ما اصابة، فلدية حساسية نادرة من الفول، فتحلل دمة بديلا عن تقوية القلب الذى يحدث للمصريين حين ياكلون الفول، ومنذ ذلك الزمان البعيد مازال مكتفيا بشم الفول بديلا عن اكلة، وتقرر أن يعود الى المانيا فارسلتة خالته وحيدا الى المانيا، فسلمته الى مضيفة الطيران لتسلمة الى ابوية . طفل صغير نشط يحتاج الى رعاية من مضيفة مشغولة ، فماذا تفعل ؟ استعرضت الركاب فوجدت رجلا كبيرا يسافر وحيدا وسماوه مبشرة، رجلا هادئا مبتسما يبدو علية اللطف، فسألتة هل يقبل أن يرعى الطفل اثناء السفر؟ فأجاب بالإيجاب.

وبالقطع فان هذه المضيفة لم تكن تعرف من هو هذا الرجل الكبير اللطيف، عميد كلية الالسن، الكلية الاولى في تعليم اللغات في مصر منذ عهد محمد على، التي اسسها جدنا الاكبر، رفاعة رافع الطهطاوي، يسافر الى

البلاد الاوربية المختلفة، كل صيف، ليتأكد من حسن تدريب الطلاب في الاجازة الصيفية وليحضر لتدريبهم في العام القادم.

فدفع الفضول الرجل الكبير ليسأل عن أسم الطفل، فأجابته المضيفة، وأصابته الدهشة.

فالطفل هو، تقريبا، حفيدة، فهو أبن ابن اخت زوجته، فلقد توسم فيه جد الطفل و جدتة خيرا حين تقرر أن يسافر الجد لاجراء عملية خطيرة بالمخ، فتولى رعاية الاطفال ، مع خالتهم ، حين كان والد الطفل مازال فى الثامنة من عمرة .

وهو ايضا من استضاف والد الطفل واخته التوأم اثناء اجازة الصيف، في الاسكندرية، لمدة طويلة، حيث قام بتدريبهم على السباحة، حين كان والد الطفل فى الرابعة عشرة من العمر.

فمن هو أفضل من محمود مرسى راشد ليرعى الاطفال؟ رجلا كبيرا مثقفا ولطيفا ولم يرزق بأطفال، استولى على قلوب كل من اقترب منة من الاطفال، ولم يتوقف عن مناغشة الاطفال حتى بعد اصبح كبيرا فى السن، ففى الثمانين من عمرة استمر في اللعب مع الاطفال، وحين كان يصاب بالإرهاق، كان يطلب من والد الاطفال، همسا، بان يشغلهم قليلا حتى يسترد أنفاسه، ولا يستطيع المقاومة، فيعاود الكرة .

صورة وليد ووائل حسام محمد مندور، في زمن البراءة، بعد العودة من المانيا



عندما يحين الحين، وصية من حى

الحمد للة صحتي كويسة وعقلى يزداد نشاطة واضطر الى التدخل لتهدئته ولكن لا احد يدوم ابدا، ولذلك لابد من التحضير للقادم، بعد او قرب، ولذلك لا ارغب أن يقام عزاء عندما ارحل، ولا ارغب فى أن يترحم على احد، ومن سيشعر أنه قد فقد شيئا علية أن يتزاور مع أصدقائه وأحبائه الاحياء قبل ان يرحلوا.

أنا احب الكباب والمحشى والشوربة والايس كريم الفواكه بدون حليب، فمن يرغب فى الترحم علي ، من الافضل أن ياكل اكلة مكن مع احبائة .

ولا مانع من زيارة شتوية للإسكندرية وصيفية لمرسى مطروح على روح الميت، ادامكم الله.

الجمل وسمسوم

وأنا اهم بالدخول الى منزل جدى وادفع الباب الخشبى الكبير بكل قوتي لا فتحة، باب كبير جدا مثلة مثل كل ابواب المنازل الريفية القديمة، اجد سمسوم قادما طائرا باقصى سرعتة و هو يصرخ " افتح الباب افتح الباب افتح الباب “، وخلفة يتأرجح بأقصى سرعتة ايضا الجمل الذكر الكبير الذى يمتلكة جدى ، وهو يحاول اللحاق بة وهو شديد الغضب .

هل تعرفوا ما هو الجمل الغاضب؟ حيوان جميل وذو كرامة ، وعندما يكون ذكرا و جيد التغذية ، يكون هائل الحجم ، وعندما يتحرك تشعر أنة واثق الخطوة والمهابة والثقة ، هكذا كنت أشعر ,انا طفل تجاة هذا البديع الكبير ، الذى كان لة مكان خاص و معزول فى زريبة جدى بستائر على الشبابيك وانا استرق النظر الية و هو جالس ياكل ، ولكن هذا الودود الجميل كان قادرا على البكاء ، فاذا اسأت معاملتة وبكى فمعنى ذلك أنة يحبك و قد غفر لك ، أما أذا سكت ، فاحظر أشد الحذر فهو لاينسى وسينتقم عندما تحين الفرصة . وكان سمسوم يهوى ركوب الجمل ، ويحاول أن يدفعة للجرى باستخدام العصا ، والجمل يطيع ولكنة لايبكى ، الا أن انتهز الفرصة وبدء فى مطاردتة للانتقام ، جمل ذكر كبير يطارد جملا بشريا " لاينتقم " ولكنة رياضيا وقوى البنية ولا يقل ودا عن الجمل الحقيقى ، سوء تفاهم ناشىء من اختلاف الانواع .

وانجح فى فتح الباب في الوقت المناسب، ويدخل سمسوم وندفع الباب سويا لإغلاقه، حتى لا يدخل الغاضب الجميل، ومنذ ذلك الزمان يتوقف سمسوم عن ركوب الجمل ويبتعد عن طريقة، ويزداد احترامي للجمل. وكلما تذكرت أخي الاكبر سمسوم، حسام مندور، اتذكر الجمل واتعجب؟ كيف ياكل الناس الجمال؟ وكيف أن سعر لحمة أقل من سعر البقر أو الجاموس، فانا لا أستطيع حتى أن تذوقه.

عاشت البشر الجمال، حتى ولو انتقمت لكرامتها.



أبراهيم السني، الذي يطفو ولا يعوم

غريب وعجيب! كيف يطفو ولا يعوم وهو كامل الاعضاء؟ وهو نفس التصور الذى يتبناة بعض مفكرى الادارة الامريكية عن مصر، يجب أن تستمر في الطفو ولا يجب أن تعوم، ولكن هل هذا ممكن؟ قد يكون صحيحا فى حالة أبراهيم السنى لانة يرفض أن يحرك أعضاءه كي يعوم، ولكن اذا طفت مصر فمن المؤكد انها ستعوم ، حتى ولو اكتفت بالطفو لفترة من الزمن .

لكن من هو أبراهيم الطافي؟ سائق ابى الاخير وصديقي، فأبى لم يكن يستطيع القيادة لضعف بصرة ولذلك كان مضطرا لاستخدام سائق وكان أخرهم أبراهيم السني، ولم يكن سنيا! بل اطلق ذقنة لاخفاء فقدانة لأسنانه، أما غير ذلك فهو " مزاجنجى " من الطراز الاول، مزاج كامل لكل أنواع المزاج، ومتعدد المواهب، ميكانيكي من الطراز الاول، وسائق ماهر، خفيف الظل ومرح، موهوب في الطبخ، ويتحدث الفرنسية بطلاقة. بعد فترة قصيرة من عملة مع أبى تطوع بذكر أنة يعمل مع الاجهزة فى مقابل مبلغ مالى لتقديم تقارير عن ابى، ولم يعترض ابى بل اكتفى بالتعليق بقولة " ومالة، المهم أن تخبرهم بما تراة بدون زيادات واهو رزق ".

هو من علمني اصول قيادة السيارات وكيف تطبخ " سد الحنك " سريعا وبكفاءة ، وكانت أول طائرة ورقية نصنعها معا كارثة فنية ، تطير مترين و "تنهبد " على الارض ، الى أن اوضح لنا صالح باشا حرب ، على شاطىء رأس البر، كيف نصنع طائرة تطير ، وبرغم أنة لم يحاول أن يجعلنى مزاجنجى ، الاأن تشجيعة على التعامل مع الجنس الاخر لم ياتى بنتيجة لأنني قفل ورومانتيكي.

كان يتعمد أن يتحدث مع ابى بالفرنسية إذا كان لدية ضيوف اجانب ويسعد بالذهاب الى كفر مندور، حيث يجد المزاج الكامل

أنتقل بعد وفاة ابى ليعمل فى شركة مقاولات كبرى، سائقا لسيارة نقل ثقيلة كانت تنقل اجزاء قواعد الصواريخ الخرسانية السابقة الصب، لتركيبها في الجبهة قبل حرب 73 تحت قذف الطيران الإسرائيلي الدائم، حيث رأى الويل وبرغم ذلك احتفظ بروحة المرحة

رحمة الله على صديقي أبراهيم السني الطافي والذي لم يكن سنيا!

أهانه ..... الكباش

كان الفراعنة يبحثون عن تفسيرات للحياة وما بعد الحياة، ولذلك تزاوجت التفسيرات ما بين خبراتهم الحياتية وبين التفكير الفلسفي المجرد، وكان المعتقد الشعبي هو خلطة ما بين الاثنين، معتقدا شعريا بديعا ملىء بالشوق الى العدل والرحمة والود ومقاومة الفناء، اوليس هذا هو الحلم الدائم للبشرية حتى الان، وأن كان يسمى الان باسماء مختلفة

. فظهر لديهم حورس الذى اقام العدل ، وباستيت حامية الدار وربة المرح ، وسخمت حامية الديار ، وخنوم الالهة الخالق ، رب الخصوبة ، الذى يخلق الاطفال و يضعهم فى ارحام امهاتهم ، ويخلق الفخار ، ويحمى منابع النيل الذى ياتى بطمى الفخار

.
فلاتهينوا خنوم بتشبيهة البشر الفاشلون بة ، ولا تستثيروا غضبة لانة ليس وحيدا ، فلة عشيرة كبيرة من الالهة ، وبعضهم مخيف ومرعب اذا اقتضت الضرورة ذلك

. عاش خنوم خالق البشر!



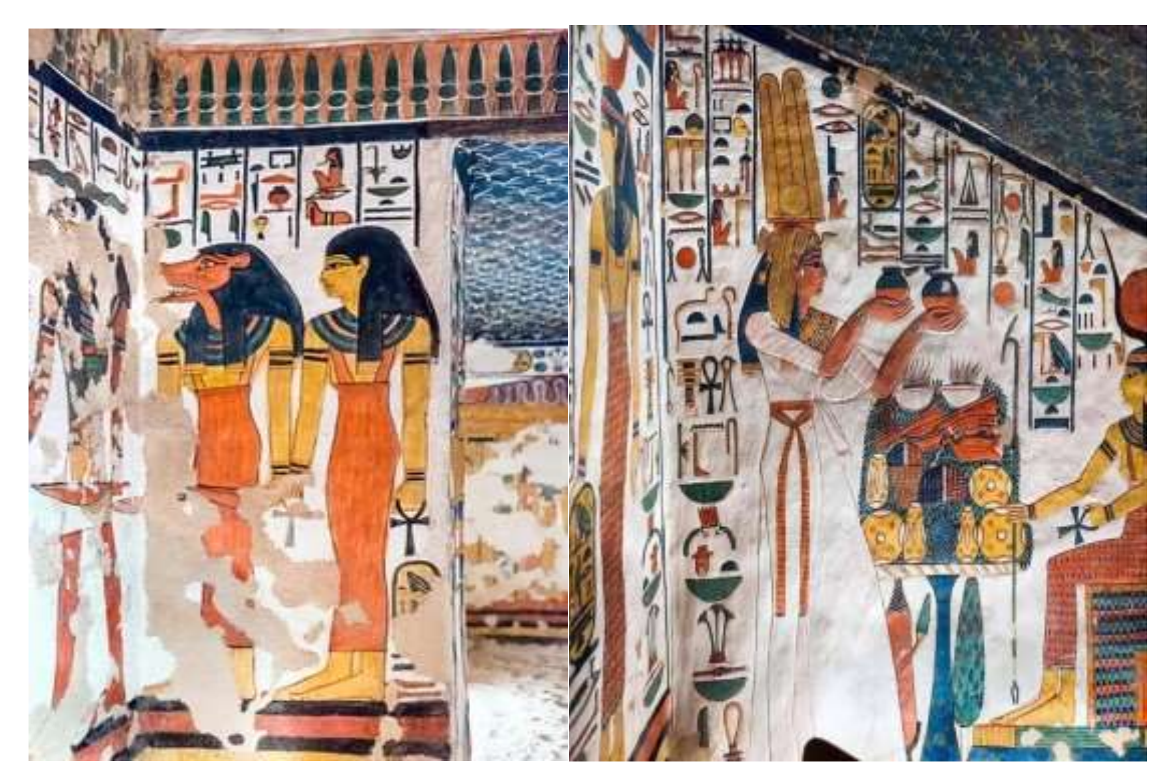
جميلة الجميلات

الملكة الكبرى " نفرتارى "

زوجة الفرعون الكبير " الخلبوص " رمسيس الثانى من لاسرة التاسعة عشر ، امتداد امبراطورية الاسرة الثامنة عشرة المقاتلة

المقبرة فى وأدى الملكات بالاقصر







إلى مالوش كبير "يشتريله " كبير

مثل شعبي عميق وحكيم، فما اسعدك أن يكون لك كبيرا، وإذا كنت محظوظا ومدركا للفرص المتاحة في أن تجد لك كبيرا فمن الممكن أن يكون لك أكثر من كبير.

أن ايجاد كبيرك أو كبرائك ليس صعبا أو مستحيلا، ولكنك يجب أن تدرك أنك تحتاج الى كبير، وأن تكون متواضعا كى تدرك هذا الاحتياج الإنساني الذي لا ينتقص من قدرك، بل على العكس يعلى منها.

لقد كنت محظوظا انى أدركت مبكرا احتياجي للكبراء فأصبح لي الكثير منهم، بعضهم اعرفهم معرفة شخصية، سواء فى النطاق العائلي ام في الحياة العامة، والبعض الاخر لم اقابلهم مرة واحدة، وكل هؤلاء الكبار اثروا فى حياتي تأثيرا كبيرا واشعر بعظيم الامتنان لهم.

ولذلك احرص على أن اقدمهم الى الراي العام كي امكن من يريد أن يجد له كبيرا، وبرغم اتساع نظرتي الى الحياة وتطور ملكاتي النقدية وتدعيم استقلالي الفكري القديم و الموروث بحيث استطيع أن أتخذ موقفا نقديا من هؤلاء الكبار، سواء من افكارهم أو حتى سلوكهم الشخصي، الا أنى مازلت اعتبرهم كبرائي، فلا أحد يأتيه الوحى من السماء، فلقد توقف وحى السماء منذ الف واربعمائة عام، اليس كذلك؟

عاش الكبار حتى ولو كانوا في جبل الاولمب او في مملكة اوزوريس

عندما يختفي زمانك

وهل فعلا يختفي زمانك؟ سؤال عويص لأنه بدء بالتساؤل الخطأ، فهل أنت ابن هذا الزمان اولا؟

لا اعتقد انى أبن هذا الزمان، فقد اكون اتيت متأخرا أو مبكرا ولكنني مختلف عن هذا الزمان بقيمة وأخلاقه وبسلوك البشر، ودائما ما كان يفاجئني التصريح " لم أكن اعرفك "، تصريح كان اول تعرفي علية حين أخبرتني أمي، بعد سنوات قليلة من وفاة ابى ، بانها لم تكن تعرفني ، واستمر ذلك الى الان ، تصريح ليس قاصرا على اهل بيتي وعائلتي بل وعلى اصدقاء وزملاء خط النار ، فهل افسدني التعرف مبكرا على الادب ؟ وهل استطعت أن اجد الاجابة عند عبيط ديسديوفسكى ؟.

ومن المؤكد انى شبيهة لعبيط ديسديوفسكى، في بعض الجوانب، ولكنني قوى الشكيمة وشجاع ومبادر وطويل البال الى حد الملل، ولا ادعى ما ليس في، ولا اتواضع التواضع الكاذب الذي يثير الغثيان، فانا لست متواضعا ولكنني لست مغرورا، ولا اشعر بانني افضل من احد ولا اقل من احد.

ومنذ أن كنت طفلا كانت نادية لطفي تجذبني أكثر من بنات جيلها برغم أن سعاد حسنى كانت صاحبة الشعبية الاولى، ولكن ليس لدى، فنادية هي الاقرب الى نفسيا، وهو ما اثبته الزمان لاحقا في سلوكها في الحياة العامة، فنادية لطفى من زمنى الذى لم يأتي بعد أو اتى وانقضى ولم أكن به، وبرحيلها فقدت جزءا من زمنى الحقيقي، واثار هذا الرحيل الكثير من الالام النفسية الممضة الدائمة التي احاول أن اتحكم بها.

وداعا ايتها السيدة القادمة من الزمن القادم، الى أن يأتي هذا الزمان.



فزدق الندل!

اصلة بيأكل وينسى! طبيعي وهل تنتظر شيئا مختلفا؟ ذو طبيعة متفردة حين يخرج لمقابلة " الجو" عند الجيران عبر الشارع، ثم يعود متهاديا الى باب الشقة و يصدر صياحا لأنه لا يستطيع الوصول الى الجرس فيفتح له، ويدخل بثقة وكانه لم يفعل شيئا، شديد الذكاء الى مستوى أنه يعرف أين يخرج فضلاته، بدون تدريب، فالفضلات السائلة يذهب الى الحمام ويعتلى الكابينة حتى يأتيه الفرج، والثقيل بجانب القاعدة.

وفى الشتاء ينتظر الى أن يدخل طارق السرير ويذهب الية، ماو ماو، فيرفع طارق الغطاء ويدخل بسلامته في الحضن الدافئ، وفى الصباح تجد المحروس نائما على الجزء الاعلى من ظهر طارق الدافئ.

وبرغم العلاقة الخاصة الا انه اثبت أصالته، فهو اصيل ماصل، يأكل وينكر ولأيمكن إجباره على شيء، الا إذا قرر أن يرضيك ويفعل ما تعتقد أنه طلبك وهو في الحقيقة رغبته وأرادته، يحضر اليك كي تدلك له فروتة، وعندما يكتفى يتركك غير عابئ ويتحرك متهاديا ويقطع حبل الود، اما اسفة الإساف فهي حين أكل البلوبيف الخاص بشريكة في المنام، نذل كامل هذا المشمش!

فلقد طبقت القواعد الملكية العبد عزيزية، اللي يقسم لا يختار، هكذا قسم ماجد علبة البلوبيف، واختار خالد وطارق، وبدء الاستعداد للأكل، وللأسف لم يتنبه أحد لنصيب السيد فزدق، فقرر أن يصعد الى سطح المائدة بحثا عن نصيبة.

وعندما ادرك ماجد وخالد الخطر الداهم الذى يشكله الندل الصاعد، قررا أن يشغلا طارق بالحديث، لعل وعسى أن يتجه الية الندل، وانهمك الجميع بالحديث مع الضحك المكتوم، واقترب الندل من بلوبيف طارق وبدء في التهامه، وتصاعد ضحك الاخويين الملاعين، وصاح طارق متعجبا " بتدحكو على اية "، ويتزايد الضحك، ويدرك طارق اخيرا المصيبة التي حلت به ، فيهجم على الندل الذى يهرب ، مع الغنيمة الى كورنر سرير عريض وخلفة طارق زاحفا ، ولكن بعد فوات الاوان.

ويعود طارق غاضبا من الاخويين وليس من الندل، فهكذا خلق ندلا، وعند النوم يعود طالبا الدفء وكأنه لم يفعل شيئا!

فاحذروا الأنذال واطلبوا الدفء عند اهل المروءة والكرم والانسانية.

هذا الرجل العظيم ومثالة

اقيم فرح أخي الاكبر في نادى الزمالك، حيث كان هو وزوجته لاعبين بالفريق الاول للكرة الطائرة، وحضرت الفرح في زمن انتقالي من الطفولة الى الشباب المبكر، ولا ازال اتذكر الانطباع الذى خرجت به عندما حضر رئيس النادي، الكابتن والمهندس محمد حسن حلمى لتهنئة العروسين وأهلهم، انطباع غامر بحضور رجل عظيم محاط بهالة كبيرة من حب وتقدير الناس، ولعل من اللازم التنبيه أنى أهلاوى.

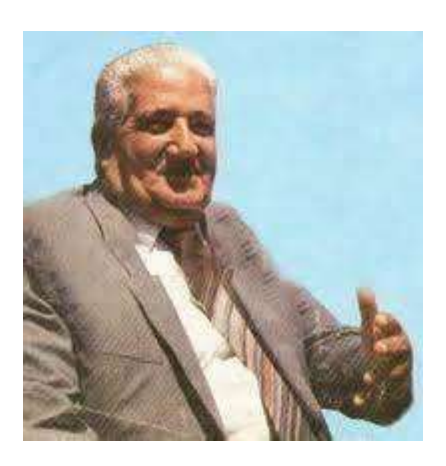
هذا الرجل العظيم الذي قرر الحضور للنادي الأهلي لتهنئة مجلس صالح سليم بانتخابه للمرة الاولى، الامر الذي استجاب له صالح ومجلسه بقرارهم بالانتقال الى نادى الزمالك لتلقى التهنئة، فحسن حلمى يذهب الية ولا يجب أن يذهب لاحد.

وهو نفس رئيس النادي الذى استدعى احد اللاعبين الموهوبين، عندما كان مازال لاعبا في الثامنة عشرة من عمرة، ولعبت الشهرة بعقلة، فاعتدى على اللاعبين المنافسين، فأوقفه الاتحاد ثلاثة مباريات، فذهب للكابتن حلمى متوقعا أنه سيلقى الدعم في مواجهة الاتحاد، فسألة الكابتن عن عدد مباريات الايقاف، فأجابه 3 مباريات، فأجابه الكابتن و 12 مباراة من عندي ، وعلق اللاعب بأن هذا العقاب قد اصلح من حالة وقادة الى أن اصبح من كبار اللاعبين (حديث تليفزيوني).

أيها السادة من مشجعي كرة القدم، يجب أن نطالب أدارات الاندية التي نشجعها أن تحذو حذو حسن حلمى وصالح سليم الذي اوقف فريقا كاملا ولعب بالأشبال.

لا تحفيل أو انحياز، بل عقوبات صارمة ليس فقط من الاتحاد، بل من أدارات الاندية كي نوقف هذا القيء الذي يهاجمنا باسم الرياضة وهى منة براء.

"الله يخرب بيت الكمبيوتر ، فانا احس بالكلمات أذا كتبتها بيدي ، أما عندما اكتبها بالكمبيوتر فأحيانا كثيرة اضرب اخماسا بأسداس وخاطئ اخطاء الاطفال ، شكرا للدكتور محمد محى الدين الذى نبهني ، وسأحذو حذوة ، اليس كذلك" !



الورك ..... المحمر

هو بالطبع ليس ورك الفاتنات، بل ورك الفرخة المحمر الذي لا أستطيع أن انسى الحادثة المرتبطة به وهو يخرج من جيب ابى تحت سلالم حمام سباحة الكلية الحربية، ولها قصة.

دخل اخى ، ماجد مندور ، الكلية الحربية حيث كان النظام أن يقضى الفترة الاولى التي اعتقد انها كانت 45 يوما بدون إجازات حتى يتم تخليصه هو وزملائه من " الطراوة المدنية " ، ولكن كان يسمح بزيارة واحدة من الاهل فى منتصف المدة .، فذهبنا جميعا لزيارته ولكن ماذا فعل الدكتور مندور ؟

فلاح اصيل كريم وحنين وطيب القلب وقبل وفوق كل هذا متمردا اصيلا، فهل يخضع للقواعد؟ ومنذ متى خضع لأى قواعد، فاصدر فرمانا بتحضير فرخة محمرة وقام بتقسيمها ووضعها في جيوب البدلة، والحمد لله أن التفتيش الشخصي للزائرين لم يكن موجودا، والا كان من الممكن أن يتعرض للأذى ويصبح الامر مثيرا للضحك، فإسماعيل صدقي لم يستطع الحاق الاذى به، برغم الحبس، ولكن ورك الفرخة كان يمكن له ذلك.

بدأت الزيارة وقام ابى بسحب ماجد الى تحت سلم حمام السباحة حيث لا يوجد أحد وكلفت أنا بالمراقبة لإعطاء الانذار المبكر في حالة حدوث غارة.

والتهم ماجد الاوراك سريعا بدون مشاكل وعدنا سالمين غانمين.

عاشت اخلاق اولاد البلد المتمردين، تحت وفوق أي سلالم!





العطر القديم، زينب محمد مراد

سيزا نبراوي

الاطفال يشعرون بما خلف الاكمة، من نبرة الصوت وحدته وطريقة التعبير، هكذا انتقل الى احساس ابى وامئ بهذه السيدة العظيمة، ود عميق ومحبة واحترام بلا تكلف، رئيسة الاتحاد النسائي الديمقراطي الدولي والمدافعة الاصيلة عن الاستقلال والتقدم وفقراء هذه الامة.

لقد انتقل الى هذا الشعور الاسرى فوقعت في غرامها، طفلا صغيرا ينظر الى هذا الملاك المتحرك على ارجلة، وكم كنت سعيدا عندما افلتت من حملة الاعتقال سنة 1959 والذي أفلت منة ابى كذلك، ويبدو أن بعض العقلاء قد تدخلوا لدى هذه السلطة الوطنية الغشوم والمعادية للديمقراطية، فتم انقاذها.

وسمعت اسمها من أذاعه بغداد القاسمية مع اسم ابى باعتبارها من ضمن المعتقلين وانا جالس بجواره في المنزل، أما أن الاوان أن تحتفى بها بما يتناسب مع قامتها وقيمتها.





عمتي اللي لابسة وش

ماذا عليك أن تفعل ايها الشاب الصغير بعد أن توفى أبيك؟ ما هو واجبك وأنت لا تذهب كثيرا الى قريتكم؟ اليس عليك على الاقل أن تذهب لزيارة عماتك.

عمتك خيرية المليئة بالحيوية والتفتح ومتابعة احوال الدنيا والتي تستقبلك بترحاب معلن وكبير ولا تجد أي كلفة في استقبالها، ام عمتك "نبيهة " الرائعة الجمال صاحبة الهدوء العميق والتي كنت تتأملها وأنت طفل كلما رايتها مصعوقا بجمالها، ولكن عليك ايها العرمر ان تزور كذلك عمتك "مهمة" ، فلا يصح الا تزورها برغم أنك لا تعرفها جيدا، برغم زياراتك لها بصحبة ابيك الاكبر منها سنا ، فلقد كانت ترتدى ثوب الجدية الغير جذاب للأطفال فى حضور اخيها الاكبر ، ولكن الواجب واجب ، اليس كذلك ؟

ويذهب الشاب الصغير ويكمل جولته منتهيا بعمته الاصغر " مهمة " لتصيبه المفاجأة الكاملة، فقد خلعت عمته وش الجدية فهي لا تحتاجها في وجودة، حيوية كاملة وعقل ذكي لماح وخفة دم ليس لها مثيل وترحيب قلبي ودود، ولا يتوقف صاحبنا عن الضحك، وتنهار كل الحواجز ويقع في غرامها.

رحم الله عماتي ونصيحة من القلب للكبار، تباسطوا مع الاطفال واكشفوا عما في قلوبكم وستنالون مكافئة ليس لها مثيل " حب الاطفال."

من أنا

من عائلة من الشرقية من قرية كفر الدير لان بها ديرا وكانت غالبية سكانها من المسيحيين الذين كانت علاقاتنا بهم اكثر من ممتازة، واحيانا تسمى عرفيا كفر مندور، من عائلة يعتقد أن اصلها من قنا ، جدى الاكبر توفى عام 1907 وترك لذريته 400 فدانا قسمت بين أبناءه العشرة والبنتين وفق قواعد خاصة ، لي عشرة من الجدود وجدتين ، لم يتزوج معظمهم الا زوجة واحدة (8 من 10) ، لم أعي منهم الا اثنين ، جدى المباشر الحاج عبد الحميد وجدى الحاج أحمد وقد يكون بعضهم مازال حيا عند مولدي الا انى لا اتذكرهم.

عائلة يغلب عليها الذكور، فلى 38 عما و28 عمة والكثير منهم متزوج من بعضهم البعض فكلهم ابناء عم.

ابى من الجيل الثاني وانا من الجيل الثالث ووصل عدد اجيالنا الى الجيل السادس، وانتمائك الى جيل معين لا يعنى أنك أكبر سنا من الجيل اللاحق نتيجة فروق الاعمار التي تراكمت.

عائلة أدركت مبكرا اهمية التعليم فأرسلت ابنائها الية، فأصبح لدينا حملة الدكتوراة واساتذة الجامعات والاطباء والمهندسين والمحامين ولواءات الشرطة والقوات المسلحة ووكلاء الوزارات واعضاء مجلس النواب واديب واحد.

تشتهر بقوة الشكيمة نتيجة لصراع النفوذ والمصالح المحلية المتشابكة مع بعض العائلات الكبيرة الاخرى بمنطقتنا والتي بدأت منذ زمان بعيد بحيث اصبحت حكايات الصراع تقترب من الفلكلور الشعبي، ولكن في عرف بعض الاخرين تشتهر الاسرة بالافتراء، ولكن كل هذا قد انتهى منذ زمان بعيد نتيجة الهجرة الى المدن.

تربطنا علاقات عائلية وطيدة مع عائلة مشهور الكبيرة بالشرقية، علاقات بدأت منذ زمان بعيد ومازالت مستمرة بحيث كدنا أن نصبح عائلة واحدة.

تحتكر اسرتنا منصب العمدة منذ زمان بعيد وحتى الان ولها نفوذ محلى على مستوى مركزنا، منيا القمح، والعاصمة الزقازيق.

سميت شوارع بمنيا القمح والزقازيق والقاهرة (مدينة نصر) ومدينة الشروق باسم أحد ابنائها، الدكتور محمد مندور.

مازال لدينا دوارين بالقرية، واحد بالقرية نفسها والاخر بعزبة مندور، وهى عزبة ملحقة بالقرية، وتم تطوير احدهما وجارى تطوير الاخر، والدوار هو منزل كبير مخصص للمناسبات والاستقبال ولا يقيم به احد.

فاحذروا قوة الشكيمة!

الجد الكبير: موسي مندور (سرارى السرياقوسي- ورده دحروج)

الترتيب	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
الجيل الاول	سيداحمد (سرارى)	بيومى (سرارى)	محمد (ورده)	موسى (ورده)	عبداللطيف (ورده)	مندور (ورده)	احمد (ورده)	عبد الحميد (ورده)	على (ورده)	عبدالهادى (ورده)
الزوجات	مباركه عامر محمد	عيوشه عطيه	فاطمه عمر	فاطمه عطيه	فاطمه غنيمى شديد	نفيسه القرموطي	شلبيه الشقلية	زهرة عبد الدايم ابو عمر	خط ـه عماره +السيده مصطفى + يمنيه ابو عوف	ام كلثوم مكى + شفيقه جاد دحروج
الجيل الثاني	محمد عبدالقادر عبدالدايم عبد المنعم عبدالحليم عبدالمطلع فتحيه يسريه	مختار احمد حامد عبدالغفار فاطمه مسعده	منصور	عباس حورية فريدة عائشه	السيد عبداللطيف مهدى محمد عبد الحميد ابراهيم فوزى فايزة	عبدالستار على احمد تحيه نعمات عطايا عزيزه فاطمه منو ه	موسى السيد عبدالعال احمد يحيى سعد زكيه امينه وردة توحيده نهلو نعميه	مندور محمد محمود مصطفى ممدوح مهجة حورية نبيهة الفت وردة	عبدالعزيز (خط ـه) مسعده(السيده) نبيه(يمنيه)	موسى زكريا عباس حامد فاطمه زينب محمد

السيدة (ورده) (زوجة جاب الله)

زينب جاب الله (زوجة مهدى عبداللطيف مندور)
نجيبه جاب الله (زوجة سعد الدين احمد مندور)
نظو ه جاب الله (زوجة مهدى عبداللطيف مندور)
نفيسه جاب الله (ابنتها زينب عبد الهادى موسى وزوجها كمال حسن جياالله . راجع)
نبيهة جاب الله .ابنائها احمد و محمد و منصور محمد احمد عماره
حسن جاب الله (زوج نعيمه احمد موسى مندور)
(زوج وردة احمد موسى مندور)

مباركه (سرارى) (زوجة جاب الله)

محمد جاب الله (راجع مسعده بيومى موسى منور)
وردة جاب الله (ابنها فتحى عبد العليم عماره)
سليم جاب الله (ابناءة زكيه وفاطمه وابراهيم وعبد الحميد)
ام محمد جاب الله (راجع عبد المطلع السيد احمد موسى مندور)

الصب تفضحه ....الحضنة

شافين الست الجميلة المقطقطة التى تجلس الى جانبي في الدوار في الكفر، ابنة أخي الشهيد عميد اركان حرب ماجد مندور الذى استشهد وهى طفلة صغيرة، ولا يخدعكم الفطقطة فهي صغيرة السن لان ابنها ماجد عمرو تخرج من الجامعة مهندسا، بارك الله فيه، ولم أتنبه للصب في الصورة الا عندما توقفت أمامها بالأمس ولم تفارق خيالي واعادت الكثير من الذكريات القديمة.

والله لو سمح الزمان سأحتضن أبناء أخوتى أجمعين ولن افلتهم الى أن يقضى الزمان أمرا كان مفعولا.



يعنى كان لازم نكبر



معاليك جنابك سعادتك - فرمان سلطاني

نحن معالى خالد باشا مندور قررنا ألا نستجيب لأى تعليق أو مناقشة الا أذا أبدى المعلق أو الصديق كامل الاحترام باستخدام العبارات الملائمة، فنحن مواطن كامل الرجولة وخدمنا الوطن نحن وعائلتنا الكريمة بما يليق ولم نتردد لحظة في ذلك مهما كانت العواقب، وحيث أن الانصاص اصبحوا يتمتعون بالألقاب الكبيرة، وحيث اننا لانقبل الضيم مهما كان مصدرة، لذلك اصدرنا هذا الفرمان وعلى المتضرر اللجوء للقضاء، اذا كان لدية الجراءة على ذلك ، مهتدين في ذلك بجناب سعادة معالى أحمد بك شوقي في مديحة لابن فاطمة.

دامَت مَعاليكَ فينا يا اِبنَ فاطِمَةٍ

وَدامَ مِنكُم لِأُفقِ البَيتِ نِبراسُ

قُل للخديوي إِذا وافَيتَ سُدَّتَهُ

تَمشي إِلَيهِ وَيَمشي خَلفَكَ الناسُ

حَجُّ الأَميرِ لَهُ الدُنيا قَدِ اِبتَهَجَت

وَالعَودُ وَالعيدُ أَفراحٌ وَأَعراسُ

فَلتَحيَ مِلَّتُنا فَلتَحيَ أُمَّتُنا

فَليَحيى سُلطانُنا فَليَحيى عَبّاسُ

اوعى حد يصدق! كلها تخاريف سعادة معالى جناب خالد باشا مندور متأثرا بجناب سعادة معالى الحبسة الكور ونية المهببة فالسلوك دخلت في بعضها، يعنى باختصار سعادة جناب معالى الباشا عامل قفلة ولسع، ادامكم



الكلب الشرس والحمام!

هل تعرفون ترجمة كلمة الكلب الشرس بالتتارية؟

قطز هي الترجمة، أي أن السلطان المملوكي الذي هزم التتار في عين جالوت هو الكلب الشرس الذى انقذ مصر من اعصار مدمر، ولكن ما علاقته بالحمام؟!

بالقطع هو ليس حمام شجرة الدر بالقباقيب أم بدونها، وهو ليس حمام كليوباترا، ولكنة حمام منزل محمد مندور!!

لقد توقف استخدام حمام منزل محمد مندور لان طفلا صغيرا كان يحتله وهو يبكي بحرقة ويرفض أن يخرج منة، لان قطز مات!!

لقد قراء الطفل قصة وإسلاماه لعلى أحمد بأكثير وشدته القصة كثيرا الى أن انتهت الى فاجعة قتل قطز وهو عائدا منتصرا من عين جالوت، حادثة قتل تمثل جزءا من الصراع الدائر حول خلافة الدولة الايوبية، فلقد قتل توران شاة أبن الملك الصالح أيوب ثم زعيمي المماليك، أقطاي وآيبك، ثم شجرة الدر وانتهت الفتنة بقتل قطز وتولى الملك المعظم الظاهر بيبرس السلطنة، فتنة تعبر عن ثقافة هذا العصر وأساليبه.

المهم، لم يخرج الطفل من الحمام الا بعد أن هدء قليلا وبعد محاولات ومحاولات تهدئة من والدته، فخرج باكيا، وذهبت مثلا!

قطز مات.



أنا وجفروش المندورى

يلح على جفروش الحاحا شديدا منذ عدة أيام، جفروش الخيال والادب كما هو في البؤساء، وجفروش كما قدمة محمد مندور في كتابة البديع نماذج بشرية فأعاد خلقة من جديد، ولكن الاكثر الحاحا هو جفروش الذى رأيته وتمتعت بحبة و " دلعة " وراقبته وتسللت لكى أجلس صامتا وهو يملى مقالاته، وانتظرت في " البلكونة " كي اتلقى الجرائد لأعيد قراءة المقال قبل أن يتنبه ويطلبها ، ويلح على سؤال هل هو فعلا جفروش ، وهل هذا الجفروش اثر على بحيث لصبحت أنا ايضا جفروش ؟

سؤال عويص، ولكن من هي هذه الروح الحرة التي اجتمعت فيها قوة الثورة على الظلم الى جوار روح المرح والسخرية من الام الحياة التي تخرج عن صفاء في النفس وحرارة في القلب وامعان في الحياة،

جفروش الذي يفكر كرجل ويحس كامرأة ويتصرف كطفل، جفروش الذى لا يمكن إخضاعه للأحكام الوضعية للبشر.

ولعل الصفة الوحيدة الجفروشية التي لم يعيد طرحها محمد مندور في جفروشة في نماذج بشرية هي صفة التمرد، صفة اصيلة غير مفتعلة او منفصلة عن الجفروشية.

وبرغم حيرتي الاولية في اختياره لجفروش من البؤساء وليس جان فالجان مثلا، اختيار يبدا به كتابة البديع، اختيار لم يكن صدفة، بل هو انجذاب جفروش لجفروش.

نعم ايها السادة فجفروشنا الناقد الكبير يتشابه فى جوانب عديدة مع جفروش فيكتور هوجو في البؤساء، وقد أثر على تأثيرا كبيرا بحيث اصبحت أطمع أن أكون جفروشا أخرا.

اشتاق الى جفروشى.

صورة جفروش في باريس.



خمسة وخميسة

أبناء الدكتور محمد مندور- حسام وليلى وماجد وخالد وطارق

الدكتور حسام مندور - الشهم والجدع والكريم و اللورد ، أستاذ الاقتصاد بالمعهد القومى للتخطيط وعضو الفريق القومى للكرة الطائرة ويلعب التجديف والعاب القوى.

ليلى مندور - كبيرة المذيعات بالبرنامج الثانى وهاوية الموسيقى الكلاسيك وبطلة الجمهورية فى التجديف و تهوى المسمط وأمى الثانية وطيبة القلب وتساعد الاخريين.

عميد أركان حرب ماجد مندور الذى خلق ليكون ضابطا ، الاول على دفعته فى كلية الاركان والحائز على النجمة العسكرية ونوط الشجاعة والترقية الاستثنائية وصاحب الخيال المبدع وطيبة القلب ، والحماية المباشرة لاخوته الاصغر منه ، استشهد مع المشير بدوى ، ويلعب الفولى بالنادى الاهلى.

خالد مندور - مهندس الطيران ومن أوائل دفعتة ويلعب التجديف وبطل جامعة القاهرة فيها ويلعب كرة القدم والاسكواش ، الطامح لان يقتفى أثر والده ، أكثرهم تمردا وشديد الدقة ومدمن قراءة.

طارق مندور - طبيب الاسنان الذى لاينساة مرضاه بعد مرور السنين والذى قرر أن ياتى وحده الى هذه الدنيا خارج خطة أبويه ، حنين وزكى وجدع وطيب ويفهم الاخريين ، قام بجهد تاريخى لتجميع كتابات أبيه ودخل معه التاريخ ، بطل الجمهورية للمدارس فى الفولى ويلعب التجديف وممثل موهوب وشاعر غنائى وسيناريست.



الأحمر والأسود أم الاحمر والازرق

" على حسب تقديرك" طبقا لمسرحية بيراندللو والتي من الممكن التمتع بقراءتها أو سماعها من تسجيلات البرنامج الثاني.

فإما أن تختار الاحمر والاسود وتتمتع بقراءة قصة ستندال الشهيرة التي تحمل نفس الاسم أو تختار الاحمر والازرق فتقرأ ذكريات مندورية لا تخلو من الطرافة.

طفلان صغيران العمر بينهما فارق سنة واحدة وبضعة شهور، شريكان في كل شيء، حتى في تصبين أرضية الحمام و " الزحلقة " على المؤخرة من حائط الى حائط، أو الزحلقة على حافة طشت الغسيل الكبير ، بعد تصبينة ايضا ، على المؤخرة المسكينة.

لهما نفس الحجم تقريبا وبرغم اشتراكهما فى الطيبة وحسن الخلق الا انهما مختلفان في الطباع اختلافا كبيرا، فالأكبر شديد الدقة والاستقلالية بحيث يعطيك احساسا أنه أكبر من سنة وهو سريع جدا في القراءة الى حد مذهل، والثاني هلهلى ويتمتع بذكاء نادر ويجيد التحايلات الصغيرة، ببراءة تامة، برغم صراخ أخته الكبيرة ، الذى لا يصدقه أحد ، حين تصرح انه "بيستعبط. "

ولان القواعد لابد لها من أن تطبق أذا جاء شيء جديد للطفلين لانهما بحجم واحد، فالقرعة تحدد من يختار اولا، قرعة كان الأكبر يكسبها دائما ماعدا مرة وحيدة كسبها الاصغر فاكتفى بمتعة الكسب وتنازل عن حقة في الاختيار، وبرغم اقترابهما في العمر إلا ان الأكبر كان يشعر دائما أن الاصغر مسؤوليته الدائمة برغم عدم الاحتياج لمثل هذا الاهتمام الخاص، فالأصغر هو الأكثر خبرة بالحياة لأنه "لعبى " منذ الصغر.

وقبل بدء مباره الكرة في الشارع، عندما كان مازال ملائما للعب الاطفال، خلع كلا منهما "بلوفره "، الاحمر العائد للكبير والازرق للصغير وعلقوا على سور حديقة أحد المنازل، ودارت مباراة حامية، وعند نهايتها وجد البلوفر الاحمر فقط واختفى الأزرق.

ويرد الاصغر على تعليق أمة " هو أنت كل مرة تضيع الحاجة" ، محتجا، "ما هو كانوا جنب بعض " ومنذ ذلك الزمان البعيد مازالوا جنب بعض، ليس الاحمر والازرق، ولكن الكبير والصغير!





عندما يهتز القلب ـ قصة قصيرة

يدى تهتز بشدة اهتزازات خفيفة ولكن مستمرة ولا تتوقف، نفس اليد المرتبطة بوثائق من الود القلبي مع زميلي وصديقي، وان كان هذا الوثاق قد صنع من مادة أخرى تبدو للناظرين كأنها قيدا لمنع الحركة، واتعجب لماذا تهتز يدى بهذا الشكل فانظر إليها واكتشف ان مصدر الاهتزاز ليست فقط اليد الاخرى المرتبطة بحبل الود ولكن كل خلجة فى جسمه تنتفض ولا يستطيع التحكم به.

طالب نابهة شديد التفوق فى سبعينات القرن الماضي يجتذبه حب الوطن ويتعرض لمخاطر جسيمة ، فى ذلك الزمان المضطرب ، ويؤثر ذلك على مستواه الدراسي ، الأمر الذى يصيب والدة بقلق عظيم ، نفس القلق الذي أصاب كل أهالي كل من خرج دفاعا عن الوطن ، وتبدأ الاشتباكات المنزلية بين اب قلق وابن مصمم ، قصة طويلة لم أكن أعرفها ، فحين تعرفت عليه كان يعجبني هو وزميلة الذي كان يحضر معه من المدينة الساحلية ولكن هذا الشعور لم يتطور الى التعرف الإنساني الأعمق الى أن جمعنا معا مكان امين لمدة طويلة ،وتعرفت عليه بشكل أوثق وثبت صحة تقديري له وتحول الإعجاب الى ود عميق لم ينقطع الى زماننا هذا.

ولكن الاهتزاز يستمر ويتقدم هو خطوة إلى الأمام ليعانق اباة الذي فوجئ بوجوده وهو يتقدم بطلب لرؤية ابنه، ويفقد الإدراك بوجود حبل الود الذى يربطنا معا، وينتقل الاهتزاز لكى يشملني ايضا كما لوكان حبل الود حبلا من المشاعر المشتركة، وابدا في تعديل وضع جسمي، وأنا أهتز مثلة، بما يسمح بالعناق الكامل الحار بين الابن والأب .

ولكن بعد هذا اللقاء يبدا الاب في الشعور بقليل من الارتياح، فلقد وجد ابنة مرتبطا بحبل الود مع ابن من كان هو شخصيا مرتبطا بأفكاره في اربعينات القرن الماضي، انه نفس الحلم القديم والمستمر الذي جمع الأجيال المختلفة، ولكن قلب الأب لابد وان يشعر بالقلق.

أه عندما يهتز قلبك فيهتز معك قلوب من تحب ويحبوك، فهل أستطيع أن أنسى عندما اهتز قلبي؟

عندما بكت أمي وطالت رقبتها

شاعرة حساسة تحب الزعيم البسيط والمتواضع مصطفى النحاس، حب قلبي حقيقي، وما زالت تتذكر كيف أن جدتي كانت تقطع الطريق علية وهو يصعد لزيارة أخيه الذي يسكن في الطابق الأعلى حيث تسكن أسرتها فى الطابق الأرضي فقط لكي تقبله، وكيف أنها لم تخرج لتقطع الطريق عليه يوما لمرضها فتوقف الرجل وطرق الباب واصر على رؤيتها وهي راقدة في حجرة نومها.

وبرغم حبها لمصطفى النحاس إلا أنها كانت مع الطليعة الوفدية ، مثلها مثل ابى ، وكما أوضح المفكر العبقري ابراهيم فتحي ان مندور لم يكن وفديا بل كان ممثلا للشعب لدى حزب الوفد ، هذه الطليعة الوفدية التي كان مصطفى النحاس شخصيا يوفر لها الحماية داخل حزب الوفد من بشواته من كبار ملاك الأراضي الذين سيطروا على قيادته ، حيث اخبر ابى " الجماعة زعلانين مما تكتبه ولكن اكتب ميهمكش " ، وظلت الى النهاية تحب مصطفى النحاس برغم أنها كانت أكثر يسارية من اليسار المنظم ، لان الطليعة الوفدية الغير يسارية كانت أكثر يسارية من اليسار نفسه!

وبرغم كل ذلك لم يكن ممكنا لها ألا تنفعل وتؤيد التوجهات الناصرية في العداء للاستعمار ، وبرغم أنها لم تقع في غرام عبد الناصر ، خصوصا لقسوة النظام مع من يؤيده ولكن لا يتطابق مع سياساته ، فلقد أخبرتني انها احست بان رقبتها قد طالت عندما أمم عبد الناصر قناة السويس (طارق مندور يعلق أقسم بكل مقدس "أني رأيتها تطول يوم 26 يوليو 1956") ، والمرة الثانية عندما بكت بحرقة سنة 1968 أثارت استغراب الاجانب عندما كانت فى احتفالية السفارة السوفيتية بمرور خمسون عاما على ثورتهم ودخل عبد الناصر ، الزعيم المهزوم ، لحضور الاحتفال ، فانفجرت باكية.

أرجو أن تظل رقبة أمي طويلة حيث ترقد ولا يعود تمثال أحد رموز الاحتلال إلى مكانه القديم المغتصب.

شهادة طارق مندور

جمال عبد الناصر بخطب في الراديو وبابا قاعد يسمع بتركيز وأمي تتحرك

في الغرفة وتسمع الخطاب وفجأة (يبوظ) الراديو و(يخروش) خروشه طويلة جدا ... ما كانت إلا صوت تصفيق الشعب لقرار التأميم... وأفاجأ أنا الطفل (سبع سنوات إلا ثلاثة أيام) أفاجأ أن أمي ينبع من عينيها نهر من الدموع دون صوت وأبي في حالة من التأمل الصامت أيضا... فلم أعرف ماذا أفعل فانفجرت باكيا، تنبهت أمي لبكائي وعاد صوت عبد الناصر ..فتنبهت أن الراديو لم يفسد وان بكاء أمي لسبب آخر لا أعرفه واضطرت أمي لتهدئتي وحكت لي (الحكاية) ...أتدرون ما هي الحكاية ...حكت لي أمي حكاية الاستعمار وحكاية قناة السويس وانها فرحة لا حزينة رغم استمرارها في البكاء مع الحكي ..وقال أبي كأنه يحدث نفسه ...جدع الواد ده ..عن عبد الناصر يتحدث .. فشكرا لهم.... ومن هذا اليوم عرفت معني الوطن





محمد مندور وملاعيب شيحة التاريخية

"لي أكثر من ثلاثين عاماً أؤذن في مالطة"

وسط خضم المعارك الأدبية والسياسية التي خاضها إلى آخر لحظة فى حياته ، وسط غبار المعارك ، قد يتوهم المقاتل أنه يؤذن فى مالطة ، وعندما ينقشع غبار المعركة يكون قد رحل ولا يرى كيف تطورت نتائج ما قاتل من أجله ، فالمعارك ما زالت مستمرة وما زال يساهم فيها برغم رحيلة ، مازال ابناء نفس الجيش يخوضون معاركهم ضد قوى الظلام مسلحين بكل ما انتجت الجدود والآباء ، انها حرب طروادة تبعث من جديد ، ولكن ليس لعشرة سنوات فقط ، بل منذ عاد الشيخ المعمم من رحلته الباريسية منذ ما يزيد عن مائة و خمسون

عاما ، معارك ضارية يخوضها أبناء الفلاحين من أجل العدل والتقدم والحرية ، وعندما ينتقل أحد المقاتلين لا يغيب عن المساهمة فى المعارك بل يغير موقعة ليس إلا ، هؤلاء المقاتلون الكبار الراحلين الذين يقومون بما قامت به آلهة الإغريق فى دعم المقاتلين.

ان جيش الظلام ينهزم، ولكنه لوسيفر الذي يبعث من جديد في هيئة جديدة، لكنه يتراجع ويفقد مزيدا من الأرض، فلا تنخدعوا بغبار المعارك ولا التراجعات المؤقتة، فتسلحوا بدرع اثينا وقوس أبولو وحكمة زوس.

أه لوكان حيا ليرى كيف ما زال يخوض المعارك بدعمه لمقاتلي جيش النور

صورة محمد مندور بريشة آدم حنين



المانجو والفلاحين و"كلو يا عيال"

كيف تأكل المانجو؟ اية الكلام ده؟ حتى في أكل المانجو عاوز تقول "بقين "، يا اخي ارحمنا!

والله مش "بقين " إنما هوى القلب والشوق الممسك بخناقي، فانا لا استطيع ان ارى المانجو حتى في صورة الدكتور انور نصير وهو يلتهم العويس دون ان أتذكر " كلو يا عيال "، هكذا كان يصيح الدكتور مندور وهو جالس على رأس المائدة يراقب خمسة من الغيلان وهم يلتهمون قفص المانجو الذى احضره ليلا بعد أن ناموا، بعد التهامهم العشاء بالطبع .

صحى العيال هكذا كان يصمم وهو يخبر أمي فتجيب طيب "مهم كلو ونامو استني للصبح " فيصر " صحي العيال " ، فيصحى العيال نصف نائمين وتبدأ المذبحة ، فتتدخل الام وتضطر إلى تقسيم المانجو حتى يعم العدل بين الكبير والصغير ، وما يتبقى من نصيب اى غول يبقى معه كي يتصرف فيه كما يريد.

فلاح اصيل اهتمامه وسعادته في أكل العيال وتزيد سعادته وهو يراقبهم يأكلون، أما الملابس فهي مسؤولية الأم وعليك اقناعها، بعد مجهود، وعليك تقديم الاثباتات والا لن تجد إلا ردا واحدا " أن شاء الله."

أن شاء الله ربنا يرزقني بقفص " عويس " كي اكلة بلبوص في الحمام متبعا نصيحة محمد مندور في كيفية اكل المانجو، فلابد من "اللغمطة " فيها وبعدها تأخذ حماما لإزالة آثار العدوان.

صاحب المقام الرفيع والكنبة الاسطنبولي

بالقطع لم يكن صاحب المقام الرفيع رئيسا للوزراء، بل مقامه أرفع من ذلك، فنحن من عائلة فلاحية متوسطة الحال، ولكن كان لدينا اصحاب المقام الرفيع ومنهم هذا الرجل الودود الحكيم الذي استولى على قلوبنا وتبوء مقامه الرفيع.

وعندما كان يحضر إلى القاهرة لزيارة طبيبة، الدكتور ياسين عبد الغفار، لمتابعة مرض السكرى الذى أصابه متأخرا، كان يحدث انقلابا معنويا واهتماما بالغا من أمي فلقد تبوء مقامه الرفيع في قلبها منذ زمان بعيد برغم انه ليس والدها، بل والد زوجها.

فأين ينام صاحب المقام الرفيع وسط كوم العيال؟ ينام مع ليلى وخالد في غرفتهما حيث توجد الكنبة الاسطنبولي الاحتياطية، ورغم محاولاتهم ان ينام هو على السرير الكبير وينام المفعوص خالد على الكنبة إلا أنه كان يرفض رفضا باتا، فلقد كان صاحب المقام الرفيع حساسا ولا يريد ان يسبب اي ازعاج لأحفاده برغم ان هؤلاء الأحفاد كانوا سيكونون فى منتهى السعادة لو قبل.

لقد أصبح لدى المفعوص خالد رد فعل منعكس شرطي على طريقة بافلوف، فكلما سمح كلمة كنبة اسطنبولي ينتابه الشوق الى صاحب المقام الرفيع وتتداعى الذكريات ويتعاظم الشوق الى باقي البرتيته، اشتاق الى صاحب المقام الرفيع، جدي الحاج عبد الحميد موسى مندور.

عندما بكت أمي

رن جرس الباب وفتحت لأجد رجلا وامرأة يبدو عليهم الوقار والجاذبية وكلاهما في منتصف العمر وطلبا مقابلة أمي، ويبدو انه كان موعدا متفقا علية، وحضرت أمي وهي في حالة اضطراب عميق وجسمها يختلج وعند رؤيتهما انفجرت باكية ولم تتوقف عن البكاء طوال مدة الزيارة.

لقد كانا والدي الشهيد جواد على حسنى، ابنهما الوحيد، الذي كان طالبا جامعيا وتطوع في زمن العدوان الثلاثي واستشهد بعد أداء بطولي، وحضرا خصيصا لمقابلة أمي لشكرها على قصيدتها البديعة المرفقة التي أثرت في تأثيرا كبيرا.

في ذكرى جواد

دخلت يوما والظلام جاثم على البطاح

والبحر مكفهر الوجه قاتم النواح

دخلت قبوا في رحاب البحر مظلم القرار

في قاع وهدة قصية

موحشة الجوار

وفى ظلام القبو شاهدت عيوني

على الجدار أحرفا من وهج

الدم فيها والحياة تختلج

شممت ريحها وكأنه البخور

فى قدس معبد يغص بالنذور

خلعت نعلى وانحنيت فى خشوع

وكدت ألثم الجدار

اغسل الحروف بالدموع

ولكنى أبيت أن يمس قدسها بشر

أو أن يذيب الدمع من جلالها أثر

ركعت والعينان في غلائل الدموع

ومن خلال الدمع لاح لي فتى وديع

في وجهة غضارة الصبي

في عينية الألق

في خطوة الفتى دفعة الحياة تنطلق

في ثغرة لحن كبهجة الصباح

يرسله للحب للأشواق للأفراح

وفجاءة تقلص النغم

النور في الأفاق غاض وأنبهم

البوم صاح

موكب الخراب قد الم

عصابة الغربان في سوادها الأصم

تدافعت على الشطوط الآمنات كالبهم

تريد أن تمزق الحياة والصباح

وتخنق الأنغام والأحلام والأفراح

وفجاءة تقلص النغم

وفارت الدماء فى العروق تنتفض

"بل دون خطوكم لباب جنى بحار

أملاؤها بالدم بالدموع بالنصب!

حبيبتي حبيبتي خباؤها حرم

لا لن تمس أرضها قدم

حبيبتي حبيبتي: عن وجهك الجميل

عن نبعك الصافي، عن مهادك الظليل

أقدم الحياة والشباب والأمل

ففي قرار القلب يا حبيبتي

نار الكفاح والصراع تشتعل"

وفجاءة تقلص النغم

وسافر البطل

لأرض سيناء في بطاحها الفساح

يصد أرجال الجراد يذروها لمغرب الرياح

الرمل كالبحار موجة عتى

يثقل القدم

ويشعل الألم

والهول حوله قذائف الحمم

والنار كالطوفان سيلها عرم

والليل مخضوب الشفاه بالردى والدم

ولكن في قلب الفتى جناح

يعلو بجسمه فوق الثرى مع الرياح

ويستخف بالهلاك والعدم

وفجاءة تقلص النغم

رصاصة في صدره تدرجت بدم

الكف فوق جرحة

والكف فى السلاح لم تنم

لا لم يهن

يريد أن يواصل الجلاد والصراع

حتى يمر في قلب الدجى الشعاع

الجرح ينزو تشرب الرمال

رحيقه الوردي كالعذب الزلال

والضعف يسرى فى الجواد الجامح

وجسمه الريان يذوى كالشهاب النازح

"جواد: بل ستستريح يا جواد بعد الشفاء مقبل"

وعنوة اقله الرفاق

ليمنحوه مرفأ يظل راحته

ولكنة عليم

والجرح في فؤاده مخضب بالدم

أن البغاة في طريقهم إلى الحمى

أن البغاة جمعهم لم ينفصم

حشد جديد لم جمعة، حشد جديد

حشد من الغيلان جهزوا الدمار والقيود

لأرضنا الحسناء ارض بورسعيد

"حبيبتي السمراء لن ياسرها العبيد

ودون ذلها فيالق فيالق تبيد"

لا يا رفاق ما بجسمي حاجة لطبيب

طبي هنا في أن أذود العار عن بيتي الحبيب

لا يا رفاق لن أموت جيفة بلا ثمن

الحشد الأف ولكنى سأعلم الزمن

واعلم الطغاة والبغاة والمحن

أن الحياة اغلى ما تظله الحياة

وأن من يعدو عليها يدفع الثمن"

"هاتوا العتاد يا رفاق أنى أموت

وقبل أن أضل يا رفاق فى غور السكوت

بربكم أريد أن أتم قصتي......

حكايتي تئدوني فى قلبي الصموت"

وحاول الرفاق عنوة أن يحملوه

ولكنة تحدى بالسلاح بالقسم

فاسلموا عتادهم لكفة الجريء

وأسرعوا لبعثوا بنجدة تلم

وخلف ربوة صغيرة من الرمال

تحصن البطل

المدفع الصغير في يديه قال:

با لهفتي اليك يا رفيق

يا أجمل الأحباب يا اغلى صديق

وضمة لصدرة الجريح

كأنه طفل

في المهد يستريح

فلاح في الأفق البعيد جحفل

من البغاة يرصد الطريق

تقدمت جموعهم على المدى

مرصوصة مرصوصة

كأنها الجدار في بنيانه الوثيق

والشبل خلف ربوة الرمال قابع

توترت يداه فوق مضرب الزناد

"لا لن تموت جيفة بلا ثمن

لا لن تمس أرضنا قدم"

وانطلق الزناد

يحصد الجراد

عشرون، بل خمسون بل مائة

والنار فى الفؤاد لم تزل تفور

عشرون بل خمسون بل مائة

والنار فى الفضاء تحصد الطيور

البوم والغربان عشاق الخراب

تساقطوا تساقطوا كحفنة الذباب

وأوهن البطل

لم يبق في عتاده ثم رصاص ينطلق

فلولهم تساءلت " ما اسكت اللغب؟"

لابد انه كمين كي نبيد فى اللهب

يا كم ترى يكون هذا الجيش، الذي أوهن العصب

لاريب انه جيش عتى جاسر لجب

حثالة الأشرار ساروا فى حذر

وارسلوا النيران ـ سترا ـ للكثيب المنفرد

ولكن جيشا فى الكثيب لم يجب

الطفل فوق الرمل والحديد منكفئ

على الزناد كفة وفى الثرى

كف سخية الألاء فى الرمال تختبئ

عشرون عاما يا جواد يا طفلي الحبيب

نثرتها بين الرمال الصفر بين النجود

وجاء غيلان القناة موقودو الحقود

ولملموها .... ثم ساروا للمدى البعيد...

الطفل اغفى...طفلنا الحبيب

الطفل لم يمت في قلبه الوجيب

فى قاع قبو مظلم رموه

وفى الحديد الصلب قيدوه

لم يضمدوا جراحة ..... لم يرحموه

وعندما تنفست في صدره الحياة

وللضياء فتحت عيناه

فى قسوة لربهم قد جرجروه

عسى بعسفهم وبطشهم يبوح

بسر ذلك الجيش المظفر العجيب

ذاك الذي اصلاهمو الدمار والنحيب

يا ويحهم

ويح الوحوش البيض في العصر الجديد!

يا ويحهم

يا ضيعة الأنسان، يا نقض العهود

أبناء " ميرابو" تواصوا بالكنود

الكهرباء ترعد الجسم العنيد

والنار في جراحة

النار والحديد

والجوع والحرمان من قطرة ماء

ليطفئ الظماء في جسمه المكدود

لكنة أبى ...أن يسلم السلاح

الروح لم تزل عتية الكفاح

فعندما للقبو أرجعوه

في جرحة النزى غمس القلم

وسطر الخلود فوق صفحة الجدار

يقص قصة الفداء قصة الألم

نذالة الوحوش روعة الإصرار

الجرح جرحى يا جواد ....في جسمي الألم

الجرح جرحى يا جواد ..... في قلبي النقم

الجرح جرحى يا جواد ......جرح بورسعيد

بل جرح مصر يا جواد ... السهل والصعيد

بل جرح كل من حكى بانة أنسان

تظله الحياة في رحابها الفينان

فى فجر يوم اسود الألوان

سماؤه تلفها الأكفان

قال الطغاة للبطل

أذهب فانت حر

يا ليته يطيق أن يسير!

الجوع والتعذيب لم يترك بجسمه النضير

ثمالة تحمله لأفقة الأثير

فجاء جلف من جنودهم غليظ

وجرة للشط فى خطو وجيز

وفجاءة من خلفة رموه

بطلقة من غدرهم أصموه

وفى رحاب الموج أطلقوه

يا للوحوش البيض في العصر الجديد

يا ضيعة الأنسان يا نقض العهود

خافوا يقص خزيهم على الوجوه

لم يعلموا أن الدماء فى الجدار

تحكى نزالة الأشرار روعة الإصرار

رفعت عيني والدموع لم تزل ستار

إلى الحروف فوق صفحة الجدار

رايتها تخضر كالربيع

أصبح الوهج

عصارة الحياة في الحروف تختلج

وأورقت

وامتدت الجذور في الثرى

عميقة عميقة عتية العروق

في ارض بورسعيد تنهل الدما

وتشرب الدموع من ترابها العريق

وأورقت

وامتدت العروق تبتغى الطريق

من كوة في القبو للمدى الرحيب

تزاحمت تزاحمت

على الشعاع المنبثق

تتوق للضياء للفجر الجديد

وامتدت الغصون للسماء كالدعاء

تمتص نور الفجر تنهل الضياء

تم انثنت تحنو على الثرى الرطيب

ظلالها ممدودة كرحمة السماء

وفى الغصون الخضر بين رعشة الورق

أزاهر محمرة في النور تتألق

جواد يا طفلي الحبيب لم تظل تعيش

تظلل البلاد بالأمان والسلم

وتمنح الوجود بهجة الحياة

بعمرك المطلول في الرمال والمياه

وكلما في الليل مرت موجة

توشوش الرمال والرياح والحصى

سمعت في أنفاسها أنفاسك اللطاف

تقبل الشطوط تلثم الثرى

فجدت بالأحلام بالأفراح بالمني

جواد يا طفلي الحبيب لم تزل تعيش

في خفقة الأمواج في اختلاجة الشجر

في نصرنا في مجدنا النضير

في يومنا العزيز في الغد الكبير

الحكيم الذي اختطف قلبه

طفل صغير في الشهر السادس من عمرة يكتسح قلوب الكبار وعلى راسهم جدة الحكيم الحاج عبد الحميد موسى مندور بسلاح بتار لا يمكن مقاومته، بالابتسامة!!

أه لو عاد الزمان من جديد فمن المؤكد أن الطفل لن يتحرك عن موقعة الوثير وسيستمر في التمتع به ليس فقط فى قلب جده، بل في أحضانه أيضا، فما زال صاحبنا يتذكر ابتسامة جده التي رآها حين ابتسم وهو يسلم على حفيدة للمرة الأخيرة



ثريا يوسف عطا الله

النار الملتهبة، التي لا تتوقف عن الكلام، التي وقعنا جميعا في غرامها وزوجها الهادي قليل الكلام الحكيم لويس جريس ، نارا طيبة ومستقيمة ، يجلسان عدة ساعات يوميا في بلكونة الدكتور محمد مندور في راس البر وسط ترحيب حار من أبنائه الذين وقعوا في غرامهم .

ويمر الزمان وكلما نجحت يزداد فرحهم وكأنهم يشجعون فريقا للكرة، فيفا سناء جميل التي تستدعي رؤيتها حبلا طويلا من الذكريات.





هذا ما وجدنا عليه آباؤنا

هذا التمرد اللعين الذى لا اجد منه مهربا، تمرد يتزايد مع تقدمي بالعمر، كأن قطار العمر يتقدم بالعكس وأن عمرى يتناقص، والمصيبة أنه يتعمق ويتجاوز كل ما تعارف الناس على أنها حدودا، ولكن هذا التمرد، برغم انه تمرد ، إلا أنه يخضع لقواعد صارمة من احترام النتائج العلمية التي توصلت إليها البشرية على الصعيدين ، العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية ، ولكنها تخضع أي استنتاجات أو أراء أو حتى استنتاجات نظرية جديدة يتم التوصل إليها ، باستخدام الاكتشافات التي ثبتت صحتها ، لنظره نقدية للوصول الى موقف منها .

والغريب أن النتائج التي توصلت إليها العلوم الطبيعية ، منذ بدايات التطور الإنساني الحديث ، أي بعد ظهور واستتباب الرأسمالية الحديثة ، كان يتم استخدامها وتحديثها وبيان حدودها ولم تتكرر صيحة جاليليو مرة أخرى " ولكنها تدور " ، برغم استمرار الممانعة للأفكار الجديدة لكنها ممانعة لا تقف على أقدام راسخة من سيادة منهج فكرى سائد بل مضاد للمناهج التجريبية التي أصبحت سائدة ، في نفس الوقت الذي خضعت كل الأفكار الاجتماعية القديمة للفحص والتقييم لكن ، ويا لها من "لكن" ، فان تحرر التفكير الإنساني فى مجال العلوم الطبيعية ، الذي فرضته مصالح القوى الاجتماعية الصاعدة ، لم يمتد الى العلوم الانسانية الا في الحدود الضيقة المتناسبة مع استتباب المصالح الجديدة ، مع استمرار تغيير الأفكار الاجتماعية بما يضمن استدامة وديمومة المصالح الاجتماعية السائدة ، كأن التطور الاجتماعي قد وصل إلى نهاية التاريخ.!

والغريب أن الأفكار الاجتماعية الداعية للتغيير قد اصابها، هي أيضا، أمراضا يمكن تسميتها بأمراض الهزيمة، أمراض التكلس والدجما واستبدال التفكير الجدلي بالتمسك بالنتائج التي توصل إليها الآخرون، في زمانهم ، واصبح الخروج على هذه النتائج قرينا بالكفر وبالخروج على أهل الملة والجماعة.!

والأكثر غرابة أن هذا الغريب المتمرد لا يستطيع أن يلقم نفسه حجرا ويعيش على الذكريات ويسكت!

التكريم

هل تعرفون ما هو أهم أنواع التكريم؟ بالقطع فان التكريم عن طريق الهيئات الرسمية أو الدولية ذات الحيثية هو تكريم رفيع ولكنه ليس أهمها، فهناك تكريم أخر أكثر أهمية بكثير ولكنه يقترب من أن يكون غير مرئي ولا يراه إلا القلة، إذا تنبهوا ، انه تكريم غير معلن بل يظهر فى تفاصيل الحياة الصغيرة ، انه تكريم الحلقة الاجتماعية الصغيرة المحيطة بالمكرم ولعل أهم أعضاء هذه الحلقة الصغيرة هم الأب والأم.

لقد رأيت هذا التكريم بأم عيني منذ الطفولة، وكان يلفت انتباهي بشدة، طفلا صغيرا صامتا وقليل المشاكل يتابع ويتأثر ويتغير ولا يدرك الآخرون كيف يتغير، يراقب أباه البشوش الودود الكريم الذى يساعد الآخرين دون أن يطلبوا، اب كان يهتم اهتماما بالغا بوالديه، وكيف كان يتلقى التكريم الخفي والغير معلن منهم ، لكن الطفل يراقب ويعلم ويسعد ، ويعلم أيضا انه يتلقى معاملة مختلفة ، حيث يحل ، لأنه ابن هذا الرجل.

وللأسف فلم يتمتع الصغير إلا بالقليل من تكريم الأب، الذي توفى مبكرا، لكنة استطاع تعويض هذا التكريم المفقود بتكريم أخر، أنه تكريم الام وهو عظيم أن كنتم تعلمون.

هوى القلب

سؤال عويص كان دائما يحيرني، كيف لك ان تحب احدا ما وهو صغير جدا ولم ينضج بعد بحيث تجد لك أسبابا منطقية لهذا الحب، كأن يكون ودودا عطوفا مثلا.

لقد سألت أمي لماذا يحبني جدى لأبى رغم انى لست اكبر او اصغر اخوتي، او أكبر أو اصغر الاحفاد، ولماذا كان هناك ميل غير معلن من ابى برغم احتجاجات أمي الدائمة " هتبوظو "، لكن هذا الصغير كان يزداد انضباطا دون أن يطالبه أحد، سؤال لم اتلقى اجابة عنه ولكن اعرف الان إجابته .

فهل هناك اسبابا لهوى القلب؟ أعتقد أن هناك أسبابا، فحتى الأطفال يمكن اكتشاف ميولهم وسلوكهم ولو بشكل غير محسوس أو مباشر بحيث يتسلل إليك هوى القلب وتقع أسيرا له.

لقد وقعت في هوى ابنة اخي، مي حسام مندور، منذ أن كانت طفلة صغيرة جدا واثبت الزمان انى كنت على حق بعد أن كبرت وأصبحت أما.

للون الأزرق وبافلوف والشهيد عميد أركان حرب ماجد مندور

هكذا صاح أخي الشهيد العميد أركان حرب ماجد مندور محتجا، عندما كان في قيادة القوات المسلحة المصرية في المنطقة الغربية في نهاية سبعينات القرن الماضي " أحنا بنلون ليبيا بالأزرق "، فاللون الازرق فى الخرائط العسكرية المصرية لا يعنى الا القوات الإسرائيلية، لذلك فلقد نشأ رد فعل منعكس شرطي بين اللون وطبيعة العدو .

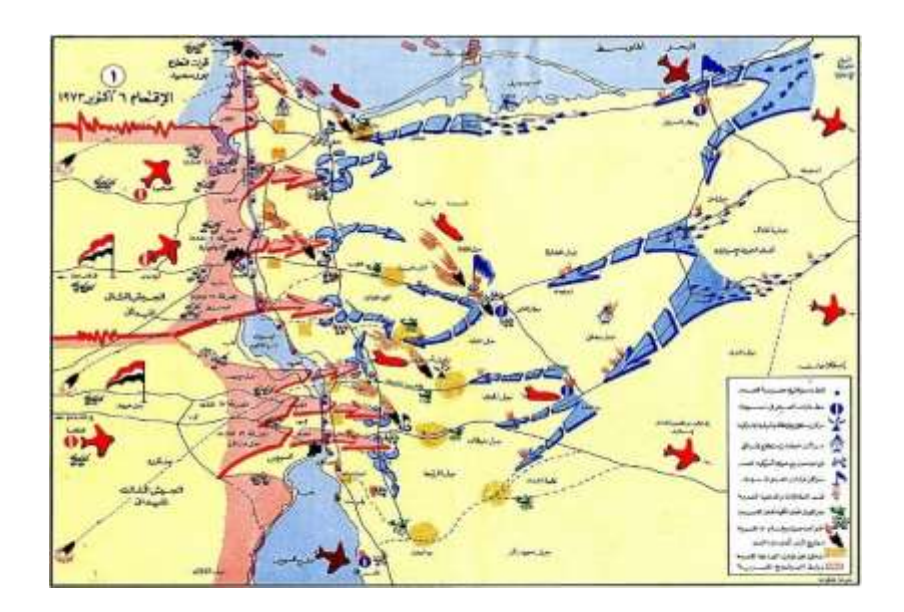
أنه رد الفعل المنعكس الشرطي، أي عندما يرتبط رد فعل الكائنات بحدث يتكرر ويعقبه رد فعل لا إرادي.

وهكذا شرحت ويكيبديا اكتشاف بافلوف

"الاستجابة الشرطية أو التعلم الشرطي هي نظرية في التعلم الترابطي وضعها الطبيب الروسي إيفان بافلوف، وتعنى رد الفعل التكيفي للكائن تجاه منبه خاص ويكتسب هذا التكيف من وضع الكائن مكررا في الموقف نفسه فعلى سبيل المثال: لا يسمح الإنسان البالغ لجسده بلمس النار بشكل مقصود ابدا على الرغم من جمالها الأخاذ !!

بينما يقبض الصغار بتلهف على الأشياء المشتعلة بأيديهم الصغيرة لأنهم لم يمتلكوا بعد حماية المنعكس الشرطي ويكتسبون قدرة الابتعاد عن النار بعد أن يجربوا فقط_ قليلا من الاحتراقات الشديدة وتسمى هذه القدرة: المنعكس الشرطي. هل يتعلم الصغير أي شيء في العملية؟ نعم يتعلم الكثير، ويكتسب آلية حماية تتكون من الخوف من الاحتراق فيتعلم كيف يبتعد عن النار. مع هذا يستطيع الكائن الحي تطوير منعكسات شرطية في حالات غير طبيعية ان جاز التعبير: أي يمكن إحداثها على مدى واسع بالوسائل الصناعية كما فعل إيفان بافلوف في تجربته الشهيرة والتي نجح بها في تطوير منعكسات شرطية اصطناعية عند الحيوانات."

أدام الله علينا سيادة اللون الاحمر في كل خرائطنا.



الجنية و ....الجزمة والأخ الأكبر

هكذا قرر ان يحاول ان يركز ويتذكر فجلس على شاطئ النيل ووضع جنيها تحت جزمته وأمضى وقتا ثم بدء في القيام ونسى الجنية على الأرض ولم يتذكر!

والغريب أنه كانت له نفس الصفات النفسية مع شقيقه الأكبر منه بعام واحد إلا في التنظيم والتذكر والدقة، كأن العناية الإلهية قد منحتهما معا نفس الصفات وتركت للأقدار كيف سيقتسمان هذه الصفات، فيتم التقسيم بالعدل والتساوي إلا في القدرة على التنظيم والتذكر والدقة والدأب فيحصل عليها الأخ الأكبر كاملة.

أخ أكبر شديد التنظيم والتذكر والدقة منذ أن كان طفلا صغيرا، واخ أصغر يحلق في سماوات الخيال الأمر الذي كان يسبب له مشاكل كثيرة ويثير قلق الأهل وتنبه الأخ الأكبر الذي عين نفسه مسؤولا عن أخية الأصغر متابعا له والتدخل لمصلحته إذا اقتضت الضرورة ذلك.

وبرغم ذكاءه اللامع فإنه لم يستطع أن يحصل على درجات دراسية تتجاوز ما كان يحصل عليه شقيقة الأكبر، وعندما اقتربت درجاته من درجات اخية في أحد السنوات صرح قائلا " كان نفسي درجاتي تكون أكثر منك ولو لمرة واحدة "، وبرغم اقترابهم في العمر و في التشارك في الحياة اليومية فإنه كان يفرح فرحا حقيقيا بأخية كلما حقق شيئا أو نال مطلبا.

ولأنه كان يمتلك قدرة هائلة على فهم طبيعة السلوك الإنساني ويستطيع أن يرى الدوافع الخفية خلف سلوكهم فلقد كان ودودا لطيفا مقدرا ويستطيع " أن يلمس قلب الأشياء " وهي قدرة تمكنه من أن يكون كاتبا أو شاعرا كبيرا وموهوبا لو كانت قدراته قد تلقت العناية الكافية، وبرغم ذلك فلقد كتب للأطفال وألف الشعر الذي ولد موزونا اعتمادا على سلامة موسيقى الشعر دون معرفة بالقواعد الفنية.

ما أسعد أن يكون لك أخ أصغر يمتلك مثل هذا التكوين النفسي وهذا الود والعمق الإنساني، أنا الأخ الأكبر الذي يفتقد أخيه الذي رحل.

الصورة ـ طارق مندور مع حفيده



شهدي وفى قول أخر خضري منصور

عندما يختفي أحد الحاملين بالحلم المستند على الاستقامة والإخلاص والجدعة وعدم الميل مع الهوى بصرف النظر عن الدور التاريخي وسط العاملين بشركة الكوك وخارجها، يصيبك ألم كبير ممض، فالزمن لا يرحم ولا يبقى على أحد ما عدا هذا العطر الفواح الذي يشع على الأخرين ويلهمهم.

أه يا شهدي الذي مازال عطرك يلهمني، رغم انتقالك لتكون مع فتح الله محروس، فدمتم معا ولن يغيب مثلكم ومثالكم وسياتي الزمان الذى يحيى فيه جهودكم العظيمة في لجان المندوبين ومؤتمرات الجمعة وغيرها .

وداعا والى لقاء ايها الخضري المنصور وسلم على الحبايب!



دارتانيان والفرسان الثلاثة

هل كان ألكسندر دوماس على حق حين كتب قصته الشهيرة وأطلق عليها " الفرسان الثلاثة "؟ وهل كان اختياره صحيحا للاسم؟ أم أن الاسم الحقيقي كان يجب أن يكون "دارتانيان والفرسان الثلاثة " لأنها تدور

حقا وفعلا عن دارتانيان في علاقته مع الواقع ومع الفرسان الثلاثة؟ وهل يمكن أن أقص عليكم قصة حديثة، لم يكتبها أحد، عن دارتانيان والفرسان الثلاثة في زماننا هذه؟

نعم أستطيع، فلقد حضر دارتانيان زماننا من بيئة اجتماعية مختلفة عن الفرسان الثلاثة وإن كانت تحتوي على كافة العناصر الفكرية والثقافية التي يطمح لتحقيقها الفرسان الثلاثة، مثله تماما مثل دارتانيان ألكسندر دوماس الذي أتى من أعماق المدن الإقليمية حاملا نفس توجهات الفرسان الثلاثة، ليكتشف ضرورة أن يفهم مجاله الجديد وكيف يمكنه التعامل معه لتحقيق نفس الأهداف المشتركة.

وتبدأ في التشكل علاقة حميمية بينة وبين الفرسان، محاطة بصبر الفارس الأعلى نفوذا وتأثيرا لإدراكه العميق لاختلاف البيئة الاجتماعية وتأثيرها على السلوك الفعلي لدارتانيان زماننا.

وتندلع المعارك ويساهم فيها دارتانيان زماننا بمثل ما ساهم دارتانيان ألكسندر دوماس، ويصرح " أتوس "، اسف فهو ليس "اتوس " ألكسندر دوماس، بل هو فتح الله محروس، بأنه متفائل بدارتانيان زماننا لأنه سيدرك الطبيعة النوعية للمجال الجديد مع ازدياد خبرته به.

ويدور الزمان ويضطر أراميس ، اقصد خضري منصور ، للتخلي عن عضويته في الفرسان بشكل مؤقت لحين نجاحه في التغلب على مشاكلة الحياتية الكبيرة ، ويختفى أتوس تحت ضغط قيادة الفرسان التي أسأت الية كثيرا ، لكنة ليس أختفاءا من المجال العام بل فقط من ضغط قيادة الفرسان منتظرا ومقاتلا من أجل أن يعود ، ولا يبقى من الأربعة الا أثنين ، دارتانيان المطارد والمقاتل بلا هوادة و بورثوس الذى يخوض المعارك في الصف الأمامي طالبا الدعم من دارتانيان زماننا ، الذى ينجح في تقديم ما يطلب منة ، رغم انتهاكه للكثير من قواعد الفرسان المتفق عليها ، ولحسن حظه فان هذه الانتهاكات لم يترتب عليها خسائر كان من الممكن أن يوقعها بالفرسان قوات الكردينال التي لم تكن لتتواني في تحطيم قوة الفرسان ووحدتهم لو امكنها ذلك.

ويدور الزمان ويستمر قتال الفرسان من أجل الحق والخير والحرية وينتقل أتوس وأراميس الى الرفيق الأعلى، ولا يبقى من الأربعة إلا إثنين، وقد فعل بهم الزمان ما فعل ، رغم استمرار تمسكهم بالحلم القديم ورغم اختلافهم في رؤية الواقع وكيفية تغييره.

تحية لألكسندر دوماس والفرسان ورفيقهم دارتانيان وفى انتظار حضور الفرسان الجدد مع دارتانيان زمانهم وتحقيق الأحلام.



هل يمكن هزيمة الغول؟، دراما الغول والعنقاء والخل الوفي

سؤال غريب من شخص أكثر غرابة، فمن المعروف في الأدب الشعبي للعديد من الشعوب في الشرق والغرب أن الغول يمكن هزيمته لكن لتحقق النصر علية وهزمه فان الأمر لا يتطلب فقط الشجاعة الفائقة والقدرة على المواجهة، بل تفرض الضرورة حتمية توفر العناصر الملائمة التي تساعد على تحقيق النصر، مساعدة العنقاء التي تعيد البعث من جديد وتداوى جراح المعارك كي يستعيد المقاتل قواه من جديد، لإكمال القتال وتحقيق النصر، كما تتطلب مساعدة الخل الوفي، لكن وخارج الأقاصيص الشعبية فهل هناك حقا غول وعنقاء وخل وفى؟ وهل هزيمة الغول تعنى الهزيمة المادية بتراجعه او فشلة في تحقيق أهدافه؟ أم انه يمكن تحقيق نصرا معنويا بتجريد الغول من لذة الانتصار المعنوي برغم نصرة المادي؟

الكثير من الأسئلة التي يطرحها الكاتب الذي يتمتع بالصرامة الفكرية والمزاج الشعرى، رغم أنه لا يكتب الشعر، لكن التفسير الوحيد لهذا التزاوج الغريب بين الصرامة الفكرية والمزاج الشعرى لا تجد لها تفسيرا في الأقاصيص الشعبية، بل في العلم!

نعم في العلم، فمن يمتلك العناصر الوراثية من الأب والأم، من محمد مندور وملك عبد العزيز لابد له من أن يتعذب بهذا المزيج الغريب من العناصر الوراثية، فالوارث لا يستطيع أن يرى الأشياء الا في صورتها الشعرية ، وهى تتحرك ، كي يخضعها للصرامة الفكرية فيخرج هذا المزيج الغريب من الآراء والتوقعات التي تصطدم مع الكثير من أفكار وتصورات الاقربين ، الذين يكن لهم الوارث عميق الاحترام والحب والتقدير ، لكنة لا يتراجع ، فكيف بالله عليكم يمكنه أن يتراجع وهو يمتلك هذا المزيج السحري المؤلم من الصرامة والشعر ؟ ولعل أحد أسباب عدم قدرته على التراجع هي وراثته أيضا الشجاعة الفكرية والمادية، شجاعة من خرجوا لمناطحة السماء، شجاعة محمد مندور وملك عبد العزيز!

ولعلنا في حاجة للتوقف قليلا عند معنى الغول، فهل الغول هو ما يصفه عنترة العبسي بقولة

والغول بين يدي يخفى تارة -------- ويعودَ يَظْهَرُ مثْلَ ضَوْءِ المَشْعَلِ

بنواظر زرق ووجه أسود --------وأظافر يشبهنَ حدَّ المنجل

فهل حقا وفعلا هذا هو الغول؟ لا اعتقد ذلك، فالغيلان الحقيقية ليست كائنا خرافيا من التراث الشعبي للشعوب، بل هي التعبير الدرامي عن مصاعب الحياة الثقيلة التي تظهر بشكلها الدرامي في هيئة هذا الكائن الخرافي المملوء شرا، لذلك فلقد كنت دائما على قناعة كاملة في إمكانية هزيمة الغول، سواء على الصعيد المادي بإفشاله عن تحقيق أهدافه أو بمنعة من التمتع بلذة النصر، إذا حققه!

لذلك فإن غيلان زماننا هي غيلان متعددة وتظهر في أشكال مختلفة من الغيلان الاجتماعية المناصرة لغياب العدل الاجتماعي أو المناصرة للديكتاتورية الى غيلان تفاصيل الحياة اليومية الثقيلة، ولعل أقلها أهمية، على الصعيد العام، هي الغيلان الصحية التي تظهر في شكل الأمراض البسيطة أو الكارثية المهددة لحياة البشر.

والكثير من هذه الغيلان الصحية وثيقة الارتباط بالوراثة، فكثيرا ما تكون بعض العائلات عرضة للإصابة بأمراض نتيجة للضعف المناعي الوراثي في مواجهتها ، ويصح هنا عدم الدخول في التفاصيل الوراثية والتأثيرات البيئية المؤثرة ، لان مثل هذا التعرض يتطلب خبرات طبية وخبرات في علم الوراثة لا امتلكها،

لذلك سأكتفى بالإشارة أن عائلتي ضعيفة المقاومة للسرطان فلقد انتقل أثنين من إخوتي واثنين من أعمامي نتيجة الإصابة به ، ولقد كنت أعتقد أنى قد جاوزت مرحلة خطر الإصابة به نتيجة للتقدم بالعمر وهو ظن تبث انه غير صحيح ، فغول عائلتنا المندورية هو السرطان ، فهل يمكن هزيمته أو حتى بمنعة من الاستمتاع بانتصاره كما سبق أن أوضحنا ؟ والإجابة هي نعم ويا لها من نعم.

نعم أيها السادة فلقد اكتشفت أنى مصاب بالسرطان في الكلية اليسار، أصابه في اليسار كي تعبر تعبيرا دقيقا عن حالة يسارنا الذى التهمه غول الليبرالية، ويا له من غول مخادع متسلل وخبيث يلتهم العقول فتتحول الى مسخ مسكين ومشوه، لكنى لست وحدى، فلقد تحققت المستحيلات الثلاثة، فإذا كان الغول قد ظهر في صورته البشعة السرطانية فإن العنقاء والخل الوفي قد ظهرا في ابهى وانضج صورة كي نخوض، معا، معركة هزيمة الغول أو على الأقل منعه من التمتع بانتصاره.

فالعنقاء، هذا الكائن الخرافي، لا يظهر إلا لمن يستدعيه ويستحقه كي يعيد تضمين جراح القتال ويساهم في استعادة المقاتل لعافيته كي يقاتل من جديد، أي إعادة بعثه من جديد مقاتلا عفيا من أجل الحق والخير والحرية.

لقد ظهرت لي العنقاء في أبهى صورها، صورة الطبيب المداوي والرعاية الصحية التي ليس لها مثيل، فلقد تم تبنى هذا المندورى بواسطة مجموعة من الأطباء، أطباء المسالك البولية والكلى والشرايين والقلب والتخدير، فأجريت مجموعة من التحاليل الكيماوية والتحليل المقطعي بالصبغة والأشعة النووية الدقيقة بقبول تام من المريض، رغم أن التقاليد الطبية تقتضى أعلام المريض بالحدود العليا من مخاطر إجراءات التشخيص كأن يصاب بفشل كلوى مزمن وغيرها من المخاطر التي قبلها المندورى بلا نقاش لأن الضرورة تقتضيها.

لكن تم اكتشاف أن مندورنا مصاب بغول أخرا مخيفا، غول لا تنتج عنه أعراض ولكنة يقتلك في غمضة عين وفى الغالب لا تستطيع العنقاء إنقاذك، انه غول تمدد الشريان الأورطي الذى إذا تمدد أكثر قد يتعرض للتمزق وتصاب بنزيف داخلي لا يكفى الوقت لمواجهته ، لذلك فلقد قررت العنقاء ضرورة تدعيم الشريان الأورطي بدعامة داخلية في عملية جراحية بتخدير كلى لهزيمة هذا الغول الخفي قبل التوجه الى الغول الاخر الأكثر افصاحا ، وهو ما تم فعليا بنجاح في عملية استغرقت ساعة كاملة والبقاء بالعناية المركزة لثلاثة أيام وأنت تتفرج على التليفزيون وتتسامر على الفاسبوك فلا نامت أعين الجبناء.!

وبعد التأكد من مقتل الغول الخفي الأول تم التوجه الى الغول الأصلي الذي أفصح عن نفسه بأبشع الصور، الم خفيف دائم في اليسار !!!، ونزيف دموي متقطع أحمر اللون يمكنه أن يصيبك بالفزع إذا لم تكن وريثا مندوريا، وتتم العملية الثانية بإزالة الكلية اليسرى بنجاح في عملية كبيرة وطويلة بقيادة أستاذ كبير من أبناء جامعة المنصورة، جامعة مركز الدكتور غنيم.

ويخرج المندورى من المستشفى في حالة صحية جيدة ويكتب لكم عن تجربته التي لم تنتهى بعد، فما زال القتال دائرا لهزيمة هذا الغول بدعم كامل من العنقاء والخل الوفي!

هذا الخل الوفي الذي أفصح عن نفسه بوضوح كامل من الزوجة و أبناء العم وأبناء الإخوة والاحفاد والأصدقاء الذين تم إبلاغهم بتطورات الحالة الصحية، بحيث أصبح هناك نشرة يومية داخل المنادرة لتتبع تطورات الحالة الصحية لهذا المشاغب الكبير واتصالات تليفونية ورسائل يومية لا تنقطع.

نعم أيها السادة يمكن هزيمة الغول سواء بتحقيق الهزيمة الفعلية أو منعة من التمتع بنتائج أفعاله الخبيثة شريطة الدعم الكامل من العنقاء والخل الوفي الذين أتمتع بدعم كل منهما، فشكرا لهما.



هل يمكن هزيمة الغول؟ دراما الخل الوفي

برغم أنى كنت أعتقد دائما في وجود الخل الوفي وانه ليس مجرد تصورات في أقاصيص الأولين أو في الأدب الشعبي، فلقد سبق لي رؤيته مرارا وتكرارا عبر سنوات طوال، لكن هذا الخل الوفي يظهر الآن في أبهي صورة بحيث يبدو الأمر كما لو كان حدثا استثنائيا، وهو ليس كذلك .

فالكيفية التي يظهر بها الخل الوفي يعتمد بشكل أساسي في كيف تستدعيه، هل هو استدعاء علني باستخدام وسائل الاتصال الحديثة أم هو استدعاء داخل الحلقة الصغيرة للمستدعى، أي بوسائل الاتصال القديمة.

فإذا ظهر بالوسائل الحديثة فإنه يفصح ليس فقط عن بهاءة كاملا، بل يوضح، الى حد بعيد، الكثير من دوافع وحدود وعمق العلاقات الاجتماعية بين المستدعى وخلانه..

لذلك لابد من أن أقدم عظيم امتناني لكل خل وفى كشف عن قلبه مقدما دعما معنويا مطلوبا وحيويا لمن يقاتل الغيلان.

محمد مندور و1946

الدكتور محمد مندور بعد خروجه من السجن سنة 1946 نتيجة معارضته لمشروع معاهدة صدقي بيفن - وسقطت المعاهدة نتيجة المعارضة العنيفة للشعب المصري بقيادة اللجنة الوطنية للطلبة والعمال التي ساهمت في قيادتها كل القوى الوطنية - وسقطت حكومة صدقي - درس من التاريخ لذوي الألباب.

أولاده

التوأم حسام وليلى ثم ماجد





من سعد نعمان عاشور الى خالد محمد مندور

الود يمد لسابع جد.

اهداء من نعمان عاشور الى محمد مندور

الإهداء

الى الروح الحانية التى فارقتنا ولم تزل ترفرف فوقنا بجناحين خافقين .

الى روح أستاذنا وفقيدنا ..

الى أطهر قلب وأنضج عقل وأنقى ضمير وأثبت فكر وأشرف من أنبتته حياتنا الثقافية على مدى نصف قرن ..

الى روح راحلنا الكبير ..

الدكتور محمد مندور .

أهدى هذا الجهـــد ..

اليك فى قبرك وقد فارقتنا على غير موعد ..

اليك يا أصدق وأخلص من ناضل فى سبيل الكلمة التى تخدم تقدم حياتنا نحو مستقبل أفضل ..

اليك يا منـــدور ..

والى ذكراك الندية العطـــرة التى لا تنسى .. أهـــدى مـــسرحيتى .. بلاد بره ..

الجيزة ـــ مارس ١٩٦٧

نعمان عاشور

هل يمكن هزيمة الغول؟ ـ دراما الغول والعنقاء والخل الوفي

تقرير الى الخل الوفي

"ما تلبسش بيكيني " هكذا أخبرتني العنقاء الأولى، أقصد جراح الكلى، الذي أزال كليتي اليسار هي وغول السرطان الذي احتلها عندما ذهبت الية لأسأله عن النتوء الجديد في مكان الجراحة، فلقد فسر لي أن العضلات

لابد وان توضع فوق بعضها لتلتحم بعد الجراحة وأن هذا النتوء سيظل دائما، لذلك كانت هذه النصيحة التي ستؤثر على السحر الدفين الذي اتمتع به!

اما العنقاء الثانية، جراح الاوعية الدموية، الذي قام بجراحة تركيب الدعامية في الشريان الأورطي لإزالة احتمالات أن ينجح الغول الاخر، غول تمدد الشريان واحتمالات انفجاره بدون مقدمات، وكأني أحتاج لدعاميات!، فلقد نجحت في إخراجه عن تحفظه حيث رحب بي بشدة وأخبرني انه قد حمل صورتي لزملائه من الأطباء محدثهم عن هذا المريض الشجاع، الامر الذي أصابني بالعجب، فهل القبول بالقدر ومواجهته هي شجاعة؟ المهم انه قد حولني لأجراءUltrasonic ، وهو الأجراء الوحيد الممكن للحفاظ على سلامة الكلية الباقية التي فقدت أختها، مثلى تماما فلقد فقدت أيضا إخوتي، وعندما ظهرت النتيجة أخبرني أن أعود الية بعد ستة أشهر برغم الغرام الدفين الذي نشأ.

والغريب أن هذه الغيلان من الممكن أن تتلون وتتخفى وتعود من جديد، فهي قد تنتج غيلانا صغيرة تتسلسل الى أماكن أخرى وتكمن هناك إلى أن تجد فرصة كي تتحول الى غول كبير يفتك بك، غيلانا صغيرة لا يستطيع جهازك المناعي التعرف عليها، هذا الجهاز المناعي الذى يقف في مقدمة صفوف الخلان، لذلك فعليك أن تتناول دواء جديد لمدة زمنية طويلة، دواء وظيفته الوحيدة كشف الغمة عن أحوال الامة ، اقصد كشف هذه الغيلان الصغيرة المتسللة كي يستطيع خلك الأول ، أي جهازك المناعي ، رؤيتها حيث تدور معركة كبيرة وممتدة طبقا لتحليل كلاوزفيتز عن الحرب ،إلى أن تستطيع فرض أرادتك على الخصم.

ولكن لكل حرب خسائرها، فالخل الجديد غشيم برغم حسن مقصدة، فهو دواء خطير جدا وقد يسبب أعراضا جانبية شديدة قد تتحول هي نفسها الى غيلانا صغيرة، ليست سرطانية، تهاجم أعضائك الداخلية، لذلك لابد من الحرص على ملاحظة وظائف الأعضاء الداخلية الأخرى مثل الكبد والكلى.

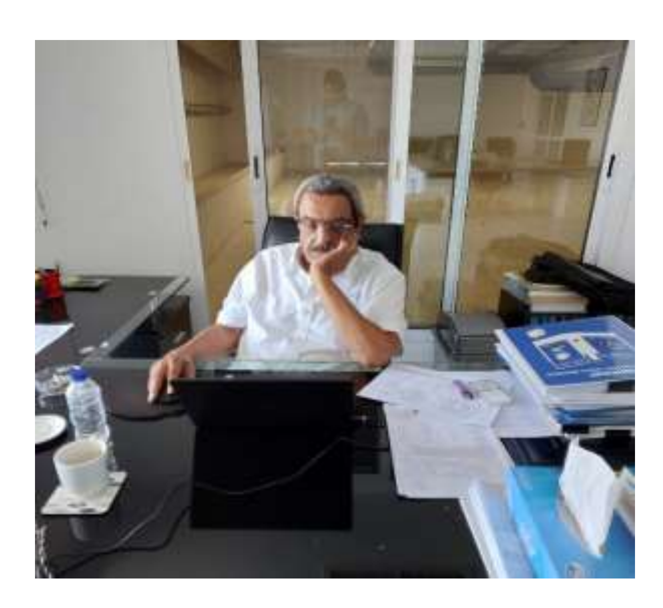
حقنة كل ثلاثة أسابيع يسبقها تحليل كامل للدم والبول للتأكد من استمرار حسن مقصد هذا الخل البيولوجي الذي أنتجه العلم الحديث بديلا عن الكيماوي ذو الطبيعة المزدوجة، طبيعة الخل والغول في نفس الوقت، ويبدو أن

somebody up there likes me

، فانا لا أعانى من أي اعراض ما عدا حكة صغيرة تذهب وتعود في الزراع اليمنى، وليتها كانت اليسرى فاليسار في عسر، وذلك بعد رابع حقنة وبعد أن أصبحت أنا والطبيب و الممرضات أصدقاء نضحك سويا.

لكن الوحيدة، مثلى، لابد من رعايتها، لذلك عليك زيارة طبيب الكلى لرعاية الوحيدة المتبقية، حيث يجرى التحاليل اللازمة بشكل دوري، كان أولا أسبوعيا ثم تحول الى شهريا، والان أصبح كل شهرين، فلقد اثبتت الوحيدة انها لا تقل شجاعة عن حاملها، فلقد ثبتت قيمة الكرياتنين ولم تتغير برغم انها فوق المعدل، ولكنها قيمة غير مزعجة للوحيدة التي القيت عليها أعباء إضافية، فما أقصى ان تقاتل وحيدا.

ولكن هل صاحبها حقا وحيدا؟ أحيانا يشعر بذلك، ولكنة يحظى بدعم الكثير من الخلان، فشكرا لكم جميعا من خلكم الوفي.!



ملح الارض بين كامل والتاجي

استعدادا لهم الدنيا قد تكون سعيدا إذا ساقك الحظ الى ملاقاة نوع خاص من البشر، من المدرسين، الذين أطلقت عليهم أسم ملح الأرض لا تشعر بهم إلا إذا اختفوا، الذين من الممكن أن يؤثروا كثيرا في حياتك، حتى بعد انقضاء حياتك الدراسية، لذلك سأقص عليكم كيف أثر بعض من ملح الأرض في حياتي.

شاب صغير ينجح بتفوق في شهادة الإعدادية ومغرم بالقراءة، ينقب في مكتبة أبيه فيلفت نظرة كتاب سندباد مصري لحسين فوزي فيتناوله ويذهب، كالمعتاد، الى أمة متسائلا " هل أستطيع ان افهم هذا الكتاب؟ ويكون الجواب الذي يعرفه جيدا " إقراءه وإذا لم تستطع فهمه أتركه ثم بعد سنة او اثنين أقراءه مرة أخرى وستستطيع فهمه "، فيتوقف عن السؤال ويلتهم الكتب التهاما، وتلهب خياله حكايات التاريخ.

المهم أن صاحبنا عندما تأتى حصة التاريخ تصيبه المفاجأة فمدرس التاريخ أسمة مصطفى كامل، مدرس موهوب يقص عليك أفضل القصص واسمه يتناسب مع وظيفته فيجذب انتباه الشاب الصغير ويتابعه بشغف، حتى تأتى لحظة خاصة جدا حيث يقترح أن يقوم الطلاب بإعداد بحثا عن موضوع من اختيارهم، ويقرر صاحبنا أعداد بحث حول الثورة الفرنسية، عن اليعاقبه والجيروند، فيكون هذا بحثه الأول.

مهارة أكتسبها الشاب الصغير تلازمه طوال حياته ، وعندما يصل الى الجامعة ويلتحق بكلية الهندسة يطلب منه زمليه الملتحق بكليه الآداب قسم الصحافة ان يعد له بحثا حول تطور الأسلوب الصحفي متحججا أن أحد المراجع من تأليف والد الشاب ، بحث يتطلب معرفة بالتاريخ وبأساليب البحث ، فيبدأ في إعداد بحث عن تطور الأسلوب الصحفي قبل وبعد الثورة العرابية ، بحث يركز بشكل خاص على ما قبل الثورة ثم صحافة الثورة ، على وقائع رفاعة الطهطاوي ثم عبدالله النديم في التنكيت والتبكيت التي كان يصدرها بالعامية المصرية ، كي يضمن اطلاع الجمهور الغفير الغير متعلم و المساند للثورة على محتواها ، فشخص واحد يستطيع القراءة يكفى لاطلاع العديدون على محتواها ، ثم بعد تصاعد الثورة والتهاب الصراع ، يحولها الى الطائف التي تصدر باللغتين ، العامية والفصحى ، تغيير يضمن إطلاع المتعلمين وغير المتعلمين على الجريدة التي أصبحت لسان حال الثورة.

وفى اعقاب الثورة وبعد الفرار الطويل للنديم داخل البلاد ثم نفيه خارجها لفترة ليست طويلة، مقارنة بالزعماء الاخريين، يعود النديم ولا يستطيع ان يسكت، فيصدر جريدة الأستاذ لكنها بالفصحى فقط، فلقد تغيير المزاج الجماهيري وانقضت أحداث الثورة وأصبح من الضروري مخاطبة الرأي العام المتعلم.

وينال البحث المركز الأول ويطلب من صديقي قراءة بحثه (!) في محاضرة أمام الطلاب، واتذكر أستاذي الذي كان أسمة يتلاءم مع وظيفته، مصطفى كامل .

ويأتي العام الدراسي الثاني في الثانوي ، ويكتشف الشاب الصغير أن شرح مدرس الفصل فى الرياضيات سيئ جدا ، فيبحث عن مدرس خاص ، ويجد حسن التاجي ، مدرس كبير السن يعمل ناظر مدرسة ولا يعطى الا دروسا قليلة لزيادة دخله ، وبعد حصة أو اثنتين يكتشف المدرس إمكانيات الطالب فيتوقف عن الشرح ويصبح واجب الشاب دراسة الدروس الجديدة ثم يجاوب المدرس على الاستفسارات ، إذا كانت هناك استفسارات ، في الحصة التالية ، وعن كل درس جديد 4 مسائل عن كل درس و يتولى تصحيحها المدرس ، ومع تقدم الدروس يتضخم الواجب فيصبح 4 مسائل من كل درس وهكذا ، الامر الذى أسفر في النهاية عن حل كل مسائل الكتاب المدرسي وكل الكتب الخارجية ولكن الأهم أن التلميذ تدرب على القراءة والفهم والحل بدون شرح من المدرس ، وهى مهارة عظيمة وستظهر نتائجها في المستقبل القريب.

ويأتي عام الثانوية العامة ويضع الشاب الصغير هدفا لنفسه في أن يكون من أوائل الثانوية العامة، عهد اتخذه في مأتم أبيه الذي توفى مبكرا، فماذا يفعل مع الرياضيات التي لا يتلقى فيها دروسا مفيدة في المدرسة، فيطلب مدرسة الخاص الذي يبدى اعتذاره بضيق الوقت، فماذا يفعل؟ يعطى نفسه درسا خاصا بنفس طريقه حسن التاجي، القراءة والفهم وحل الأمثلة ثم حل المسائل بنفس النظام، 4 مسائل من كل درس، وكلما تقدم في الدروس يزيد عدد المسائل المطلوب حلها.

ويسفر الامر أن صاحبنا قد أصبح مستواه رفيعا، فنماذج الامتحانات ذات السبعة أسئلة والمطلوب حل خمسة منها في ثلاث ساعات، كان قادرا على حل السبعة في نصف الوقت .

وعندما يلتحق بكلية الهندسة يكتشف انه لا يستطيع الفهم في المحاضرات ليس فقط نتيجة للأعداد الكبيرة في المحاضرات، بل أحيانا لأنه لا يسمع كلام الدكتور لخفوت صوته وعدم وضوح ما يكتبه على السبورة، فيقرر أن يعطى لنفسه دروسا خاصه بطريقة حسن التاجي، وينجح في ذلك ويستطيع أن يحافظ على تفوقه، الامر الذي تكرر في السنة الثانية لنفس الأسباب.

فيالها من مهارات يستطع هؤلاء الموهوبون نقلها الى أبنائنا، الامر الذي قادني الى الاقتناع بان المدرس هو أساس تطوير التعليم، قبل تطوير المناهج والمدارس والملاعب والمكتبات ونظم الامتحانات، ووصلت الى قناعة بان المدرس يجب أن يكون الأعلى دخلا والأكثر تأهيلا بين جميع المهن، خصوصا في مدارس الروضة والابتدائي، وبدون ذلك تظل جهود تطوير التعليم " طق حنك " حتى ولو تطورت كل العناصر الأخرى.

تحية الى ملح الأرض، الاستاذين مصطفى كامل وحسن التاجي.

شربة ماء!

نعم لقد كانت شربة ماء حين كنت جالسا في المؤتمر الصحفي الذى عقد فى مبنى التليفزيون حين حضر محمود درويش من موسكو للقاهرة، مؤتمر صحفي استطعت حضوره بالواسطة من أختي التي كانت تعمل بالإذاعة المصرية ، واثناء المؤتمر الصحفي فوجئت بانها تحضر كوب من الماء فتعجبت وسألتها لماذا ؟ فأجابت وشك أصفر.!

نعم لقد كنت منفعلا لأنى لم أكن مرحبا بحضوره الى القاهرة، ولقد تابعت النقاش الذى دار حول هذا الحضور ، فمحمود درويش صرح بانة غير موقعه ولم يغير موقفه ، فكتب الية سميح القاسم بان الموقع هو موقف ايضا ، وكتب شحاتة هارون ، اليهودي المصري الوطني ، "تحية من القاهرة، صخرتي التي لن أبيعها باللآلئ.. حبيبتي التي لن أهجرها.. أنت وأنا الأمل.. لو عدت أنت لحيفا، وصمدت أنا في القاهرة."

أما توفيق زياد فقد حدد موقفه في القصيدة التالية

كأننا عشرون مستحيل

في اللد، والرملة، والجليل

هنا.. على صدوركم، باقون كالجدار

وفي حلوقكم

كقطعة الزجاج، كالصبار

وفي عيونكم

زوبعة من نار

هنا.. على صدوركم، باقون كالجدار

ننظف الصحون في الحانات

ونملأ الكؤوس للسادات

ونمسح البلاط في المطابخ السوداء

حتى نسل لقمة الصغار

من بين أنيابكم الزرقاء

هنا على صدوركم باقون، كالجدار

نجوع.. نعرى.. نتحدى

ننشد الأشعار

ونملأ الشوارع الغضاب بالمظاهرات

ونملأ السجون كبرياء

ونصنع الأطفال.. جيلا ثائرا.. وراء جيل

كأننا عشرون مستحيل

في اللد، والرملة، والجليل

إنا هنا باقون

فلتشربوا البحرا

نحرس ظل التين والزيتون

ونزرع الأفكار، كالخمير في العجين

برودة الجليد في أعصابنا

وفي قلوبنا جهنم حمرا

إذا عطشنا نعصر الصخرا

ونأكل التراب إن جعنا.. ولا نرحل

وبالدم الزكي لا نبخل.. لا نبخل.. لا نبخل

هنا.. لنا ماض.. وحاضر.. ومستقبل

كأننا عشرون مستحيل

في اللد، والرملة، والجليل

يا جذرنا الحي تشبث

واضربي في القاع يا أصول

أفضل أن يراجع المضطهد الحساب

من قبل أن ينفتل الدولاب

لكل فعل:... اقرأوا

ما جاء في الكتاب

ويدور الزمان ويذهب محمود درويش الى بيروت ثم ينتهي به المطاف الى الضفة الغربية، لقد أكتشف بنفسه أن مكان وجود الفلسطيني هو موقعه وموقفه أيضا، أي على أرض فلسطين.

أن أحد أهم أساليب الصمود الفلسطيني هي البقاء في الوطن.

أكتب هذا ليس انتقادا لموقف محمود درويش فهو فعلا لم يغير موقفه وفى النهاية لم يغير موقعه، ولكن قدرات البشر متفاوتة فتحية لمحمود درويش ولكل شعراء الارض المحتلة.

تعويذة سحرية مندورية الى حورس

هل ستعود؟

زاد الشوق اليك ايها القوى يا صاحب العدل والخير فمتى ستعود؟ أنا أعرف جيدا أنك لم تختف أبدا وأنك تعود مرارا وتكرارا بشكل غير مرئ، ملهما الأخرين بالقتال من أجل العدل والخير، ولكنك كثيرا ما يطول غيابك والعمر ليس طويلا بما يكفي لانتظار عودتك فهل تعود رفقا بأحد الحالمون بالعدل والخير؟

لقد رأيت ظلك عدة مرات، ولكنك تختفي سريعا وتترك الحالمون يقاتلون طيور الظلام، فمتى ستعود؟ وهل ستعود؟ أم أن علينا أن نعيدك؟ لقد حاولت كثيرا ورأيت ظلك مرارا وتكرارا، ولكن متى ستبقى؟ وهل لن تأتي إلا عندما نستحق حضورك وبقائك؟ ولكن الحمل ثقيل والعقول غائبة والحرث في الماء لا يترك أثرا، ويبدو الأمر كما لوكنت أكرر كلام أبى ، وهو يتوجع في أخر أيامه ، بأنه كان يحرث في الماء لمدة 25 عاما ولكن حرثه لم يذهب هباءا لو دققت النظر ، فحتى الماء يمكن حرثه ، سيجده الغاوون غدا ، وعندها ستعود وقد لا أراك إلا من قمة جبل الأولمب ، أو عندما يستدعينا الغاوون مع كبارنا الذين ينتظرون على أحر من الجمر .

نعم ستعود أنت ومن الهمتهم بالقتال من أجل الحق والخير وسيستدعيكم الغاوون غدا، وعندما ستعود سيعلمون على أن تبقى وتتبوأ عرش ابيك، عرش العدل والخير.



ما بين الصغير والكبير -خالتي

اذهب الى منزلنا وابدأ في صعود السلم وتصيبني المفاجأة، فللمرة الأولى والأخيرة أجد أمي تهرول على السلم وهي في حالة فزع بملابس النوم ولا تتوقف لتجيب على أسئلتي، وتطرق باب الجيران وتختفي داخل المنزل، وانتظر خارج الباب وأنا متوتر، فتخرج بعد قليل وهي في هدوء تام، واسالها ما ذا حدث، فتجيبني بانها كانت تحاول الاتصال بخالتي الكبيرة، الغير متزوجة، فتسمع صوت حشرجة، فتصاب بالفزع خوفا على أختها المسنة، فتذهب الى الجيران للاتصال من تليفونهم وتجد الأخت في صحة جيدة.

الأخت الصغرى التي تتحدث مع الأخت الكبرى دون القاب، دونا عن باقي الاخوة، الذين يتحدثون معها باستخدام لقب أبلة، فهي كبيرتهم، وبرغم أنها الأخت الوحيدة الغير شقيقة إلا انها ساهمت في تحمل مسؤولية الاسرة بعد إفلاس أب الأطفال الاخرون وانفصاله عن الام، تحملته حتى أكمل الجميع تعليمهم الجامعي.

واشاهد وراقب سلوك الاخوة عبر السنين، فأجد ترابطا مذهلا، فلم يحدث يوما خلاف بينهم، ولا يواجه أيهما متاعب الحياة وحيدا، فهم كالبنيات المرصوص، والكل يتساند بلا ضجيج وكأن مثل هذا السلوك هو الطبيعي والعادي.

وتصاب خالتي الكبيرة بتصلب خفيف في شرايين المخ وانفصالا في الشبكية نتيجة لعدم التحكم في مستويات مرض السكرى، فيحدث تغيير دراماتيكي في سلوكها، فالكبيرة وناظرة المدارس الثانوية ومديرة المناطق التعليمية تخلع ثوب الست الناظرة، وتفاجئ الجميع بحس فكاهي عميق وخفة دم ليس لها مثيل.

وعندما أسألها لماذا لا تتحكم في مستوى السكر وهل تتناول الكثير من السكر، فتجيبني، ضاحكة، إنها الشكولاتة!

وتتقدم خالتي في العمر الامر الذى يدفع الاخوة الى التناوب على التواجد معها يوميا، ليلا ونهارا، ومن لا يستطيع الحضور يكلف احد أبنائه، وكنت كثيرا ما أنوب عن أمي، فاجلس مع خالتي وارعاها ونحن نضحك ونتسامر، هذه الخالة التي كانت متعاطفة مع تيار الديمقراطية الثورية، أي مع الطليعة الوفدية، وتقدر تقديرا كبيرا الدور السياسي لوالدي، مثلها مثل والدتها، جدتي، الوفدية حتى النخاع والتي كانت تقطع الطريق على مصطفى النحاس حين يأتي لزيارة أخية الساكن في شقة في نفس البناية، كي تقبله.

لقد شكل كونها أختا غير شقيقة، من الاب، ميزة نسبية لي في الزمن الصعب، فلا يمكن الاستدلال على صلبة القرابة من الاسم، الامر الذي أتاح لي رؤية أمي بلا مشاكل.

لقد تلقيت درسا عائليا بليغا في التكاتف والتعاضد والتراحم لا أنساه، فتحية الى خالتي توحيده رمضان من ابن الأخت الصغرى، ملك عبد العزيز، الذي لا ينسى فضلا.

دماء على ....السيراميك

نعم ايها السادة فمن الممكن أن تكون الدماء على السراميك بديلا عن اسفلت عاطف الطيب وأسامة انور عكاشة، ولكنها دماء حقيقية تثير الفزع اذا لم تكن هادى القلب وثابت الجنان، فكيف حدث هذا ؟

الموضوع بسيط ، فكل ثلاثة أسابيع على الذهاب الى المستشفى لإجراء تحليل للدم ، يوم واحد سابق على موعد الحقنة التي تزيد مقاومة الجسم للغول المسمى سرطان للتأكد من عدم وجود أعراض جانبية أو تأثر الوحيدة الباقية ، أي كليتي اليمنى ، وبناء على النتائج التي يراجعها الطبيب يتم التصريح بأخذ الحقنة في الوريد ، بعد حقن دواء مضاد للحساسية ، ويعقبها حقن سالين لمنع التصاقات الاوردة والشرايين ، اجراءات تستغرق حوالى ثلاثة ساعات ، يتم خلالها التسامر مع الفريق الطبي ، الذين أصبحوا أصدقاء ، ومشاهدة التليفزيون او حرق الدم بمتابعة أخبار غزة والشرق الاوسط الغير سعيد.

المهم، بعد أخذ العينة ذهبت الى دورة المياه فأصابني العجب، فكيف بالله عليكم أجد دماءا على ..... السيراميك، دماء على السيراميك في مستشفى منظم ويقدم خدمة طبية فائقة وشديد النظافة ، فأقرر الذهاب الى الفريق الطبي للفت نظرهم.

وأذهب الى الفريق الطبي وقبل أن أبدأ في الكلام أكتشف أن الدماء تتسرب من يدى أنا ولوثت ملابسي، تسرب من مكان أخذ العينة، فيصيب الفزع الممرضات، وابدأ في تهدئتهم لاتخاذ اللازم وهو بسيط ، اضغط على مكان أخذ العينة لزمن كاف حتى يتجلط الدم ، ويا دار ما دخلك شر وطز في الملابس.

فلماذا حدث هذا الخطاء الطبي البسيط؟ سبب يجب التنبه له، فكل من يتناول أدوية تزيد من سيولة الدم مثل الاسبرين أو دمة خفيف ! ، عليه التنبه ولفت نظر الممرضة ، عند أخذ عينات الدم ، الى استخدام الابر ذات القطر الصغير ثم الضغط على مكان أخذ العينة ، لزمن ليس طويلا ، لمنع تسرب الدماء على ......السيراميك.

صورة يدى اليمنى بتسرب صغير من الدماء تحت الجلد، أن اليمين لفي الخسر أما اليسار ففي العسر.



شكشك شكشوكة تعالى جنبي

يا سلام سلم عروقك جميلة، طيب أتكلى على الله وركبى الدريب عشان نأخذ الحقن في الوريد، حقنة غسيل ثم حقنة مضاد الحساسية ثم حقنة الهورمون المضاد للسرطان ثم حقنة الغسيل، وصاحبكم تجيله دوخة صغيرة من مضاد الحساسية.

ويبدأ خرم الذراع الأيمن ولا تستطيع الوصول الصحيح للعرق، فخرم تأنى بلا فائدة، ويقرر صاحبكم تهدئة الممرضة والهذار معها لعل وعسى يساهم هذا في تهدئتها ، ولكن يصيبها الاكتئاب وتقرر استدعاء ممرضة أخرى ، وتأتى الممرضة الجديدة وتقرر تغيير الذراع ، من الأيمن الى الايسر ، وتقرر تغيير المكان المعتاد ويبدأ الخرم في الساعد ، وتنجح في تركيب الحقنة ، وبرغم انها مقتنعة بجمال عروقي ولكنها تكتشف أنها "ملوعه" وكثيرة الحركة برغم أن صاحبها لا يعرف "اللوع" ، وفور تركيب الحقنة أشعر بنار موقدة في مكان التركيب وانا منتظر تركيب المحاليل.

وتأتى الممرضة الأولى لتبدأ في تركيب المحاليل، فارفض ذلك واطلب تغيير مكان الحقن، واهذر معها كي تهدأ، فتغيير مكان الحقن الى المكان المعتاد وتنجح في ذلك من المرة الأولى ويبدأ الحقن الذي يتم في حوالي ساعتين.

وتسأل الممرضة " نجيبلك أكل "، أيوه، هكذا أجيب، ويأتي الاكل، وبعيد عنكم أكل عيانين، رز بسمتي طعمة بلاستيك، وصدور فراخ مشوية طعمها كويس وشربة عدس عملاه واحدة "متخانقه" مع جوزها، وخضار مسلوق لأمانع من أكله، وقطع فواكه، أناناس كويس وشمام ما بحبوش.

وعندما يأتي موعد الخروج بعد ثلاثة ساعات في المستشفى تسألني الممرضة، هل تستطيع القيادة بعد حقنة الحساسية، فأجيب أستطيع برغم الدوخة الموجودة، وانتقاما من أكل المستشفى أذهب الى كارفور المجاور واشترى بسطرمة وعيش باجيت فرنسي وأسوق الى المنزل واتغذى بهم ، وما زلت دائخا ولا أحد جنبي!!



المزاجنجى إبراهيم السني

غريب وعجيب هذا السني، فالسنى ليس اسم عائلته، بل لقب أطلق علية نتيجة لإطلاقه للحيته، ليس تدينا، بل لإخفاء فقدانه لبعض اسنانه، تقدم للالتحاق بوظيفة سائق لدى الدكتور محمد مندور الذي لم يكن قادرا على القيادة نتيجة لضعف بصرة الذي لا يعالجه استخدام النظارة.

يعرف الفرنسية بطلاقة لأنه تعلم في الليسية الى مستوى الثانوية العامة، ووالدة يمتلك مطاعم للأكل، لكن المزجنجى تمرد تمردا كاملا واكتفى أن يعمل سائقا برغم أنه كان خبيرا في إصلاح السيارات وفى الطبخ، بالإضافة لمواهب أخرى، فهو وبرغم زواجه يعشق النساء ويجيد التعامل معهن، كما يعشق شرب الحشيش.

وبعد عمله لدى الدكتور مندور بفترة قصيرة يكتشف أخلاق الدكتور، فيشعر بالخجل، فيعترف بانة يعمل بصاصا وانه كلف بالتقدم لهذه الوظيفة، وتكون إجابة الدكتور غريبه فيسأله " هل يدفعون لك نتيجة المعلومات التي تقدمها "، فيجيب بالإيجاب، فيجيب الدكتور " وماله "، ويستمر السني في العمل لدى الدكتور حتى وفاه الاخير، وتنشأ صداقة بينة وبين الأطفال وبالذات خالد.

ونتيجة لهذه الصداقة ينقل له بعض خبرات الطبيخ الذي يهواه الطفل الصغير، فسد الحنك يمكنك طبخة بطرق أسهل كثيرا توفر الوقت والجهد، بالذات في التقليب الكثير، ويتشاركان في محاولة عمل الطائرات الورقية اثناء المصيف في راس البر حيث يبقى المزاجنجى مع العائلة أثنائه، ويتمتع معهم ولا يقود السيارة كثيرا، الا إذا كانت هناك رحلة محدودة للقاء أصدقاء الدكتور في دمياط، وعلى راسهم الموهوب وخفيف الظل والكريم جدا الدمياطي طاهر أبو فاشا.

وتفشل محاولاتهم لصنع طائرة تستطيع الطيران، لكن صالح عنان باشا اللطيف يتدخل، فقد كان يمتلك عشة على البحر في المكان المعتاد لتصييف المنادره، ويقدم النصائح التي تمكنهم من صنع طائرة تطير، لكن يستمر فشل المزاجنجى في تحريض الشاب الصغير الرومانتيكي على التعامل مع البنات الصغيرات اللاتي تحاولن الاقتراب منه، لكنة ينجح في تعليم الطفل قيادة السيارات وينقل له خبرات ثمينة في القيادة.

وبعد وفاة الدكتور يذهب المزاجنجى للعمل في شركات المقاولات التي تبنى قواعد الصواريخ في جبهة قناة السويس، ويقص على صديقة الصغير كيف رأى الويل أثناء محاولات إسرائيل منع إقامة نظام الدفاع الجوي، محاولات كان نصيبها الفشل، هذا الحائط الصاروخي الذى سبب خسائر فادحة للقوات الجوية الإسرائيلية أثناء حرب 1973.

ألف رحمة على صديقي المزاجنجى، الذي يشيع البهجة، إبراهيم السنى الذى ليس سنيا!

--

الصورة الشهيد العميد أركان حرب ماجد مندور مع المزاجنجى ابراهيم السني في رأس البر



بوابة السحر والخيال والقرارات الخطيرة

أين يتعلم أبنك؟ في مدارس الدولة أم في مدارس اللغات الخاصة، وأين يكمل تعليمة الجامعي؟ جامعات خاصة أم عامة؟ وباي لغة؟ وماذا يدرس؟، طب، أم هندسة، أم أعلام أو اقتصاد؟ جميعها قرارات هامة، ولكنها ليست أهم القرارات لان أخطر القرارات تقع في مكان اخر، مكان غير محسوس لا يمكن تحديده.

أن أهم قرار في حياة ابناؤك هو أن تتمكن من أن تفتح لهم بوابة السحر والخيال، بوابة لو نجحوا في اجتيازها لتمكنوا من ان يبدعوا في أي مهنة يختارونها أو تختارهم، حتى ولو كانت " عجين الفلاحة "، ولمكنتهم من تحسين تعاملهم مع مصاعب الحياة القاسية ومع البشر.

لقد تعلمت كثيرا من سلوك ابى، من موقفة وسلوكه مع تلامذته وأصدقائه الذين أجبرتهم ضغوط الحياة القاسية على سلوك ومواقف لا يقبلونها، من موقفة مع من كان يختلف معهم حول الادب أو السياسة أو حول السلوك الاجتماعي وتعلمت من سلوكه مع أهلة، أو من كتاباته الأدبية والسياسية، لكنى لم أصبح قادرا على ذلك لولا انه فتح لي باب السحر والخيال، بوابة تعيد صياغتك إنسانيا وتطور من إمكانياتك وتصبح أكثر قدرة على فهم الحياة والبشر والادب وحتى قلة الادب.

هل تعلمون ما هو أخطر قرار أتخذه أبى؟ قرارا صغيرا، ولكنة خطيرا جدا، أنها زيارة لكامل الكيلاني، مجرد زيارة قصيرة لهذا المبدع الكبير والرائد في أدب الأطفال، زيارة فتحت باب السحر والخيال حين لاطفنا الكبير القصير القامة واللطيف جدا والذي بدا كما لوكان شارلي شابلن في خيال الطفلين الصغيرين، خالد وطارق، وخرجنا من الزيارة بمفتاح السحر والخيال، بمجموعة كبيرة من قصصه للأطفال.

لقد انشق القمر ودخلت الى العالم المسحور، ليس فقط عالم الكيلاني البديع، بل أيضا لمكتبة أبى وامئ نفسها، مكتبة الكبار، مكتبة متنوعة فى كافة مجالات المعرفة، بما فيها المجلات الطبية، فأتجول داخلها واختار منها

والشكوك تنتابني، هل أستطيع ان أفهم هذا الكتاب؟ فاحمل الكتاب واذهب الى أمي لأسألها، فتكون الإجابة أقراء وإذا لم تفهم ضع الكتاب مكانه وأختار كتابا أخرا لكن بعد عام أو اثنين عاود محاولة قراءة الكتاب الذي جذب انتباهك وستفهمه، درس بليغ لا أنساه.

دين عظيم يطوق عنقي لكامل الكيلاني ولقرار ابى بزيارته ولحكمة أمي التي ساهمت في قيادتي لأطوف داخل السحر والخيال، وهكذا أصبحت أبن ابى وأمي.

وهذا ما كتبتة ويكابيديا عن كامل كيلاني :

كاتبٌ وأديبٌ مِصري، اتَّخذَ مِن أدبِ الأَطفالِ دَرْبًا له فلُقِّبَ بـ «رائدِ أدبِ الطِّفل». قدَّمَ العديدَ مِنَ الأعمالِ العبقريةِ الموجَّهةِ إلى الطِّفل، وتُرجِمتْ أعمالُه إلى عدَّةِ لُغاتٍ مِنها: الصِّينية، والرُّوسيَّة، والإسبانِيَّة، والإنجليزيَّة، والفرنْسيَّة، ويُعدُّ أولَ مَن خاطَبَ الأطفالَ عبرَ الإذاعة، وأولَ مؤسِّسٍ لمَكتبةِ الأطفالِ في مِصر.

كان أخ كويس

هكذا أخبرني أبى حين اسرعت الية وهو عائدا حزينا من عزاء عمى الاكبر، الحاج مندور عبد الحميد مندور، كلمة لخصت الامر كله في عمى الكبير المهيب.

أخوين بينهما عدد صغير من السنين وطباعهما مختلفة كثيرا، الاكبر شديد مهيب وصعب الاقتراب منه، والثاني متبسط يظهر المودة وخفيف الظل، وبرغم هذا الاختلاف الكبير في الطباع ففور وصول أبى الى قريتنا وتخلصه من البدلة وارتدائه الجلباب، يلتصقان سويا كما التصاق المغناطيس ولا يفترقان حتى يحين موعد سفر أبى الى القاهرة.

وبرغم أنه كان شديدا مهيبا وكثيرا ما يتجنبه ابناء العائلة الصغار، ما عدا المفعوص الذى يكتب اليكم، فلقد كنت أحبة كثيرا واعرف حقيقته المختفية خلف هذه المهابة، واحترمه احتراما عميقا واجلس بجواره داخل دوارة في نهاية يوم العمل وهو يرحب بي.

عم مثقف ومطلع ويقرا كثيرا وخبير زراعة من الطراز الرفيع وتستطيع أن تتحاور معه بسهولة، إن كنت شجاعا أو تعرف قلبه الذي لا يكشف عنة.

ولا ادعى قدرة خاصة لدى وانا طفلا صغيرا كي أستطيع التعرف على قلب المهيب الكبير الصارم، ولكنى رايته في ظرف عائلي خاص كشف فيه عن قلبه، فامسك بتلابيبي وتكسرت كل الحواجز النفسية التي من الممكن أن تنتاب طفلا صغيرا، ومنذ تلك اللحظة تحول الاحترام الى حب.

وبنظرة واحدة الى الصورة المرفقة تتكشف حقيقة المهيب الكبير وهو يضحك من القلب لأخيه الاصغر محمد مندور، لقد كشف عن قلبه، اليس كذلك؟



ما بين السكر والعسل ...... يا عسل

نهار اسود من العسل الأسود الذي يستدعى ذكريات اليمة ومفرحة في نفس الوقت، فمنذ زمان بعيد وذات صباح جميل أهداني صديق صعيدي زلعة عسل اسود قادمة راسا من الصعيد الجواني، وانا لا أحب الاكل المعسل أو حتى أي شيء اخر معسل يا أصحاب النوايا السيئة، وبرغم ذلك فلقد قبلت الهدية، وهل يمكن عدم قبول هدية من أبناء العم الصعايدة؟

وتبدء المشكلة، فكل يوم عندما أعود الى الخن الذي احتمى به من البصاصين، أنسي ان احضر اكلا معي ويصبح مصيري مظلما، انه العسل والعيش الناشف حتى الصباح، وعندما يحل هذا الصباح يبقى العسل اسودا كما هو والا يتأثر به، وأفطر عسلا وانا مصمم على التذكر عند عودتي في المساء.

وأنسى كالمعتاد ويتكرر الامر، ويتكر النسيان ويطبق العسل على أنفاسي وبدلا عن عدم تفضيلي للعسل أصبحت أكرهه، ومنذ ذلك الزمان البعيد لم أر وجهة الكريم ولم اضطر الى تناوله ولم يغير لونه برغم الزمان الذي لا يبقى شيء على حالة.

والان يعود من جديد مطلا بلونة الأسود الذي يخلب الباب البعض، فلقد توقف زراع القصب في المنيا عن توريده الى مصنع سكر أبو قرقاص مفضلين بيعة للمعاصر الاهلية التي تنتجه، توقف نتيجة لفرق أسعار الشراء الذي يتجاوز الضعف، ويضطر المصنع الى توريد ما يتحصل علية الى المصانع الأخرى العائدة لنفس الشركة، شركة السكر والتقطير المصرية، فبدلا من 700 الى 800 ألف طن كافية لعمل المصنع يتلقى 10 الاف طن فقط.

وبرغم ان هذا المصنع قد أسسه إسماعيل باشا أبو السباع، خديوي مصر صاحب مشروع نهضة، الا ان المصنع تم تطويره بحيث يستطيع العمل باستخدام بنجر السكر، فيستمر في الإنتاج باستخدامه، لكن يبدو أن لون العسل الأسود البديل عن السكر قد طمس الرؤية، فتعالت الصيحات ان المصنع قد اغلق دون محاولة الرؤية من خلال سواد صاحبنا الصعيدي الأصيل.

يا ناس يا عسل مهلا قليلا، ابحثوا حقا ما الذي يجرى، لماذا سعر شراء المصنع للقصب منخفضا عن سعر السوق؟ وما هو تأثير سعر السوق على أسعار السكر؟ وهل يحتاج المصنع الى تطوير لتقليل الكلفة الإنتاجية؟

وهل تساهم الزراعة التعاقدية في توفير الكميات اللازمة من القصب؟ وهل نستمر في زراعة القصب ولا نتحول الى البنجر؟ وما هي نتائج استمرار زراعة القصب على الكفاءة الإنتاجية واستهلاك مياه الري؟ ولماذا أصبحت كل المصانع الجديدة والقديمة نسبيا تستخدم البنجر خصوصا في مصانع الشمال؟ ولماذا تساهم شركة السكر والتقطير المصرية في هذه المصانع بحصص متفاوتة؟

وأخيرا وليس أخرا " بالهنا والشفا " وأنتم تأكلون العسل حتى بدون طحينة، التي تقتل سم العسل لأمثالي الذين لا يحبون المعسل، ولا تنسوا أن مصنع أسماعيل باشا لم يغلق!!!!!!

الغول والعنقاء والخل الوفي

فاضل على الحلو تكه، فلقد وصلنا للحقنة الثانية عشرة وباقي 5 حقن، واثبت المسح عدم عودة الغول حتى الان ، فلقد أثبتت العنقاء كفاءة عالية بدعم من الخل الوفي ، وما زال المشاغب يشاغب!



ومازلت اتعلم من هذا المبتسم وزوجته!

الان فهمت!

عندما سالت أمي كيف اكتب شعرا؟ أجابتني، اقراء الشعر تكتب شعرا، ولم يكن هذا في معرض أنى كنت احاول أن اكتب الشعر، فلم يخطر ببالي أن اكتب الشعر ولم أحاوله يوما، فانا لست بشاعر، ولم يخطر ببالي أن اكتب الادب، فانا لست بأديب، ولم احاول ذلك أبدا، ولكنني كنت احاول أن افهم، برغم أن الادب والشعر كانا يجذبانني لقراءتهم منذ زمان بعيد، وقد أكون اشعر كما الشعراء أو الادباء، ولكن التساؤل الأساسي كيف تكتب كتابة واضحة وبسيطة وعميقة تجذب القارئ وتؤدى الغرض.

فاين أجد الاجابة؟ ولكن خطر لي خاطر شرير، لماذا ابحث عن اجابة؟ فانا اكتب وما اكتبه يلقى استقبالا حسنا، استقبالا يتجاوز تقديري لما اكتبه الى مستوى المفاجأة، فهل ما اكتبه يستحق هذا التقدير؟ ولماذا؟

برغم انى كثيرا ما اتردد في نشر ما اكتبه لشكوكي في مستواه او في اهتمام القارئ به، خاطرا يستدعى خاطرا ويصبح الامر ملحا، اريد أن افهم!

الان والان فقط اصبحت قادرا على أن أصل الى استيعاب أعمق لما سبق ان قراءته للمعلم الاول، محمد مندور، فأعدت البحث عنة من جديد، ووجدته متناثرا في مقالاته المنشورة في كتابة " وحدة الادب والفن "، فماذا كتب محمد مندور؟

"ومقياس الجودة في صناعة الكتابة ، وذلك لأن الكتابة صناعة كغيرها من الصناعات ، هو أن تكون الصنعة محكمة الى حد الخفاء حتى لتلوح طبيعية ، وهذا هو السهل الممتنع ، واوضح ما يكون ذلك في موسيقى الجمل ، فهناك موسيقى واضحة كاللون الفاقع تسهل محاكاتها وهذه ليست بأعمق الموسيقى ولا خيرها و لا اشدها اصالة بدليل أن محاكاتها سهلة وميسورة على نحو ما نرى في السجع ، واما الموسيقى العميقة فهي موسيقى النفس لا موسيقى اللفظ ، وهى كثيرا ما تخفى على القارئ العادي ولكنها دائما أصيلة تعز محاكاتها ، وتفعل في النفس فعلا لا يعيه الا القليل من القراء ، وليس من شك في أن للنثر وزنا وايقاعا مادام الكلام لابد أن ينقسم بطبيعته الى وحدات"

ويقول

"وتأتى هنا مشكلة اللغة فتزيد التصنع وضوحا ، ونحن في الحق لسنا خصوما للغة الفصحى في المسرح ، ولكننا نطلب الى المؤلف أو المترجم كما نطلب الى الممثلين أن يعرفوا اللغة التي يستخدمونها ، ومعرفة اللغة لاتقف عند قواعدها ، بل يجب أن تكون من العمق بحيث يحسون بقيم الالفاظ العاطفية"

وهذا غيث من قطر لما كتبة هذا المعلم.

والخلاصة هي تأكيد لإجابة ملك عبد العزيز عن كتابة الشعر، هل تريد أن تكتب؟ أقراء كثيرا وبالذات لكبار الكتاب كي تتعلم ما تحدث عنة محمد مندور ويصبح جزءا من تكوينك وعندها تستطيع أن تحسن الكتابة، لكن الكتابة عمل شاق يتطلب كذلك أن تعثر على نفسك، أي على أسلوبك الخاص الغير مصطنع، اى ان تكتب بالسليقة الغير متكلفة، أو كما يقولون أعثر على نفسك كما عثر بلزاك على بلزاك بعد جهد جهيد.

أن حسن الكتابة يتطلب الصدق والجدية واحترام القارئ، بحيث تكون دقيقا في اختيارات الالفاظ والجمل لتعبر تعبيرا واضحا بلا تزيد عما تريد أن تقوله، وعندها سيصل ما تكتبه الى قلب القارئ وعقلة.

الان فهمت!



شكوكو بأزازه!!

يقدم صاحب الذكاء والتفتح والالمعية، شكوكو، دعوة خاصة لشيخ النقاد وأولاده لحضور العرض الأول المسرحي لفرقة الأراجوز التي أسسها وهو يعلم تماما معنى الدعم والتأييد الذى من الممكن أن يحصل علية أذا دعمة شيخ النقاد، الدكتور محمد مندور، وهو ما حدث فلقد رحب الدكتور بمسرح الاراجوز أيما ترحيب .

ويذهب الشكوكو ، اثناء استراحة العرض الى الصالة ، كي يرحب بمندور وأولاده ، فيلقى ترحيبا خاصا من مندور وتطلع الأولاد اليه بشوق ، فلا يجدو الا " شكوكو" كما توقعوا.

هذا الفنان الذي الهمته الثقافة والفن الشعبيين فأصبح أشهر أرا جوز في التاريخ الفني المصري.

الفنان الذي بدء أميا وانتهى به الحال أن أسس مسرحا خاصا للارا جوز وتمتع بشعبية طاغية الى مستوى ان بيعت تماثيله في مقابل الزجاجات الفارغة.

ومازال الشكوكو يلقى الترحيب القلبي الشعبي الى الان، لأنه عبر عنه بإخلاص.



ما بين الاثنين والنقش على الحجر

وهل حقا هناك مكان أفضل للطفل الصغير الا في سرير والديه وهو يتسلل، فور قيامة من النوم، لينام خلف والده الذي يجلس على حافة السرير امام " الطرابيزة " الصغيرة وهو يتناول " شوب " القهوة باللبن اليومي الصباحي ويقرا الجرائد، والام "تتمطع" في السرير بعد قيامها لعمل القهوة، سلوك مختلف عن باقي الاخوة فهو الوحيد الذي يفعل ذلك.

ولا يبدو الامر غريبا إذا علم السبب، فعلى حين غرة تفاجئ الطفل الصغير بغياب والدية الذي يستمر لعدة أشهر، فالأب أصيب بورم حميد في المخ يضغط على العصب البصري ويمكن أن يصيبه بالعمى، فيسافرا الى بريطانيا لأجراء عملية خطيرة بالمخ بصحبة العم الودود اللطيف، طفل لا يدرك بعد ما يجرى وهو يختلف عن الاخوة الأكبر الأكثر إدراكا أو عن أخية الأصغر الغير مدرك بعد.

وبرغم الجهد الخرافي الذي تبذله خالته عزيزة " اللذيذة " وزوجها البديع العميق الإنسانية، عمو " كاكش " بلغة الأطفال، أي محمود مرسى راشد عميد كلية الالسن لاحقا، في العناية بخمسة أطفال يشكل هذا الطفل

حالة خاصة حيث يصاب بصدمة عاطفية كبيرة، صدمة ستؤثر على سلوكه طوال حياته ،فيصبح شديد الحساسية وقادرا على إخفائها الى مستوى خديعة الاخريين الذين يعتقدون أنه قد "قد" من حديد.

ولكن الاب الشديد الملاحظة، شدة الملاحظة التي لا يدركها الاخرون، فهو لطيف ودود مرح، لكنة يرى ويلاحظ ولا يتكلم، يدرك ويلاحظ ويفهم سلوك أبنه، وتبدء في التشكل علاقة خاصة خفية وغير مرئية بين الاب وابنه يدعمها سلوك الجد، هذا الجد الذي يرتبط بعلاقة خاصة مع أبنه الثاني في الترتيب، فهو أيضا يلاحظ ويراقب ولا يتكلم ويتوسم في هذا الابن أن يكون خليفة أبنه الذي يحبه بشكل خاص، فيحظى الطفل الصغير بحب جده بنفس الشكل.

والغريب أن الطفل الصغير يشعر بذلك، وبرغم احتجاج الام الدائم على اهتمام الاب بالاستجابة لطلبات الابن، خوفا على الطفل وصياحها على الاب " هتبوظو"، صياح بين الابويين بعيدا عن الأطفال، لكن الطفل يلاحظ ويرى الاب وهو " يشوح " بيده رافضا احتجاج الام، ويا للعجب يزداد شعور الابن بالمسؤولية، مسؤولية اسعاد الاب والجد فلا " يبوظ" ويزداد "انضباطه " دون أن يطالبه أحد بذلك، وتصبح نتائجه الدراسية أحد همومه الدائمة.

وبعد أن يغرق الطفل الصغير في بحر العسل، أي في مكتبة والده، ولعل أحد أسباب ذلك هو بحثه عن الود والعطف داخل الكتب، ويقرا كتاب وإسلاماه لعلى أحمد بأكثير، فتحدث فضيحة عائلية تصبح مثلا، فالطفل يصاب بصدمة والم عميقين بوفاة قطز في نهاية القصة، فيدخل الى الحمام ليبكي بكاءا مريرا ويرفض الخروج منه، ولكنة يخرج بعد محايلات الجميع، ومنذ ذلك الزمان تصبح " قطز مات " أحد وسائل " الهزار " بين الاب وابنه، ويزداد الود الخفي والغير معلن بينهما.

وبعد أن يكبر الطفل ليصبح شابا صغيرا يتوفى الاب، في أزمة قلبية أمام الابن، فيصاب بصدمة عاطفية كبرى، تعيد من جديد الصدمة الأولى بشكل أكثر حدة، فيظل لسنينا طوالا في حالة قلق ، فعندما تضئ والدته النور ليلا والابن يذاكر في غرفة المكتب ، يذهب مسرعا الى غرفتها ليطمئن ، فتدرك الام الامر وتخبره " أنا كويسة " ، كلما فتح باب غرفتها ، وتبدء في التشكل علاقة خاصة بين الابن والام ، التي تخبر ابنها " ما كنتش أعرفك " ، وتقدم له دعما نفسيا غير محدود في خياراته الخطرة في زمن أغبر يطيح بالصالح والطالح ، وفى كل اجتماع عائلي يتعالى احتجاج من افراد العائلة بانهم لا يستطيعوا المشاركة في النقاش ما دام الام والابن موجودين ، حيث ينهمكوا معا في النقاش متجاهلين الاخرين ، عن غير قصد.

أن ظروف حياتك، خصوصا في الصغر، تؤثر على سلوكك مدى الحياة، انها كالنقش على الحجر ، نقش على الحجر يجعلك تطمح أن تبقى محلا لثقة الاب والجد والام بعد





ميلودراما البراغيث

هذا الكائن الخرافي الذي يمتلك قدرات هائلة، فهو يستطيع حرق المراحل بكفاءة أكثر كثيرا مما أستطاع ماوتسى تونج بقفزته الكبرى الى الامام، ولا ينتج عنها استيلاء صبيان القصر على السلطة، فلا توجد حوله عصابة الأربعة، فهو يتحرك منفردا لاصطياد فرائسه حيث يمتص دمائها، وهو أكثر كفاءة من نجيب سويرس فمن الصعب الإمساك به.

ويمتلك البعض قدرات خاصة لمقاومة لدعاته المؤلمة، والامر يتوقف على طبيعة جلد الضحية ثم على التعود على أن تمتص دمائك دون أن تصرخ أو أن تحدث تورمات، وآفة التعود هي أحد الموانع الكبرى في التغيير الاجتماعي الى أن تصل قدرات الضحايا على التحمل الى أدنا مستوياتها فيحدث الانفجار الغير متوقع.

وبرغم الأصول الفلاحية فلم أتعود أبدا على لدغ البراغيث، فجلدي حساس وسريع التورم، وطبعي لا يسمح لي بأن يمتص أحد دمائي، فترتب على ذلك أن أصبحت مهاراتي فائقة بالإمساك بالبراغيث، حتى دون أن أراها، بل يكفي فقط الإحساس بها، ولا يتوقف الامر عند ذلك، بل يمتد الى كل أنواع البراغيث الغير برغوثية.

وفى المدينة تنشأ مشكلة أخرى إذا كنت تمتلك قطا، فهناك غرام دفين بينها وبين البراغيث، برغم مهارة القط في الإمساك بها الا أنه كثيرا ما يعجز عن ذلك، الامر الذي يمكنها من الانتقال الى ضحايا جديدة، بالذات من أمثالي من أصحاب الجلد الرقيق.

ولان الأستاذ " فزدق "، قطنا الشهير، كان يخرج خارج المنزل للتمتع بصحبة قطة الجيران، عبر الشارع، فلقد كان يلتقط براغيث الحي ويتهادى عائدا الى المنزل، ولان صديقه الصدوق طارق مندور لا يوفر مثل هذا الدفء ، فلقد أصبح ملاذه الدائم فوق المكتب الذي أذاكر عليه وتحت الاباجورة، فتقفز البراغيث هربا من ارتفاع الحرارة وتأتى الى.

وتبدء معركة الإمساك بالبراغيث وانجح في ذلك دائما، لذلك خطر لي خاطر شرير، فلو نجحت في الإمساك بعدد عشرة براغيث فسأحصل على 90% وأصبح من أوائل الجمهورية في الثانوية العامة، في ذلك الزمان البعيد.

ويبدأ العد، على مدى شهور، واتمكن من الإمساك بعدد يتجاوز التسعون برغوثا، احتفظ بهم في زجاجه الحقن القديمة ذات الغطاء المطاطي، واشاهدها وهي تقفز الى أعلى هربا من ارتفاع الحرارة، بعد ان أضع

الزجاجة على الاباجورة، وبرغم هذه المهارة الفائقة فلا أحصل على التسعين درجة المشتهاة واكتفى بالتسعين برغوثا!

يا أم المطاهر رشى الملح سبع مرات!!

يا وردة الحب الصافي

ليس غريبا ان الأطفال اللذين يتلقون دروسا غير مباشرة من أباءهم تبقى معهم مدى الحياة، ولكن الدرس لا يأتي منفردا، بل تجمعه رؤية شاملة للعلاقات الاجتماعية.

لقد تلقيت دروسا في منتهى الأهمية من علاقات ابى وامئ مع أساتذتهم واصدقائهم، بل ومع تلامذتهم، فكيف أستطيع أن أنسى الجو العام المنزلي المرحب والمليء بالتقدير لسلامة موسى أو الحزن العميق الذي عم المنزل عندما توفى، أو التقدير العميق والحب لأحمد أمين ودورة في دعم ومساندة تلميذة محمد مندور في أحلك الأوقات، أو الحب والمودة مع الدكتور عبد القادر القط والدكتور شوقي ضيف والدكتور غنيمي هلال والدكتور محمد القصاص واحمد رشدي صالح أو مع الدكتور غالى عالم الذرة الكبير، أو مع نعمان عاشور وسيد حجاب وصلاح عبد الصبور وسناء جميل وطاهر أبو فاشا ونجيب سرور وعبد الرحمن الخميسي.

وكيف أستطيع أن أنسي تشوق الطفل الصغير لرؤية سيزا نبراوي التي يتكرر الحديث عنها منزليا بحب وتقدير، وعندما يراها لا يجد اختلافا بين خياله وبين الواقع الذي شاهده، أو الفرح الذي عم المنزل حين نجحت سناء جميل في دورها في فيلم بداية ونهاية أو للتقدير الذى حظى به طاهر أبو فاشا مع الف ليلة وليلة.

دروسا بالغة الأهمية في التكوين النفسي للطفل، فالمودة والحب كانت دائما مصحوبة بموقف حولهم سواء لدورهم العام أم لسلوكهم البشرى أم لإنتاجهم الأدبي والفني والفكري.

لقد أصبح هؤلاء جزءا من تكوينه النفسي الى حد انه يعتبرهم جزءا من عائلته ولا يستطيع قبول أي تطاول عليهم، ولكنة يقبل انتقادهم والاختلاف معهم.









الشوق وأبناء رفاعه

هل تفكر وانت نائم؟ سؤال صعب الإجابة علية لسبب بسيط وهو كونك نائما وحتى لو كنت تحلم فالكثير من الاحلام لا يتذكرها النائم، ولكن ما هو رأيك لو كنت تحلم أثناء الصحيان؟ وما هو رأيك لو انبثقت الفكرة التي تؤرقك فور قيامك من النوم أو حتى وانت في دوخه القيام؟

يصحوا الطفل الصغير من النوم وهو مازال دائخا ليبحث عن امة، فيجد الجارة بملابس النوم في زيارتهم، فيختلط علية الامر ويمسك بتلابيب قميص نومها، الى أن يدرك الحاضرون ما يجرى فيأخذونه الى سريرة ليتابع النوم من جديد، لكن ما يشغله لا يفارق عقلة حتى بعد ان أصبح رجلا كبيرا، فيبدو الامر كما لوكان يفكر وهو نائم، خصوصا إذا كان ما يفكر فيه هو الشوق <

لكن مع مرور السنين تتزايد اهتماماته فيتزايد الشوق الى الاخرين من أصحاب الاهتمامات المشتركة، خصوصا عندما يكتب، فهو على قناعة راسخة أن لا أحد يأتيه وحي من السماء، وان السبيل الوحيد لتقويم افكاره أو تعديلها أو حتى تأكيدها هو الاستماع الى الاخريين، الاخرون القادرون على مناقشة الأفكار الجديدة بعيدا عن التأويل المنحاز لأفكار وتوجهات مسبقة أو الفهم الديماغوجي أو الصبيانية الفكرية والسياسية أو الدجما، ويتزايد الشوق بحيث يدفعه للكتابة حوله وهو مازال في دوخة القيام من النوم.

نعم أيها السادة فالشوق الحارق يتملكني لزملائي اللذين لم يكونوا أصدقائي وبعضهم لم أقابله شخصيا، اشتاق لإبراهيم فتحي وصلاح العمروسي وهاني شكر الله، وهو نفس الشوق الذى يدفعني الى الاسى لرؤية شبابا واعدين يمكنهم أن يكونوا عوضا عن الغائبين، عن كل الغائبين من اتجاهات التنوير ، عوضا ممكنا لو حاسبوا انفسهم حسابا عسيرا وتخلصوا من افة الرضا عن النفس ومن إحساس التفوق على الاخريين وعاملوا انفسهم بجدية كاملة لتطوير قدراتهم، وادركوا ان المهمة ثقيلة وكبيرة، مهمة البعث من جديد فالتاريخ يعيد نفسة ونحتاج الى ابناء رفاعة.......من جديد!




اللي خلف ممتش ومقاتل الخط الأمامي

يقاتل كاتبا ولا يجد الوقت الكافي ليراجع ويجمع ويصدر الكتب التي تضم مقالاته مجمعة حسب الموضوع، وتجد في مقدمة كتبه التي نجح في اصدارها مشروع كتاب حول نفس الموضوع ، لكنة مشغول في القتال ، ويذكر صديقة لويس عوض انهم يخوضون المعارك خلف صدرة العريض وهو في الصف الأمامي ، وينتقل الى الرفيق الاعلى ولكنة لم يمت وخلف أولاد يقومون بالمهمة.

ملك عبد العزيز تنشر

-معارك ادبية

-كتابات لم تنشر

ثم طارق مندور يتصدى للمهمة بعدها ويجمع مقالات أبية المنتشرة في ميادين القتال وفق خطة محددة ولسنوات طوال، فينشر الاتي

-وحدة الادب والفن

-في الاخلاق والضمير

-الصحافة وحريتها

-ذكريات أدبية

-محاكمة الضمير الوطني

-المدينة الاغريقية - مترجم

-ابداعات عالمية

-الخطاب السياسي ووعى الثورة

-نظرية مندور النقدية

-منهج البحث في الادب واللغة - مترجم

ويبقى كتاب واحد يقوم الابن الاخر، خالد مندور ، بتجميعه بعد أن فعل الزمان فعلة ، انه كتاب يضم كل ما كتبة محمد مندور حول الشعر ، وما زال يحاول طباعته وسينجح في ذلك ولو انطبقت السماء على الارض.



تحية الى طارق محمد مندور.



سامح جميل .....الشرطي - احترام المهنة والإنسانية

مهمة ثقيلة هي مهمة ضابط الشرطة، ليس لأنها أصعب عن غيرها من المهن، ولكن لاعتبارات متعددة.

اول هذه الاعتبارات أنها تتعامل مباشرة مع البشر ومشاكلهم وخلافاتهم ويجب أن تواجهها باحترام القانون والإنسانية، وثاني هذه الاعتبارات أن الشرطة هي الأداة الأولى لدى الدولة في التعامل مع احتجاجات البشر سواء اكانت سياسية ام اجتماعية.

وتتفاقم الصعوبة إذا كانت الدولة معادية للحريات الديمقراطية أو تخضع للحاكم الفرد أو واقعة تحت تأثير قوى الاحتلال، حيث يطلب من الشرطة ان تلعب دورها في خدمه أغراض هذه القوى، لذلك كانت سمعة البوليس السياسي في منتهى السوء قبل 1952، حيث كانت تخضع، في معظم الأوقات، لحكومات الأقليات أو لتأثير المستعمر، كما استمر سوء السمعة مع الحكم المطلق الذي ساد في العهد الجمهوري مع استمرار قمع الحريات الديمقراطية وتقييد الحق في تشكيل الأحزاب السياسية ومنظمات المجتمع المدني والنقابات.

لذلك ليس غريبا أن الكثير من ضباط الشرطة العاملون في البوليس السياسي او حتى في البوليس الجنائي والشرطي ، أن يتأثروا بهذا المناخ نفسيا ويصبحوا جزءا من هذه المنظومة الفاسدة والمعادية للإنسانية ولا يدركوا عمق الجرائم التي يرتكبونها ، ويقاوموا أي تغيير تحدثه السلطات في سلوكها ، وتاريخنا ملئ بمثل هذه التجاوزات التي ترتكبها أجهزة الامن ، بعلم أو بدون علم السلطات الرسمية ، ففي الستينات من القرن الماضي تعرض الكثير من المعتقلين السياسيين لتعذيب أجهزة الامن ، ليس بهدف جمع المعلومات بل لمجرد تحطيم ارادتهم الإنسانية ، وفقد المفكر شهدي عطية حياته لمجرد رفضه أن يقول " أنا مرة. "

وبرغم كل ذلك فالأمر لا يخلوا من سلوك مختلف من ضباط الشرطة، برغم صعوبة ذلك في مناخ معادى للإنسانية ولحقوق الانسان وللديمقراطية، صعوبة قد تؤثر على مصائر هؤلاء الضباط وعلى احتفاظهم بوظائفهم، وسأتوقف أمام أحد هذه الأمثلة التي حدثني عنها أحد المحبوسين سنة 1980 على ذمه قضية سياسية يسارية في سجن مزرعة طرة.

فإدارة السجن كانت تتمتع بحس أنساني رفيع وكانت تطبق القانون بحرفية وبلا تزيد، الامر الذى قاد الى صداقة واحترام بين هذه المجموعة من السياسيين وأداره السجن وضباطها ، فلقد وفرت الإدارة للسجناء إمكانية لعب تنس الطاولة وكرة القدم ولم تتعسف ، إطلاقا ، اثناء زيارات الاهل ، وطبقت القانون بالسماح بمأكولات الاهل بالدخول ، بل ووفرت للمساجين مشاهدة التليفزيون في سهرات داخلية داخل العنبر بحضور الضباط " النوبتجية " حيث يتناول الجميع السجائر والشاي ، وقامت ، بعد أن قرر السجناء إنهاء إضرابهم عن الطعام لأسباب ليس لها علاقة بإدارة السجن ، بتوفير الرعاية الصحية اللازمة اثناء وبعد انتهاء الاضراب و بتوفير جردلين لبن وجردل بيض ، بشكل يومي ، لأربعه عشر سجينا سياسيا طوال مدة بقائهم في الحبس الاحتياطي ، كما وفرت لهم استخدام الحق في توجيهه الشكاوى الرسمية وتسجيلها في دفتر السجن طبقا للقانون.

تحية لإدارة سجن مزرعة طرة، في ذلك الزمان، للمأمور الضابط شرطة محمد الشاعر ونائب المأمور الضابط شرطة سامح جميل ولباقي ضباط السجن ولطبيبه.

يبقى أخيرا أن انوه الى سعادتي بحضور الأستاذ سامح جميل وابنته ندوة ورشة الزيتون حول د. محمد مندور وملك عبد العزيز بخفه ظلة وبساطته.



"هتبوظو - " أبو خطوة

هكذا كانت تناقش الام الاب وهي تحتج، نقاش كانوا يعتقدون ان الوتر المشدود لا يسمعه، هذا الوتر المشدود الذي لا يدرك حتى أهلة كيف كان يسمع ويشعر ويتأثر.

طفلا صغيرا تعرض لتجربة قاسية وهو في الثانية من عمرة حين اختفى ابوية لعدة أشهر، عدة شهور لازمة لإجراء جراحة خطيرة في مخ والدة، كانت من الممكن أن تودي بحياته، فيتأثر الطفل تأثرا كبيرا لم تستطع خالته البديعة وزوجها العميق الإنسانية تعويضه، برغم جهودهما الخرافية مع الأطفال الخمسة.

ويبدو أن هذه التجربة، التي دفعته اليها يد الله، قد فتحت له ابوابا جديدة، حيث كان مستعدا لدخول الكنز المتاح في الادب والفن والثقافة، المتاح والمتوفر في كل كورنر من المنزل العامر، فانزلق ولم يخرج حتى الان.

ففي هذا السن الصغير كان كل أطفال المنزل من المتفوقين، ومنهم صاحبنا، وبرغم ذلك فان هذا الرابع في الترتيب كان يجتذب اهتماما خاصا من الاب، اهتماما صغيرا لا يمكن تمييزه، في ملاحظة أو في استجابة لطلب صغير او في التنبه لاحتياجاته، اهتماما كان يثير حماسة وسعادة اخية الأصغر، ويا له من أخ، وهي أمور كانت تلاحظها الام الحريصة، فتحتج.

ولا يعرف صاحبنا لماذا كان هذا الاهتمام من الاب، هل لأن الطفل الرضيع المبتسم استولى على قلب الجد، وهو أمر عظيم أن كنتم تعلمون، أم لأنه كان طفلا قليل الكلام وبدون مشاكل، أم لانفعاله الشديد بما يقرأه، أم ماذا؟ لا أحد يعرف.

وبرغم ذلك فان هذا الاهتمام كانت نتيجته على عكس مخاوف الام، فيزداد الطفل انضباطا دون تدخل من أحد، طفل صغير ينمو بلا مشاكل وفى هدوء صامت لا يعكس ما يدور داخل عقله ونفسه الذي يغلى ويفور ويجد خلاصة في القراءة.

قراءة لا تنقطع، يلتهم كل ما يقع تحت يديه، الادب العالمي، المسرحيات المترجمة، الكتب العلمية المترجمة في مشروع الالف كتاب الأولى، الادب والشعر المصريين، كتب التاريخ، طه حسين وسلامة موسى و ... و ......، الكاتب والطليعة وطبيبك الخاص، ارسين لوبين وشرلوك هولمز وطرزان وروايات عالمية، الثقافة والرسالة القديمين، وكأنه مفرمة كتب، يدفعه الشوق الى الوصول الى سرعة قراءة عالية جدا الى حد مذهل.

ويفقد الطفل وهو شاب صغير السن في السابعة عشرة من عمرة أباة بشكل مفاجئ ويصاب بصدمة نفسية عنيفة تبقى معه لسنوات طوال وتسبب له الما نفسيا ممضا، وبرغم ذلك يزداد انضباطا دون تدخل أو مناشدة من أحد.

والغريب انه يكتشف انه "أبوخطوة "، وهي ليست أبو خطوة في العرف الشعبي، بل أبو خطوة أخر، فكلما كانت هناك مهمة يجب القيام بها كان يتقدم خطوة لإنجازها دون ان يقصد ذلك، فما أكثر المهام المطلوبة بعد وفاة الاب وما احوج الام الى الدعم النفسي والمادي.

وتعيد أمة التعرف علية وتكتشف أنها لم تكن تعرفة وتصرح بذلك وتبدء في التشكل علاقة صداقة وطيدة بين الابن الذي ينضج والام التي تحتاج الى صديق وسند، وعندما يكتمل تطوره الابتدائي ويقرر الخروج لمناطحة السماء يلقى دعما كاملا من الام برغم قلقها، وهل تستطيع أي أم الا أن تقلق على ابنها الذي خرج مقاتلا من اجل الخير والعدل والحرية وحلم الاب الذي قاتل ومات من أجلة في خضم المعركة.

فهل كان الاب يدرك أمكانيات هذا الابن وافاق تطوره؟ لا أحد يعلم ولكن الام التي رأت هذا التطور ودعمته مارست ما كانت تحتج علية ولم تكن النتيجة " هتبوظو."

ولعل التفسير الذي جاهد الابن في الوصول الية هو " الوراثة "، فلعلها التفسير الوحيد لسلوك " أبو خطوة ".

تحية من القلب من " أبو خطوة " الذي شق قلبه لكم.

التلميذ والاساتذة

نعم أيها السيدات والسادة فانا تلميذ أتعلم من أساتذتي، لكنى لا أختارهم بناء على الانحياز الفكري المسبق، بل هم من يفرضون أنفسهم، وبالقطع فإن أنتباهى يتركز على من هم مثلى فكريا، ولكنى أتابع، بشغف، غيرهم واتعلم منهم، كما اتابع الصغار والكبار، واتابع دعاة الليبرالية والاصلاحية والاشتراكية ومختلف المذاهب الأدبية والفنية وغيرهم.

لكن ما يلفت نظري بشدة هم أصحاب المنهج، مهما كان توجههم الفكري والاجتماعي، فهؤلاء هم حقا الأساتذة لكنهم، ليس بالضرورة، أساتذتي لكنى اتعلم منهم.

فأنا اتابع واقراء لأساتذتي، ولكن بنظرة نقدية تأخذ في اعتبارها مكان وزمان صدور النص، أي الى الواقع الاجتماعي والفكري لذلك الزمان، لذلك لا ارتاح كلما رأيت كتابة تستشهد بمقولات الاخريين، التي صدرت في واقع مختلف، مهما كان هؤلاء الاخرون، من أساتذتي أم من غيرهم .

لذلك كثيرا ما أصاب بخيبة الامل، عندما أجد كتابا صغار السن ومثقفين ومن أصحاب نفس التوجه الفكري، يملكون القدرات الفكرية اللازمة لإنتاج كتابات منهجية، ولا يفعلون ذلك، أما لميول استعراضية أو لعدم المحاولة الجادة لفهم واقعهم، فرغم أهمية أن يقدموا ويلفتوا النظر الى كتابات وأراء الاخرين، لكن يبقى أن أصل دورهم هو التحليل الملموس للواقع وتقديم رؤية فكرية واجتماعية وثقافية حوله .

فهل نحن حقا قادرون على أن نتابع الأساتذة بمنهج فكرى نقدي ينتج كتابات فكرية واجتماعية مناسبة لعصرنا وزماننا، بديلا عن الدجما والتفكير السلفي والكتيبة البليدة، امل ذلك.





شجيع السيما

خلصت التكة واخذت اخر حقنة من الكيماوي المأطأط وهذه شهادة رسمية بذلك، شهادة لا تكتفى بذكر انتهاء العلاج ولكن توضح شجيع السينما ابو شنب مش بريمة.

وبعد ذلك يتم الفحص ب السكانيج كل ثلاثة أشهر للتأكد من عدم عودة الغول فى أماكن أخرى.

شكرا للعنقاء والخل الوفي وليذهب الغول الى الجحيم.



الراجل والست والواد

سحر عظيم تمتلكه الامهات، انه سحر الطمأنينة، فما دامت أمك على قيد الحياة فأنت ورائك ظهر ولا تخاف من هم الدنيا، فأمك ستقاتل من أجلك ولو ضحت بحياتها، لذلك فلقد أطلق قدماء المصريين على الانثى لقب " ست " وهو تعبير يختلف عن أي تسمية أخرى تستخدم في البلاد العربية.

وإذا فقدت أباك، ولكن جدك موجود فانت سعيد الحظ، فأعز "الولد ولد الولد"، وستكون اسعد أكثر إذا كان جدك " راجل " وهو لفظ لا يطلق إلا على الرجال الرجال، فهكذا كانت تطلق أمي على والد زوجها " الراجل " الذى كانت تحبه حبا عظيما، وللأسف الشديد توفى جدى ثم ابى خلال عام واحد واضطرت أنا أن أصبح " الراجل " وانا في سن السابعة عشر، فنمت صداقة بيني وبين أمي، التي تجد صورتها وهى في الستين من عمرها بعد استشهاد أخي العميد أركان حرب ماجد مباشرة .

ويحدث كثيرا أن يقع الكبار في غرام الأطفال لأسباب كثيرة وقد يكون من بينها أنه طفلا مبتسما، كما ترى في الصورة المرفقة، فلقد كنت محبوبا من جدي، لذلك احب صورتي مع " الراجل " واحب أمي واشتاق لهما



.

الكيمى كمى كاه

تأثر كبير لتطور الطب يعود الى التطور في العلوم البحثية والتطبيقية في العلوم الغير طبيه والى تكامل وامتزاج النتاج البحثية مع العلوم التطبيقية وتأثير ذلك على حياة الانسان، فالتقدم في الطب الحديث حدث عندما اكتشف الميكروبات والكائنات الدقيقة تاجر الثياب الهولندي ولم يهتم باكتشافه الا بعد قرنين من الزمان ليعبر هذا القرن عن تزايد الاندماج بين البحث العلمي مع التطبيقات العلمية، ولسخرية القدر فإن من اكتشف هذه الأهمية هو الباحث العلمي الكيماوي؟ الذي فتح المجال واسعا أمام هذا التطور وأصبح الطبيب الأول لفرنسا ثم للعالم وأصبح اسمه قرينا بالمعهد العلمي الكبير، معهد باستير في باريس، والذي تبرعت لبناءة كل أوروبا عندما نجح في اختراع منع اكتمال مرض الكلب في أجسام المعقورون.

ومن ضمن هذا التطور اكتشاف العلاج الكيماوي وتطبيقاته في مكافحة مرض السرطان ، ومع اكتشاف تعاسة الإصابة به ، فإن اكتشاف أنواع معينة من العلاج تسبب انحسارا كبيرا في التأثيرات الجانبية ، لقد تعرضت لمثل هذه النتائج القليلة أثناء علاجي الكيماوي فلم تكن الا حساسية جلدية يمكن التحكم فيها، لكن هذه التأثيرات من الممكن أن تتفاقم مع انتهاء العلاج ، وهو ما حدث بشكل تدريجي معي ، فانخفضت الشهية

وقلت القدرة على الحركة والاسهال المتكرر ، ثم انخفاض الضغط رغم انى مريض ضغط ، والاهم تأثير ذلك على القدرة على التفكير وعلى تماسك الأفكار الجديدة ، رغم أن هناك العديد منها ، الامر الذى ترتب على كل ذلك تدهور القدر على الكتابة.

اكتب لكم من داخل العناية الحرجة التي قضيت بها خمسة أيام حتى الان، ولقد وصل فيها ضغط الى 60/50 مع استمرار كل الظواهر، لكن من اليوم التحسن بدء وبلغ الضغط 65/124، وبرغم ذلك الوقت الازم لكتابة هذا البوستر استهلك وقتا طويلا والكثير من التعديلات في التصحيح الإملائي، رغم ان سرعتي ودقتي كانت تتجاوز ذلك كثيرا، لذلك ستكون كتباتي مقلة ومحدودة الى أن يكتمل شفائي.



أحلام الشفق - Twilight zone

هل تعرفون احلام فترة النقاهة؟ بالقطع الكل يعرفونها وخصوصا بعد كتاب نجيب محفوظ، لكن هناك احلام أخرى تكاد تقترب منها، أحلام المرض عندما تختلط عليك الامور وتفقد الاتصال بالواقع وتفقد القدرة على التحكم في الافكار والمشاعر، بل وعلى القدرة على التعبير عنها، فيختلط الواقع بالذكريات والمشاعر القديمة، عندما تفقد القدرة على التحكم في مشاعر الماضي والامه، فتستعيدها وقد يعمك الغضب الذي كنت تتحكم به لسنوات طوال، وقد ينطلق الشعور بالحب والشوق لمن تحبهم برغم مرور سنوات طوال على انتقالهم الى الرفيق الأعلى.

لقد انتقلت الى مرحلة الشفق هذه اثناء مرضى الأخير حين أصبت بالتسمم في الدم ونزلة معوية حادة وانخفاض كبير في ضغط الدم، ويبدو أن كل هذا كان شديد الارتباط بانخفاض المناعة الناتج عن العلاج الكيماوي الذي خضعت له لمدة عام كامل ، مرض كانت احتمالاته مفتوحة ، فإما الانتقال الى الاحباب في الأعلى أو الشفاء بدون إصابات جديدة أو مع تداعيات جديدة تؤثر على صحتي وقدراتي الجسدية ، لكن يبدو أن قدرة المقاومة كانت مازالت موجودة ، قدرة مقاومة يعود جزء كبير منها الى الرجل الكبير الفلاح العظيم

الدكتور محمد مندور الذى كان يهتم اهتماما كبيرا بتغذية اطفاله ولا يهتم بملابسهم ، فخرجت من المستشفى بحالة افضل عن ما سبق هذا المرض الأخير الخطير.

المهم أنه أثناء وجودي في منطقه الشفق هذه كان الغضب يعمني على الكثير من أحداث الماضي ، فسببت من أريد بأعلى صوتي رغم أنى لا أسب أحدا أبدا في الظروف العادية، وتحكم بي الشوق الى أمي فأجلستها الى جانبي واخذنا في تبادل الحديث، كما كنا نفعل قبل انتقالها الى الرفيق الأعلى من 25 عاما، فأمي كانت صديقتي وسندي وكنت مستشارها الاول وكانت بيننا صداقه حقيقية واتفاق فكرى عميق.

أشتاق الى أمي.



طنش وابتسم و"اتكلفت"

غريب وعجيب ان يكون محبوبا لكن من البراغيت والناموس والنمل ، فلو تواجد اى منهم يترك جميع الضحايا الاخرون ويتوجه اليه ، ولا يريد أن يصرح عن باقي المحبين لان قرصاتهم أشد وانكى، المهم ان صاحب الجلد الحساس يتعرض لكل هذا القرص ويتورم جسده ، ويزيد الطين بلة أنه يتعرض لحساسية جلدية مزعجة كأحد توابع العلاج الكيماوي ، فيختلط الحابل بالنابل ولا يجد سبيلا لتخفيف الالام إلا بالاستحمام ، استحماما محفوفا بالمخاطر حيث كثيرا ما يصيبه الارتعاش من إحساس بالبرد الغير موجود، ولا يجد سبيلا للتغلب على كل ذلك إلا عن طريقين ، الأول منهما هو " طنش وابتسم" والثاني هو الارتعاش الباعث على الدفء ثم "الكلفتة" مع الشعور بالسعادة حين يعلم أن هناك من يتابعه على الميديا ولا يكشف عن نفسة.

فتحية للأصدقاء الذين لا اعرفهم واللذين اعرفهم، وعلى عميق أمنياتي أن يسمح الزمان بتلقي مساعدتهم بقليل من " الهرش "، مع استبعاد المحبين من أصحاب " الأشد والانكى " لان الاقتراب منهم خطير، اليس كذلك يا لبيب؟



الراجل والزاد والزواد والغرام العميق

يبدو ان ملاعيب العقل الباطن تمارس تأثيرها كلما اشتدت متاعب الحياة فيتملكك الشوق لمن تحب، شوق يستدعى ذكريات ماضي مدفون داخل عقلك وروحك، فكلما رأيت صورة الراجل اتذكر حسرة أمي وهى تتمتم بعد وفاة أبى " لو الراجل موجود مكنتش تعبت "، فأصاب بالدهشة واسألها هل تتحدث عن ابى، فتجيب بل عن جدك، والد أبى، فلقد لخصت الامر كله في كلمة واحدة " الراجل."

فلقد أصاب ابى حزن عميق عندما توفى جدي وكتب، في رسالته الى أمي، رسالة ارسلها من البلد وهى تحوى النعي الذى سينشر في الجرائد، مفتتحا الرسالة بقولة " وقعت الواقعة وتوفى أبى "، كلمة لا يستطيع الشاب الصغير أن ينساها فهي تلح عليه كلما تملكه الشوق للغائبين، شوق حار يمزق القلب يستدعى ذكريات الماضي والحسرة على من فقدهم فما اصعب الحياة بدون مثل هؤلاء " الرجال."

فالرجل الأصغر يتمرد ويستقيل من الجامعة عندما لا يستطيع أن ينال حقه نتيجة لتعنت أستاذه، ويذهب مقاتلا في الجرائد، من أجل الحق والخير والحرية، ويقاتل من أجل حقة الإنساني في أن يعبر عن رأيه فيفصل ويطلب منه الاعتذار عن ممارسته لحقه، فيرفض ويتعرض لازمة مالية طاحنة وهو صاحب الثلاثة أبناء، ويصيبه قلق عميق، قلق لا يصيب زوجته، فيتعجب ويتساءل لماذا لا تقلق؟ فتجيبه انها على ثقه في قدراته وفى قدرته على تخطى الازمة، لكن ما لم تصرح به امر واضح ولا يحتاج الى ذكر، فالراجل الكبير موجود.

فيحضر الرجل الكبير من القرية، بشكل دوري، وهو يحمل الزاد والزواد، ويرفض رفضا باتا أن يبقى للغذاء او لقضاء الليلة ويصر على العودة لقريته، رغم توسلات زوجه ابنه التي تحبه حبا عميقا، فالزاد والزواد للأطفال ولن يتذوقه أبدا ، وقائع تبقى في ذاكرة الزوجة طوال حياتها وتحكيها لابنها الذى لم يكن قد ولد بعد ، وهى تفتخر كيف كان الرجل الكبير يحبها.

ويبدو أن الجينات الوراثية تفعل فعلها، ولعلها ليست فقط جينات وراثية، فالمثل والمثال يفعل فعله أيضا، فالمثل الأعلى يتجسد في الرجلين، الأكبر والكبير ، فيصبح الاحفاد رجالا لا يتناولون الدنية ، وينتاب الحفيد الباقي الشوق للرجلين ولأخوته الرجال ، فما أصعب الحياة بدون الرجال ، لكنه الوريث الذى يدافع عن الميراث ، ميراث الحق والخير والعطف والحنية.

فتحية الغرام العميق للرجال.

ملاعيب العقل الباطن عندما يختفي الحاجز بين الوعي واللا وعى

هل حقا هناك ما يسمى بالعقل الباطن؟ وهل ما يقوله أطباء الطب النفسي صحيحا؟ وما هي علاقة هذا العقل الباطن بهذه الظواهر التي أمر بها؟ فما هي هذه الظواهر وكيف بدأت؟

لقد بدأت هذه الظاهرة عندما أصبت بما يسميه الأطباء " انتنان الدم "، أي اختراق الميكروبات ووصولها الى الدم نتيجة نقص المناعة ، نقص المناعة الناتجة عن العلاج الكيماوي لمقاومة السرطان ، وهذا " الانتنان " هو مرض خطير جدا لان الدم الملوث يصل الى كل أجزاء وأعضاء الجسم وتصل نسبة النجاة من هذا المرض 40% ، ومن الممكن أن تكون النجاة مصحوبة بإصابات في أعضاء الجسم ، خصوصا المخ الامر الذى من الممكن أن يؤثر على القدرات العقلية ، ويبدو أن someone up there likes me كما هو اسم الفيلم الأمريكي القديم والشهير من إخراج روبرت ويز وبطولة لبول نيومان ، فخرجت من المحنة دون إصابات لكن بظاهرة غريبة تحدث أثناء النوم.

ويبدو أن هذه الظاهرة هي امتداد لما كنت أعانيه أثناء اشتداد المرض، في العناية المركزة، حيث كنت أرى اشخاص واتحدث معهم بحيث بدى الامر وكأن كل المخزون في الذاكرة يعود بمشاعره، الحانية والغاضبة، ويتكرر الان الامر أثناء النوم، فأتحدث مع اشخاص من الذاكرة وأستجيب لملاحظات الغير نائمين واضحك معهم وانا مغلق العينين، ويضاف الى ذلك الأفكار الحديثة التي افكر وابحث فيها ، وعندما أصحو لا أتذكر شيئا ، لذلك بحثت الامر ووجدت الاتي على الشبكة العنكبوتية.

فما الذي قاله فرويد

"قسم فرويد العقل إلى العقل الواعي (أو الأنا) والعقل اللاواعي. ثم تم تقسيم الأخير إلى الهو (أو الغرائز والقيادة) والأنا العليا (أو الضمير). في هذه النظرية، يشير اللاوعي إلى العمليات العقلية التي لا يدركها الأفراد. اقترح فرويد بنية عمودية وهرمية للوعي البشري: العقل الواعي، ما قبل الواعي، والعقل اللاواعي - كل واحد يقع تحت الآخر. كان يعتقد أن أحداثًا نفسية مهمة تحدث "تحت السطح" في العقل اللاواعي]. تمر محتويات العقل اللاواعي عبر العقل السابق للوعي قبل الوصول إلى الإدراك الواعي. فسر مثل هذه الأحداث على أنها ذات أهمية رمزية وفعلية.

بمصطلحات التحليل النفسي، لا يشمل اللاوعي كل ما هو غير واعي، بل يشمل ما يتم قمعه بنشاط من الفكر الواعي. نظر فرويد إلى اللاوعي كمستودع للأفكار غير المقبولة اجتماعيًا، والرغبات أو الرغبات المسببة للقلق، والذكريات المؤلمة، والمشاعر المؤلمة التي تطردها آلية الكبت. من وجهة نظر التحليل النفسي، لا يمكن التعرف على العمليات العقلية اللا واعية إلا من خلال تحليل آثارها في الوعي. الأفكار اللا واعية ليست في متناول الاستبطان العادي بشكل مباشر، لكنها قادرة على التهرب جزئيًا من آلية الرقابة للقمع في شكل مقنع، والتي تظهر، على سبيل المثال، كعناصر حلم أو أعراض عصبية. من المفترض أن تكون هذه الأعراض قابلة "للتفسير" أثناء التحليل النفسي، بمساعدة طرق مثل التداعي الحر، وتحليل الأحلام، وتحليل الزلات اللفظية"

ويخرج يونج بتحليل أكثر أتساعا

"كارل يونغ وعقل باطن جماعي

اتفق كارل جوستاف يونغ مع فرويد على أن اللاوعي هو محدد للشخصية، لكنه اقترح تقسيم اللاوعي إلى طبقتين: اللاوعي الشخصي واللاوعي الجماعي. اللاوعي الشخصي هو خزان للمواد التي كانت واعية في السابق، ولكن تم نسيانها أو قمعها، مثل فكرة فرويد إلى حد كبير. ومع ذلك، فإن اللاوعي الجماعي هو أعمق مستوى من النفس، يحتوي على تراكم الهياكل النفسية الموروثة والتجارب النموذجية. النماذج الأصلية ليست ذكريات، ولكنها مراكز طاقة أو وظائف نفسية تظهر في استخدام الثقافة للرموز. لذلك يُقال إن اللاوعي الجماعي موروث ويحتوي على مادة من نوع كامل وليس فردًا.[14] اللاوعي الجماعي، حسب يونغ، [التراث] الروحي الكامل لتطور البشرية، ولد من جديد في بنية دماغ كل فرد."

وبصرف النظر عن أراء علماء النفس فمن المؤكد أن ظاهرة القدرة على التركيز التي تجعلك غير قادر على سماع الأصوات واحاديث الاخريين مكتفيا فقط بما تبحث عنة او تقرءه او اثناء الكتابة، بحيث يتحكم فيك الامر تماما، تحكم يمتد لساعات طوال دون تعب أو ملل، فلقد أمتد الامر ، الان ، الى اثناء النوم ، بحيث يبدو أن عقلي لا يتوقف ولا يرتاح وبرغم ذلك فلا أشعر بالإرهاق بعد النوم ، وكأن عقلي الواعي قد أندمج مع عقلي اللا واعى وتحطمت القدرة على الفصل ، على الأقل أثناء النوم ، فهل يستمر الامر ؟ لا أعرف!

ولعلني مازلت احتاج لمزيدا من البحث.



النفس البشرية بين الكيمي كمي كاه (أي الكيمياء) والتحليل النفسي

هذا المخلوق الجميل المسمى بالإنسان يقدم لغزا تجاهد البشرية لفهمه، فهل هو جسم يعمل وفق قواعد علمية صارمة تلعب فيه المواد الكيماوية والتحكم فيها دورا شديد الأهمية، أم أنه قد تطور بحيث يمكنه التحكم الإرادي في وظائفه العقلية؟ وهل العلاج النفسي هو التحليل النفسي أم ضبط كيمياء المخ والاعصاب؟ هل العلاج بأحد الطريقتين قد يكون كافيا أم لا؟ أم بكلاهما؟ أم أن الامر أكثر تعقيدا؟

لقد طرحت مشكلتي وتلقيت تعليقات هامة من الصديق الدكتور رفيق سالم فبحثت الامر وانتهيت الى استنتاج هام، هو أن أسال الطبيب! ، لكن ليس طبيبا واحدا بل طبيب مخ واعصاب وطبيب باطنية وأخيرا طبيب طب نفسى على أن يكون كل منهم على معرفة تامة بتاريخك المرضى وأنواع الادوية التي تتناولها.

ولقد ارتأيت أن أقدم لكم تعليقات الدكتور لأهميتها على أن أنتهى بتقديم شرح منقول من النت عن نظرية النواقل العصبية.

واليكم ملاحظات الصديق الدكتور رفيق سالم

"افكار فرويد و يونج عن تشريح الوعى كانت ثورية في وقتها حيث كانت أقرب الى التنظير الفلسفي في الوعى على انه احد افاق الميتافيزيقا الداخلية ... نظريات التحليل النفسي بجملتها هى عبارة عن استنتاجات نظرية مبنية على مشاهدات كلية ، بمعنى انها كانت محاولة لوضع اطار محكم او متناسق يمكن من خلاله فهم او تبرير الظواهر التي يُبديها الوعى الظاهر في الانسان من خلال تجليات الحلقة الثلاثية الشهيرة التي تتقاطع فيها الافكار و المشاعر و السلوكيات في منطقة الكلام او الخطاب و الأحلام ... افكار التحليل النفسي التقليدية تشبه محاولة احد لفهم الية عمل ألة لا يستطيع تفكيكها و لكنه فقط يرصد ما يبدو عليها من ظواهر ليبدأ في التخمين في طبيعة تركيبها و ميكانزمات عملها"

"ما زالت افكار فرويد و يونج لها بعض القيمة كأفكار عامة حول عناصر الوعى و تفاعلاتها مع بعضها البعض بشكل كلى نظري يكتسب بعض المصداقية من كونه مبنى على المشاهدة و الرصد و التحليل و الاستنتاج،،، و لكن...

تطور العلوم العصبية و الفهم الأعمق لأليات عمل الخلايا العصبية و الطبيعة المادية المعملية لمفاهيم الوعى و المشاعر و السلوك ؛ كشفت عن جوانب اغفلتها نظريات التحليل النفسي التقليدية و هي باختصار ان كل ما وصفه فرويد و يونج هو ليس نتاج تفاعلات الفرد مع واقعه فقط و لكن هناك جانب مادى معملي متمثل في الاداء البيولوجي للخلايا العصبية و هو ما يعرف اجمالاً بنظرية ال Neurotransmitters اى النواقل العصبية التي هي مواد كيميائية حيوية تلعب دور المايسترو في ادارة النشاط العصبي لدوائر المخ التي هي القاعدة المادية للوعى و مكوناته"

"نظرية النواقل العصبية اصبحت عنصر جديد يضاف لما فكر فيه المؤسسين الأوائل للتحليل النفسي النظري و هي ليست عنصر نظري بل هي نتاج دراسات معملية لطبيعة تركيزات و توازنات النواقل العصبية (سيروتونين و دوبامين و اسيتيل كولين و جابا و غيرها الكثير و الكثير من النواقل التي يتم اكتشافها تباعاً) ... الأن ، صار الطب الإكلينيكي السريري يعتمد نظرية النواقل العصبية لفهم طبيعة اختلالات الوعى (السلوك و المشاعر و الافكار) ؛ و اصبح البحث العلمي يتحرك في اتجاه فك شفرة هذه الاختلالات بلغة النواقل العصبية التي ترجع الاختلالات الى نقص او زيادة او خلل بعمل النواقل العصبية و يتم تصحيحها دوائياً بالعقاقير ؛؛؛؛ هذا على عكس مناهج فرويد و يونج التي كانت تحاول ان تفك شفرة الخلل من خلال تفاعلات الانسان مع واقعه و ماضيه و تحاول ان تصحح ذلك بألاعيب و حيل نفسية مثل تلك التي كانت تظهر في افلام الخمسينات و الستينات"

"حالياً توقف المجتمع العلمي عن تطوير افكار فرويد و يونج لأنه اكتشف ان الخلفية البيولوجية معقدة و متداخلة بشكل لا يمكن اغفاله، و بالتالي في نموذج لفهم الوعى يغفل نظرية النواقل العصبية فهو حتما نموذج قاصر و غير مكتمل ـــ نظرية النواقل العصبية تمد الخط على استقامته لإدخال عناصر الجينات و العوامل الوراثية المادية و الطفرات و غيرها في نظرية الوعى"

"فيما يخص ملاحظة حضرتك عن هذه الظواهر التي مررت بها اثناء فترات العلاج و المرور بمواقف طبية حرجة مثل تسمم الدم و غيرها؛ فهذا ببساطة مردوده ان الفهم الحديث لبيولوجيا المخ ، وجد ان المخ يشبه منطقة محظورة بالنسبة لباقي الجسم و ذلك لان طبيعة عمله العصبي مبنية على مبدأ الكهربية الحيوية و من ثم فهو يتضرر بشدة من تقلبات و دورات التغير التي تحدث في نسب العناصر في الدم و من ثم فهو يمتلك فلاتر شديدة المعايير للحفاظ على بيئته الداخلية منعزلة عما يحدث بالدم!! ... وهي حقيقة معلومة في علوم

الدوائيات ان ليس كل الادوية يمكنها ان تصل الى انسجة المخ لأنها لا تعبر ما يسمى بال Blood Brain Barrier.

في ضوء ذلك ، يحدث احيانا بفعل الادوية او الظروف المرضية الشديدة ان يختل الحاجز الأمني و هو ما يسبب حالة من الانفلات او الفوضى في البيئة العصبية للمخ و هو ما ينتج عنه ظواهر اختلالات في الوعى يعرفها الاطباء جيدا و من اشهرها ما يسمى بال Delirium و هي حالة ضبابية من الوعى تختلط فيها الاحلام بالإدراك بالمشاعر و السلوكيات و هي تحدث غالباً للمرضى الذين يمرون بظروف مرضية شديدة جداً او يتناولون كميات كبيرة من الادوية في العنايات المركزة و خلافه ... هذه الوضعية لا يمكن فهمها بنموذج فرويد و يونج لأنها ببساطة حالة من الفوضى الطارئة في النواقل العصبية يمكن تصحيحها بعلاج السبب العضوي الذى يكمن خلفها"

"من المعلوم ان بعض الادوية التي يتناولها البشر لأسباب مختلفة تحمل اعراض جانبية تتمثل في احداث خلل بهياكل التوازن بين النواقل العصبية وهو ما ينتج ظواهر نفسية وليست عضوية؛ فلم يعد غريباً ان تقرأ ان أحد ادوية علاج الضغط مثلاً يمكن ان يذيد نسبة المشاعر الإكتئابية او يذيد الافكار الانتحارية او يصيب الشخص بأوهام اضطهادية و هي ظواهر كان يتم التعامل معها في نموذج يونج و فرويد بشكل مختلف"...

"من المعروف مثلا ان تناول مثبطات بيتا قبل النوم التي تعتبر من أشهر ادوية الضغط؛ يسبب اضطرابات في النوم وترتفع معه الشكوى من الكوابيس!! ... لو ذهبت لفرويد بهذه الشكوى ستعيش أحد افلام هيتشكوك، بينما سيكتفى طبيبك الباطني بان ينصحك بان تتناوله صباحاً وليس قبل النوم"

"الفاهم لفلسفات العلم وتطوراته سيعرف ان العلم المادي ما زال قاصراً جدا جدا و ما زال بعيداً جدا عن الزعم بانه يمتلك ناصية الحقيقة؛ بالطبع الخرافة ليست هي البديل؛ و لكن العاقل فقط يفهم ان الكبرياء العلمي حماقة و ما زال هناك امور غير معروفة ربما تعيد ترتيب المشهد العلمي كله!! ... لا الخرافة حل ولا الوهم العلمي حل لان كلاهما قاصر عن تقديم صورة حقيقية مكتملة؛ إذا افترضنا اننا نعرف معنى الحقيقة ومعنى الكمال"

ولان ما هي نظرية النواقل العصبية (موجودة على النت)

